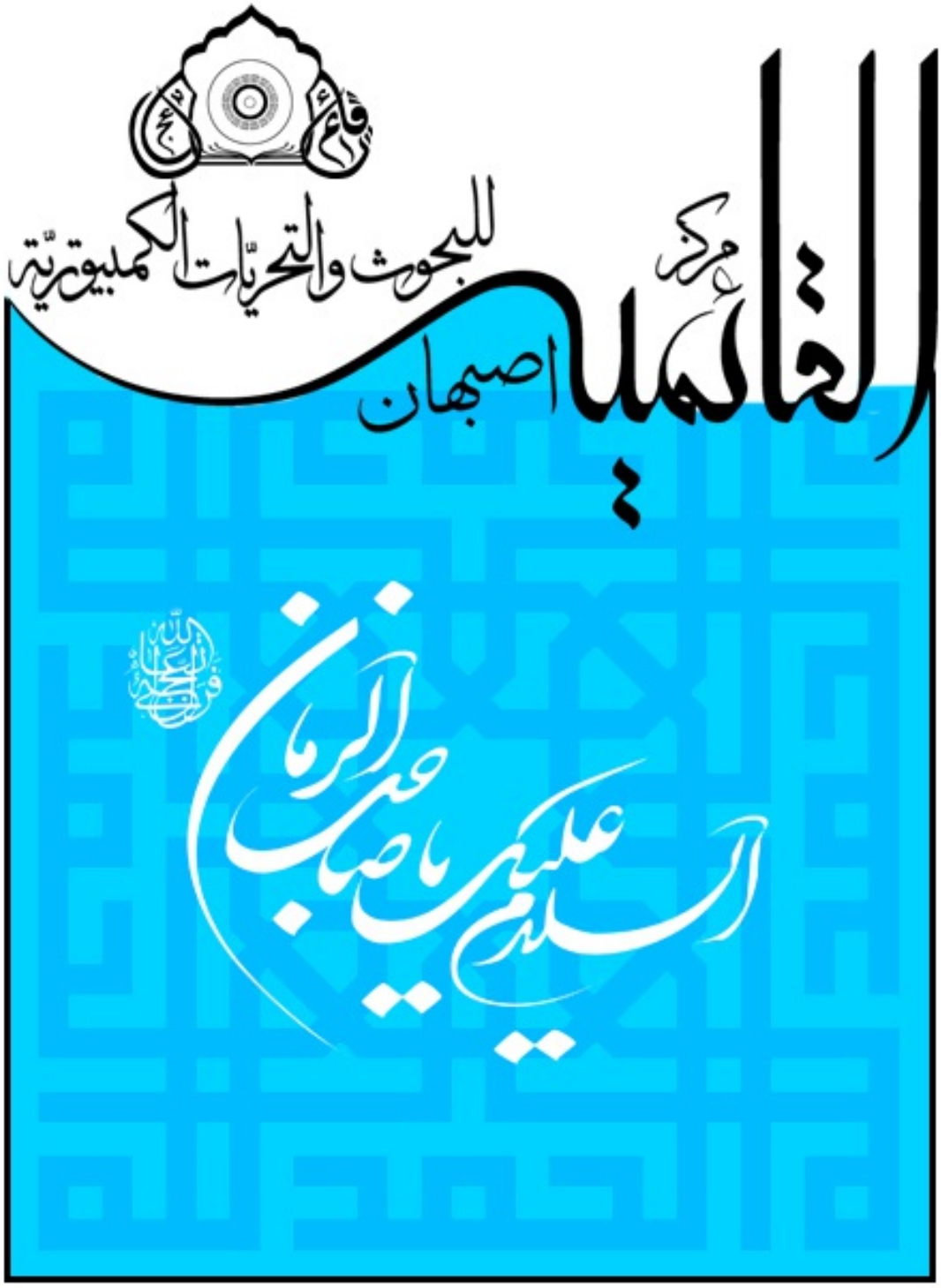

www.Ghaemiyeh.com
www.Ghaemiyeh.org
www.Ghaemiyeh.net
www.Ghaemiyeh.ir

الصحيح من سيرة النبي الأعظم ﷺ

٢

بسم الله الرحمن الرحيم

الصحيح من سيره النبى الاعظم(ص)

كاتب:

سيد جعفرمرتضى حسينى عاملى

نشرت فى الطباعة:

سحرگاهان

رقمى الناشر:

مركز القائمية باصفهان للتحريات الكمبيوترية

الفهرس

الفهرس ----- ۵
الصحیح من سیره النبی الاعظم صل الله علیه و اله المجلد۲ ----- ۱۴
اشارة ----- ۱۴
ایضاحات ضروریة ----- ۱۴
القسم الأول: ما قبل البعثة ----- ۱۷
اشارة ----- ۱۷
الفصل الأول: ما قبل المیلاد ----- ۱۷
اشارة ----- ۱۷
البدایة الطبیعیة: ----- ۱۷
الوضع الجغرافی لشبه جزیرة العرب: ----- ۱۷
الحضر فی شبه جزیرة العرب: ----- ۱۸
الحالة الإجتماعیة عند العرب: ----- ۱۸
المرأة فی الجاهلیة: ----- ۱۹
شواهد عن حالة العرب فی الجاهلیة: ----- ۲۰
علوم العرب: ----- ۲۱
میزات و خصائص: ----- ۲۲
من امتیازات العرب: ----- ۲۲
الإسلام و تلک الصفات: ----- ۲۴
متی کان بناء مکة: ----- ۲۵
اشارة ----- ۲۶
ألف: بناء الکعبة: ----- ۲۶
ب: دعاء إبراهیم: ----- ۲۷
ج: تقدیس الکعبة: ----- ۲۷

الأصنام، و الكعبة: ۲۹
ولاية الكعبة: ۳۰
مكانة قريش: ۳۱
أنا ابن الذبيحين: ۳۲
من هو الذبيح: ۳۲
خلاصة و بيان: ۳۴
أهل الكتاب هم الداء الدوى: ۳۵
ملاحظات هامة: ۳۵
النسخ فى قصة إبراهيم: ۳۸
البداء عند الشيعة: ۳۹
التوضيح و التطبيق: ۴۰
إشكال .. و جوابه: ۴۱
اليهود، و البداء: ۴۱
الفصل الثانى: عهد الطفولة ۴۲
اشارة ۴۲
نسب النبى «صلى اللّه عليه و آله و سلم»: ۴۲
مولد النبى (ص): ۴۲
تعقيب هام و ضرورى: ۴۳
قصة كاذبة: ۴۴
مصير الدار التى ولد فيها النبى (ص): ۴۵
رضاعه «صلى اللّه عليه و آله و سلم»: ۴۵
لماذا الرضاع فى البادية؟!: ۴۵
أخوا النبى «صلى اللّه عليه و آله و سلم» من الرضاعة: ۴۶
رضاع ثويبة للرسول «صلى اللّه عليه و آله و سلم» لا يصح: ۴۶

مع أبی عمر فی ترجیحه للقول الثانی: ۴۸
توجیه غیر وجیه: ۴۹
مناقشة غیر موفقة: ۴۹
عدد أولاد عبد المطلب: ۵۰
أبو لهب و عتق ثویبة: ۵۱
شرک أبی لهب: ۵۲
تنازع الظئر فی رضاعه: ۵۳
حدیث شق الصدر: ۵۳
توجیه غیر وجیه: ۵۴
رأینا فی الروایة: ۵۵
المسیحیون و حدیث شق الصدر: ۵۶
أصل الروایة جاهلی: ۵۷
فقد النبی (ص) لأبویه: ۵۷
کفیل النبی (ص): ۵۸
الرحلة الأولی إلی الشام، و بحیرا: ۵۹
روایة مکذوبة: ۵۹
سر الوضع و الإختلاق: ۶۰
إشارات خاطفة فی قصة بحیرا: ۶۱
رعیه (ص) الغنم: ۶۱
ملاحظة: ۶۲
الفصل الثالث: خدیجة فی بیت النبی (ص) ۶۳
اشارة ۶۳
السفر الثانی إلی الشام: ۶۴
زواجه (ص) بخدیجة: ۶۵

خطبة أبی طالب (رحمه اللّه): ۶۶
نظرة فی کلمات أبی طالب: ۶۷
و دین شائع: ۶۷
مهر خدیجة: ۶۸
عمر خدیجة حین الزواج: ۶۹
یتیم قریش، أکذوبة مفضوحة: ۷۱
هل تزوج (ص) خدیجة طمعا فی مالها؟! ۷۲
خدیجة مثل أعلی: ۷۲
خدیجة بین نساء قریش: ۷۳
هل تزوجت خدیجة بأحد قبل النبی (ص)؟! ۷۳
زوجتا عثمان، هل هما بنات النبی (ص)؟! ۷۵
هل زینب بنت الرسول (ص) أم ربیبته؟: ۷۷
منافسون لعلی: ۷۸
خؤولة هند بن أبی هالة للامام الحسن (ع): ۷۹
الفصل الرابع: حتی البعثة ۸۰
اشارة ۸۰
حضور النبی (ص) حرب الفجار: ۸۰
سرّ التلاعب فی الروایات هنا: ۸۱
حلف الفضول: ۸۲
سبب هذا الحلف: ۸۲
بنو أمیة و حلف الفضول: ۸۳
ملاحظة: ۸۴
ملاحظات هامة علی حلف الفضول: ۸۵
تاریخ ولادة أمیر المؤمنین (ع): ۹۰

أول هاشمی ولد من هاشمیین: ۹۱
ولادة أمیر المؤمنین (ع) فی الکعبة: ۹۱
لماذا حکیم بن حزام؟! ۹۳
تجدید بناء الکعبة أعزّها اللّه تعالی: ۹۳
وضع الحجر الأسود: ۹۴
ملاحظات هامة: ۹۵
خرافة انحلال الازار: ۹۶
طریق جمع فاشل: ۹۷
ثوبی حجر!! ۹۹
حیاء عثمان: ۱۰۰
أهل الکتاب، و تعرّی الانبیاء: ۱۰۱
ولادة فاطمة بنت الرسول (ص): ۱۰۲
القول الحق: ۱۰۲
الفصل الخامس: بحوث تسبق السیرة ۱۰۴
اشارة ۱۰۴
البحث الأول: إیمان آباء النبی (ص) إلی آدم (ع): ۱۰۴
اشارة ۱۰۴
بعض الأدلة علی إیمانهم: ۱۰۵
استغفار ابراهیم (ع) لابیه: ۱۰۷
ان أبی و أباک فی النار: ۱۰۸
غریبة: ۱۰۹
ملاحظة: ۱۱۰
البحث الثانی بماذا کان یدین النبی (ص) قبل البعثة: ۱۱۰
اشارة ۱۱۰

ملّة ابیکم ابراهیم: ۱۱۲
و وجدک ضالا فهدی: ۱۱۳
أولوا العزم: ۱۱۳
من الأساطیر: ۱۱۳
استلام الاصنام: ۱۱۵
البحث الثالث: شروط النهضة: ۱۱۵
البحث الرابع: العوامل المساعدة علی انتصار الاسلام و انتشاره: ۱۱۸
اشارة ۱۱۸
۱- منطلق الدعوة: مکة: ۱۱۸
۲- خصائص شخصیة الرسول (ص): ۱۱۹
۳- الحالة الاجتماعیة: ۱۲۱
۴- نوع معجزته «صلی اللّه علیه و آله و سلم»: ۱۲۲
۵- بشائر الیهود و النصاری به (ص): ۱۲۳
اشارة ۱۲۳
مناطق سکنی أهل الکتاب: ۱۲۴
اهل الکتاب و هیمنتهم العلمیة علی العرب: ۱۲۵
۶- الفراغ العقائدی و السیاسی: أ: الفراغ العقائدی: ۱۲۶
۷- الحیاة الصعبة، و التضحیة بالنفس: ۱۲۸
۸- بقایا الحنیفیة فی العرب: ۱۲۹
۹- الخصائص و العادات العربیة: ۱۲۹
۱۰- دور أبی طالب، و علی (ع) و أموال خدیجة «علیها السلام»: ۱۳۰
تنبیه هام و ضروری: ۱۳۱
القسم الثانی من البعثة حتی الهجرة ۱۳۲
اشارة ۱۳۲

الباب الأول: من البعثة الى الاعلان بالدعوة ----- ۱۳۲
اشارة ----- ۱۳۲
الفصل الأول: البعثة و المعجزة ----- ۱۳۲
اشارة ----- ۱۳۲
عمر النبى «صلى اللّه عليه و آله و سلم» حين البعثة: ----- ۱۳۲
تاريخ البعثة، و كيفية نزول القرآن: ----- ۱۳۳
بدء الوحى و أول ما أنزل: ----- ۱۳۷
إعجاز القرآن: ----- ۱۳۸
لماذا الأخير فقط: ----- ۱۳۹
بلاغة القرآن: ----- ۱۴۰
البلاغة: ----- ۱۴۰
الإعجاز بالبلاغة كيف؟ و لماذا؟! ----- ۱۴۱
التوضيح و التطبيق: ----- ۱۴۱
ترجمة القرآن و تفسيره: ----- ۱۴۵
للقرآن ظهر و بطن: ----- ۱۴۵
التقوى تعين على فهم القرآن: ----- ۱۴۷
المحكم و المتشابه: ----- ۱۴۷
لابد من وجود المتشابه فى القرآن: ----- ۱۴۸
التأويل: ----- ۱۴۸
الحروف المقطعة فى القرآن ----- ۱۴۹
فقد قال هذا المحقق الذى رمز لنفسه ب «أبو محمد»: ----- ۱۵۰
آخر ما نقوله حول الحروف المقطعة: ----- ۱۵۴
الفصل الثانى: روايات بدء الوحى ----- ۱۵۴
اشارة ----- ۱۵۴

ما روی فی بدء الوحی: ۱۵۵
مناقشة روایات بدء الوحی: ۱۵۷
إشارة: ۱۶۰
وثمة أسئلة أخری: ۱۶۴
و من الطعن فی النبوة أیضا: ۱۶۴
ما هو الصحیح فی قضیة بدء الوحی: ۱۶۶
لماذا الکذب و الافتعال إذن؟! ۱۶۶
النتیجة: ۱۶۹
الفصل الثالث: الدعوة فی مراحلها الاولی ۱۶۹
اشارة ۱۶۹
أول من أسلم: ۱۷۰
بعض ما جاء فی سبق علی الی الإسلام: ۱۷۰
تصریحات أمیر المؤمنین «علیه السلام» فی ذلک: ۱۷۱
دلیل آخر: ۱۷۲
خاتمة المطاف: ۱۷۳
القول بأن خدیجة أول من أسلم: ۱۷۳
أبو بکر، و سبقه إلی الإسلام: ۱۷۴
طریق جمع فاشل: ۱۷۷
هدف الورعین من الجمع بین الروایات. ۱۷۸
مقارنة، و هدف: ۱۷۹
من أسلم بدعایة أبی بکر: ۱۸۰
سر التأکید علی دور أبی بکر: ۱۸۳
هل عمیر بن أبی و قاص من السابقین؟! ۱۸۳
اسلام أبی قحافة: ۱۸۳

الدعوة فی مراحلها، التی اجتازتها: ---- ۱۸۴
المرحلة السریة: ---- ۱۸۴
دخول النبی «صلی اللّه علیه و آله و سلم» دار الأرقم: ---- ۱۸۵
قریش لا تهتم لمرحلة ما قبل الإعلان: ---- ۱۸۶
اسلام ابی ذر رحمة اللّه: ---- ۱۸۶
ما یستفاد من حدیث اسلام أبی ذر: ---- ۱۸۷
الفهارس ---- ۱۸۹
اشارة ---- ۱۸۹
الدلیل الاجمالی للکتاب: ---- ۱۸۹
الدلیل التفصیلی للکتاب: ---- ۱۹۰
تعریف مرکز القائمیة باصفهان للتحریات الکمبیوتریة ---- ۱۹۵

الصحيح من سيره النبى الاعظم صل الله عليه و اله المجلد٢

اشارة

سرشناسه : عاملی، جعفر مرتضی، ۱۹۴۴- م.
عنوان و نام پدیدآور : الصحیح من سیره النبی الاعظم(ص)/ جعفرمرتضی العاملی
مشخصات نشر : سحرگاهان، ۱۴۱۹ق. = ۱۳۷۷.
مشخصات ظاهری : ج ۱۰
شابک : ۱۳۰۰۰۰ریال(دوره کامل) ؛ ۱۳۰۰۰۰ریال(دوره کامل) ؛ ۱۳۰۰۰۰ریال(دوره کامل) ؛ ۱۳۰۰۰۰ریال(دوره کامل) ؛ ۱۳۰۰۰۰ریال(دوره کامل) ؛ ۱۳۰۰۰۰ریال(دوره کامل) ؛ ۱۳۰۰۰۰ریال(دوره کامل) ؛ ۱۳۰۰۰۰ریال(دوره کامل) ؛ ۱۳۰۰۰۰ریال(دوره کامل) ؛ ۱۳۰۰۰۰ریال(دوره کامل) ؛ ۱۳۰۰۰۰ریال(دوره کامل) ؛ ۱۳۰۰۰۰ریال(دوره کامل) ؛ ۱۳۰۰۰۰ریال(دوره کامل) ؛ ۱۳۰۰۰۰ریال(دوره کامل) ؛ ۱۳۰۰۰۰ریال(دوره کامل) ؛ ۱۳۰۰۰۰ریال(دوره کامل) ؛ ۱۳۰۰۰۰ریال(دوره کامل) ؛ ۱۳۰۰۰۰ریال(دوره کامل) ؛ ۱۳۰۰۰۰ریال(دوره کامل)
وضعیت فهرست نویسی : فیپا
یادداشت : عربی.
یادداشت : کتاب حاضر در سالهای مختلف توسط ناشرین مختلف منتشر گردیده است.
یادداشت : افست از روی چاپ بیروت: دار السیره
یادداشت : جلد دهم: الفهارس
یادداشت : کتابنامه
موضوع : محمد (ص)، پیامبر اسلام، ۵۳ قبل از هجرت -۱۱ق -- .سرگذشتنامه
موضوع : اسلام -- تاریخ -- از آغاز تا ۴۱ق.
رده بندی کنگره : BP۲۲/۹/ع۲ص۳ ۱۳۷۷
رده بندی دیویی : ۲۹۷/۹۳
شماره کتابشناسی ملی : م۷۷-۱۵۹۲۹

ایضاحات ضروریة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ
الحمد للّه رب العالمين، الرحمن الرحيم، مالك يوم الدين، إياك نعبد و إياك نستعين، إهدنا الصراط المستقيم.
و الصلاة و السلام على محمد المصطفى، خاتم الأنبياء و المرسلين، و آله الكرام البررة الطيبين الطاهرين.
و اللعنة على أعدائهم أجمعين، من الأولين و الآخرين، إلى يوم الدين.
و بعد ..
فإننى إذ أقدم إلى القراء الكرام هذا الكتاب: «الصحيح من سيرة النبى الأعظم صلى اللّه عليه و آله و سلم» أو «المصطفى من سيرة المصطفى» أرى لزاما علىّ أن أشير- بإختصار- إلى الامور التالية:
١- لقد اعتمدت- بالدرجة الأولى- فيما كتبته هنا على مؤلفات القدماء. أما مراجعتى لمؤلفات المعاصرين، فلا تكاد تذكر؛ لأن ما

راجعته منها، رأيت أنه- عموما- يكرر ما كتبه أولئك، إلا فى كيفية التنسيق و التبويب و الإخراج، ثم التبرير و التوجيه له. بزيادة: أنهم يظهرون

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۲،ص:۶

براعتهم و تفوقهم فى ترصيف الكلمات البراقة، و صياغة الجمل و العبارات الرنانة فى تأييده و تأكيده. من دون أى تحقيق له، أو تدقيق فيه، صحة و فسادا؛ حتى ليخيل إليك: أن تلك النصوص جزء من الوحى الإلهى، الذى لا يتطرق إليه الشك، و لا يرقى إليه الريب، مهما كانت متناقضة و متنافرة؛ إذ لا بد من الجمع بينها، و تمحّل الوجوه لها، و لو كانت مما يأباه كل عقل، و لا يقره وجدان، و لا يرضاه ضمير، حتى إذا لم يمكن ذلك فلا بد من السكوت عنها، و الاعتراف بالعجز عن فهم حقيقة الحال فيها، و ذلك هو أضعف الإيمان.

۲- لقد انصبّ اهتمامى فى هذا الكتاب على الناحية التحقيقية حول صحة، و عدم صحة الكثير مما يدّعى أنه سيرة نبوية، أو تاريخ إسلامى. و لكن بالمقدار الذى يتناسب مع كتاب كهذا، يريد أن يعطى صورة متقاربة الملامح، قدر الإمكان عن فترة زمنية ثرية بالاحداث و المواقف الحساسة، و قد كانت و لا تزال محط النظر- بشكل رئيسى- لأهل المطامح و الأهواء السياسية، و المذهبية، و غيرها.

بل هى أخطر و أهم مرحلة تاريخية على الإطلاق؛ لأنها غيّرت جذريا، و ليس فقط أصلحت كل الأسس و المنطلقات الخاطئة لكل قضايا و شؤون الإنسان و الإنسانية جمعاء.

و قد كانت المهمة فى الحقيقة شاقة و صعبة للغاية. و لكننى رضيت بتحمل ذلك، لأننى أدركت مدى حاجة المكتبة الإسلامية إلى جهد كهذا، مهما كان ناقصا و محدودا؛ ليكون النواة و الخطوة الأولى على طريق اعتماد المنهج التحقيقى العلمى فى التعرف على قضايا التراث، بصورة شمولية، و مستوعبة.

۳- و قد يلاحظ القارىء لهذا الكتاب بعض الفجوات فيه، أو مدا و جزرا فى الشمولية و الاستقصاء.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۲،ص:۷

و له أن يرجع ذلك إلى أن هذا الكتاب قد أعدّ فى فترات زمنية متباعدة، فرضها واقع الظروف التى تمنع الإنسان من الاستفادة من عنصر الوقت على النحو الأفضل و الأمثل.

كما أنه لا يمكن استبعاد حالات النشاط و الخمود الفكرى التى تعترى الانسان تبعا لتفاوت حالات الهدوء و الاستقرار، الأمر الذى يؤثر بشكل واضح على طبيعة ما يكتب، و يظهر فيه شيئا من التفاوت و الاختلاف فى مستوى التعرض لبحوثه و قضاياه.

۴- حيث إن التاريخ الاسلامى- كما سنرى- قد تعرّض لمحاولات جادّة للتلاعب فيه من قبل أصحاب الأهواء السياسية و المذهبية و غيرها، و تسرّبت إليه بعض الترهات و الأباطيل من قبل أهل الكتاب و غيرهم، ثم حاولت الأيدى الأثيمة و الحاقدة أن تعبث به تحريفا، أو تزييفا، فقد أصبح البحث، و الوصول إلى الحقائق فيه على درجة كبيرة من الصعوبة، إن لم يصل إلى حد التعذر أحيانا، فقد كان لا بد لنا من أخذ الأمور التالية بنظر الاعتبار:

أ: إن الاعتماد على نوع معين من المؤلّفات و المؤلفين ربما يتسبب فى حرمان القارىء من الاطلاع على نصوص تناثرت هنا و هناك، و استطاعت أن تخترق الحجب، و تقفز فوق الحواجز الثقيلة، و تصل الينا سليمة- إلى حدّ ما- من التحريف، حين لم ير فيها السياسيون المحترفون خطرا، و لا رأى فيها المتمذهبون المتعصبون ضررا؛ فتركها هؤلاء و أولئك، ليتلقفها عشاق الحقيقة القليلون جدا؛ بعيدا عن غوغائية المتعصبين، و فى مأمن و منأى من جبروت و تعنت الأشرار المحترفين.

ب: إننا رأينا- و الحالة هذه- أن البحث فى الاسانيد، و الإعتماد عليها كمقياس و معيار نهائى فى الردّ و القبول، إنما يعنى: أن علينا أن نقتنع بنصوص قليلة جدا، لا تكاد تفى حتى بالتصور العام، و بالفهرسة

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۲،ص:۸

الإجمالية للسيرة النبوية المباركة، فضلا عن تفصيل أحداث تاريخ صدر الإسلام.

و لسوف نخسر كثيرا من النصوص الصحيحة، التى لم توفق لسند تتوفر فيه أدنى شرائط القبول.

هذا بالإضافة إلى أن الباحث سوف يفقد حرية الحركة، و الربط و الاستنتاج، و لسوف لن يكون لفهمه العميق للأجواء و الظروف و للإتجاهات السياسية و الفكرية و غيرها الذى اكتسبه من الممارسة الطويلة، أية فعالية تذكر فى استخلاص الحقائق، التى أريد لها- لسبب أو لآخر- أن تبقى طى الكتمان، ورهن الإبهام و الغموض.

هذا عدا عن المشكلات الكبيرة التى تواجه الباحث، و لا بد له من التغلب عليها، ليمكن للبحث السندى، أن يكون مقبولا و معقولا لدى أرباب الفكر، و أساطين العلم و المعرفة.

و أهم هذه المشكلات هى مشكلة المعايير و المنطلقات و الضوابط للبحث السندى، و موازين القبول و الرد فيه. و التى يرتكز بعضها على أسس عقائدية أولية، يتطلب البحث فيها وقتا طويلا، و جهدا عظيما. إن لم ينته إلى الطريق المسدود، و يعود ممجوجا و عقيما فى اكثر الأحيان؛ حيث يصّير البعض على اتخاذ منحى لا يتسم بالنزاهة و لا بالموضوعية، خصوصا فى النواحى العقائدية. و لا نملك إزاء هذا النوع من الناس إلا أن نقول:

قاتل اللّه الأهواء، و العصبيات، و المصالح الشخصية و الفئوية.

و على هذا الأساس نقول: إننا إذا كنا قد بحثنا- أحيانا- فى الاسانيد، فقد اعتمدنا فى ذلك الطريقة المعقولة و المقبولة، المبتنية على قاعدة: الزموهم بما الزموا به أنفسهم. ثم الطرق التى يتوافق عليها إن لم يكن كل فأكثر أهل الفرق، و تؤدى إلى نتيجة مقبولة لدى الجميع، و إن

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۲،ص:۹

كان منشأ هذا القبول يختلف بين هؤلاء و أولئك فى أحيان كثيرة.

ج: لقد حتم علينا ذلك المنهج، بالإضافة إلى ما تقدم: أن نتخذ من المبادئ الإسلامية، و من القرآن، و من شخصية و خصائص، و أخلاق الرسول الاعظم «صلى اللّه عليه و آله و سلم» أساسا لتقييم كثير من النصوص المعروضة، و الحكم عليها بالرد أو القبول من خلال انسجامها مع ذلك كله، أو عدم انسجامها معه.

و ذلك ينسحب على كل شخصية استطعنا الحصول على فهم عام لسيرتها، و لخصائصها و أخلاقها، و مواقفها، و اتجاهاتها.

د: هذا بالاضافة إلى الكثير من أدوات البحث، التى توفرها الممارسة الطويلة فى هذا الاتجاه، كتناقض النصوص، و الامكانية التاريخية، من خلال المحاسبات التاريخية الدقيقة. و غير ذلك من وسائل استفدنا منها فى بحوثنا هذه، مما سوف يقف عليه القارئ الكريم لهذا الكتاب.

۵- و بعد، فإن الكل يعلم: ان المسلمين قد اهتموا بتدوين تاريخ الإسلام، بشكل لا نظير له لدى أى من الأمم الأخرى، فهو بحق و برغم كل المحاولات أثرى تاريخ أمة و اغناه على الإطلاق.

و حيث إن البحث فى جميع جوانبه أمر متعسر، بل متعذر علينا، فقد آثرنا الاكتفاء بالبحث فى جانب يستطيع أن يهيئ لنا تصورا عاما، و هيكلية متقاربة الملامح و السمات، عن حياة نبينا الأكرم محمد «صلى اللّه عليه و آله و سلم».

۶- لسوف يجد القارئ لهذا الكتاب أننى حاولت الإقتصار على أقل قدر ممكن من الشواهد و الدلائل و مصادرها المأخوذة منها. مع علمى بأن بالامكان حشد أضعاف ذلك فى تأييد و تأكيد الحقائق التى أوردتها بشكل عام.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۲،ص:۱۰

۷- اننى قد نسبت كل شىء استفدته أو استشهدت به إلى قائله، أو كاتبه و ناقله، فأما الافكار التى لا مصدر لها، فهى جهد شخصى، لم

أعتمد فيه على أحد.

۸- و أخيرا، فقد كانت الفرصة تسنح أحيانا، فى فترات الاحساس بشىء من النشاط الفكرى لتسجيل بعض الملاحظات أو الإلتفاتات أو التفسيرات لبعض المواقف أو القضايا و الأحداث.

و هى و إن كانت لا تصل فى الأكثر إلى مستوى البحث الكامل و الشامل؛ لأنها جاءت على الأكثر بصورة عفوية، و مرتجلة، لم يسبقها إعداد، و لا مراجعة، و لا مطالعة. إلا أنها تعتبر- على الأقل- بمثابة استراحات للقارئ الكريم، كما كانت استراحات للكاتب نفسه من قبل.

و للقارئ الخيار بعد هذا فى أن يحكم لها أو عليها. و إذا كان حكمه لها فهو بالخيار أيضا فى أن يتلمس فيها شيئا من العمق، أو بعضا من الجمال.

و فى الختام، فإننى أرجو من القارئ الكريم أن يتحفنى بآرائه، و مؤاخذاته و لسوف أكون له من الشاكرين.

و الحمد للّه، و الصلاة و السلام على عباده الذين اصطفى محمد و آله الطيبين الطاهرين.

ايران- قم المشرفة ۱۶/ ۱۲/ ۱۴۰۰ ه. ق.

جعفر مرتضى الحسينى العاملى

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۲،ص:۱۱

القسم الأول: ما قبل البعثة

اشارة

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۲،ص:۱۳

الفصل الأول: ما قبل الميلاد

اشارة

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۲،ص:۱۵

البداية الطبيعية:

إن من البديهى: أن البداية الطبيعية و المعقولة لتاريخ الإسلام، و أعظم ما فيه و هو سيرة النبى الأكرم «صلى اللّه عليه و آله و سلم» تحتم علينا اعطاء لمحة خاطفة عن تاريخ ما قبل البعثة، و ما اتصل بها من احداث سبقتها، لنتعرف على الأجواء و المناخات التى انطلقت فيها دعوة الدين الحق، و هو دين الإسلام فنقول:

الوضع الجغرافى لشبه جزيرة العرب:

هى شبه جزيرة مستطيلة يحدها شمالا: الفرات، و آخر قطعاتها بادية الشام و السماوة، و فلسطين، و شرقا خليج فارس، و جنوبا خليج عدن، و المحيط الهندى، و غربا: البحر الأحمر «۱».

و لا يعنينا الوضع الجغرافى هنا إلا فى النواحى التالية:

الأولى: إنه لم يكن فى جزيرة العرب حتى نهر واحد، بالمعنى الصحيح للكلمة «۲»، و أكثرها جبال، و أودية، و سهول جرداء، لا تصلح

(۱) راجع: المفصل فى تاريخ العرب قبل الإسلام: ج ۱ ص ۱۴۰ فما بعدها.

(۲) المفصل فى تاريخ العرب قبل الإسلام: ج ۱ ص ۱۵۷ فما بعدها.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۲،ص:۱۶

للزراعة و العمل. و من ثم فهى لا تساعد على الإستقرار، و تنظيم الحياة.

و من هنا فقد كان أكثر سكانها، بل قيل: خمسة أسداسهم من البدو الرحل، الذين يمسون فى مكان، و يصبحون فى آخر.

الثانية: إن هذا الوضع قد جعل هذه المنطقة فى مأمن من فرض السيطرة عليها، من قبل الدولتين العظميين آنئذ: الرومان، و الفرس، و غيرهما؛ فلم تتأثر المنطقة بمفاهيمهم و أديانهم كثيرا. بل لقد هرب اليهود من حكامهم الرومان إلى جزيرة العرب، و احتموا فيها فى يثرب (المدينة) و غيرها.

و قد نشأت عن هذا الوضع للجزيرة العربية، ظاهرة الدويلات القبلية، فلكل قبيلة حاكم، و كل ذى قوة له سلطان.

الثالثة: إن هذه الحياة الصعبة، و هذا الحكم القبلى، و عدم وجود روادع دينية، أو وجدانية قوية، قد دفع بهذه القبائل إلى ممارسةالإغارة و السلب ضد بعضها البعض، كوسيلة من وسائل العيش أحيانا، و أحيانا لفرض السيطرة و السلطان، و أحيانا أخرى للثأر و إدراك الأوتار، إلى آخر ما هنالك، فتغير هذه القبيلة على تلك؛ فتستولى على اموالها، و تسبى نساءها و أطفالها، و تقتل أو تأسر من تقدر عليه من رجالها. ثم تعود القبيلة المنكوبة لتتربص بهذه الغالبة الفرصة لمثل ذلك، و هكذا.

و من هنا، فإن من الطبيعى أن يكون شعور أفراد كل قبيلة بالنسبة لأبناء قبيلتهم قويا جدا، بدافع من شعورهم بالحاجة إلى بعضهم البعض للدفاع عن الحياة، و الكفاح من أجلها، مما كان سببا قويا لزيادة حدّة التعصب القبلى، الذى لا يرثى، و لا يرحم، و لا يلين، حيث لا بد من الوقوف إلى جانب إبن القبيلة، سواء أكان الحق له، أو عليه، حتى لقد قال شاعرهم يتمدحهم بذلك:

لايسألون أخاهم حين يندبهمفى النائبات على ما قال برهانا

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۲،ص:۱۷

و من الجهة الأخرى، فإن القبيلة تتحمل كل جناية أو جريمة يرتكبها أحد أبنائها، و تحميه من كل من أراده بسوء. بل يكون أخذ الثأر من غير الجانى إذا كان من قبيلته كافيا و شافيا للموتورين، الذين يريدون شفاء ما فى نفوسهم، و إدراك أوتارهم.

الحضر فى شبه جزيرة العرب:

أما الحضر فى جزيرة العرب، و هم الذين يسكنون المدن، و يستقرون فيها، فإنهم و إن كانوا فى حياتهم أرقى من العرب الرحل، إلا أن رقيهم هذا لم يكن بحيث يجعل الفارق بينهما كبيرا.

و من هنا، فإننا نلاحظ تشابها كبيرا فيما بينهما فى العقلية، و فى المفاهيم، و فى العادات و التقاليد، و أساليب الحياة، و بدائيتها. هذا إن لم نقل: إن العرب الرحل كانوا أصح أبدانا، و أفصح لسانا، و أقوى جنانا، و أصفى نفسا، و فكرا و قريحة.

و لكن امتياز هؤلاء و أولئك فى بعض الأمور لم يكن إلى الحد الذى يحتم على الباحث فصل الحديث عنهما، و لا سيما بالنسبة الى أولئك الحضريين الذى يسكنون الحجاز.

و الخلاصة: إننا إذا كنا لم نجد فى تاريخ ما قبل الإسلام ما يبرر نسبة التفوق إلى أحد الطرفين على الآخر، كما يتضح من كلمات أمير المؤمنين الآتية و غيرها، فليس فى فصل الحديث عنهما كبير فائدة، و لا جليل أثر.

الحالة الإجتماعية عند العرب:

و إن من يطالع كتب التاريخ سيرى بوضوح إلى أى حد كانت الحالة الإجتماعية مترديۀ فى العصر الجاهلى. و قد قدمنا: ان السلب و النهب و الإغارۀ، و التعصب القبلى، و غير ذلك قد كان من مميزات الإنسان

الصحيح من السيرۀ النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۲،ص:۱۸

العربى، حتى إنه إذا لم تجد القبيلۀ من تغير عليه من أعدائها أغارت على أصدقائها، و حتى على أبناء عمها، يقول القطامى:

و كن إذا أغرن على قبيلو أعوزهن نهب حيث كانا

أغرن من الضباب على حلال «۱»و ضبۀ إنه من حان حانا

و أحيانا على بكر أخيناإذا ما لم نجد إلا أخانا

و لقد رأينا: أن تلك الظروف الصعبۀ، و الفقر و الجوع، و الخلافات التى كانوا يعانون منها، و المفاهيم الخاطئۀ التى كانت تعيش فى أذهانهم- و خصوصا عن المرأۀ-.

و كذلك ظروف الغزو و الإغارۀ، التى تعنى سبى النساء و الأطفال، قد دفعتهم إلى قتل أو وأد أولادهم، و لا سيما البنات. و كان ذلك فى قبائل تميم، و قيس، و أسد، و هذيل، و بكر بن وائل «۲».

بل إننا نستطيع أن نعرف مدى شيوع الوأد بينهم من تعرض القرآن لهذه المسألۀ، و ردعه لهم عنها، و إدانتها، قال تعالى: وَ لا تَقْتُلُوا أَوْلادَكُمْ مِنْ إِمْلاقٍ نَحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَ إِيَّاهُمْ «۳».

و قال أيضا: وَ إِذَا الْمَوْؤُدَةُ سُئِلَتْ* بِأَيِّ ذَنْبٍ قُتِلَتْ «۴».

كما أننا نجده «صلى اللّه عليه و آله و سلم» قد نص على ذلك فى بيعۀ العقبۀ و قد قال محمد بن إسماعيل التيمى، و غيره- تعليقا على هذا:

خص القتل بالأولاد؛ لأنه قتل و قطيعۀ رحم؛ فالعنايۀ بالنهى عنه آكد؛

---

(۱) الضباب إسم قبيلۀ. و الحلال: المجاور.

(۲) راجع شرح النهج للمعتزلى ج ۱۳ ص ۱۷۴.

(۳) سورۀ الأنعام، الآيۀ: ۱۵۱.

(۴) سورۀ التكوير، الآيات: ۸- ۹.

الصحيح من السيرۀ النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۲،ص:۱۹

و لأنه كان شائعا فيهم، و هو وأد البنات و قتل البنين، خشيۀ الإملاق إلخ «۱»».

و يقول البعض: «كان هذا الوأد- على رأى بعض الباحثين- فى عامۀ قبائل العرب» يستعمله واحد، و يتركه عشرۀ؛ أو كان على الاقل معروفا فى بعض القبائل كربيعۀ، و كنده، و تميم «۲».

المرأۀ فى الجاهليۀ:

و قد كانت حياۀ المرأۀ فى الجاهليۀ أصعب حياۀ؛ حيث لم يكن لها عندهم قيمۀ أبدا، و قد كتب الكثير عن هذا الموضوع؛ و لذا فلا نرى حاجۀ كبيرۀ للتوسع فيه، و يكفى أن نذكر هنا قوله تعالى:

وَ إِذا بُشِّرَ أَحَدُهُمْ بِالْأُنْثى ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَ هُوَ كَظِيمٌ، يَتَوارى مِنَ الْقَوْمِ مِنْ سُوءِ ما بُشِّرَ بِهِ، أَ يُمْسِكُهُ عَلى هُونٍ، أَمْ يَدُسُّهُ فِي التُّرابِ، أَلا ساءَ ما يَحْكُمُونَ «۳».

و سياق الآيۀ الكريمۀ يشير إلى كثرۀ ذلك و شيوعه فيهم.

و من ذلك نعرف ان الخضرى قد حاول تكذيب القرآن، حينما ادعى: أن العربى قبل الإسلام كان يحترم المرأة و يجلها «۴».

نعوذ باللّه من الخذلان، و من وساوس الشيطان.

كما أن فيه تكذيبا للخليفة الثانى عمر بن الخطاب، الذى يقول:

«و اللّه، إن كنا فى الجاهلية ما نعد للنساء أمرا حتى أنزل اللّه فيهن ما أنزل،

---

(۱) فتح البارى ج ۱ ص ۶۱.

(۲) راجع: النظم الإسلامية ص ۴۴۲/ ۴۴۳.

(۳) النحل: ۵۸- ۵۹.

(۴) محاضرات تاريخ الأمم الإسلامية للخضرى ص ۱۷- ۲۰

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۲،ص:۲۰

و قسم لهن ما قسم» «۱».

شواهد عن حالة العرب فى الجاهلية:

و عن حالة العرب فى الجاهلية يكفى أن نذكر بعض ما قاله سيد الخلق بعد الرسول على أمير المؤمنين «عليه السلام» فمن ذلك قوله «عليه السلام» «بعثه و الناس ضلال فى حيرة، و حاطبون فى فتنة، قد استهوتهم الأهواء، و استزلتهم الكبرياء، و استخفتهم الجاهلية الجهلاء، حيارى فى زلزال من الأمر، و بلاء من الجهل» «۲».

و قال «عليه السلام»: «و أنتم معشر العرب على شر دين، و فى شرّ دار، تنيخون بين حجارة خشن، و حيات صم، تشربون الكدر، و تأكلون الجشب، و تسفكون دماءكم، و تقطعون أرحامكم، الأصنام فيكم منصوبة، و الآثام فيكم معصوبة» «۳».

و قال «عليه السلام»: «فالأحوال مضطربة، و الأيدى مختلفة، و الكثرة متفرقة، فى بلاء أزل، و أطباق جهل، من بنات موؤودة، و أصنام معبودة، و أرحام مقطوعة، و غارات مشنونة» «۴».

و كلمات أمير المؤمنين هنا حجة دامغة على كل مكابر متعصب.

و هناك كلمات كثيرة له «عليه السلام» فى هذا المجال؛ فمن أرادها فليراجع نهج البلاغة و غيره.

---

(۱) صحيح البخارى ط سنة ۱۳۰۹: ج ۳ ص ۱۳۳.

(۲) نهج البلاغة الذى بهامشه شرح الشيخ محمد عبده الخطبة ۹۱. و الإمامة و السياسة:

ج ۱ ص ۱۵۴.

(۳) نهج البلاغة، عبده، الخطبة ۲۵.

(۴) نهج البلاغة، عبده، الخطبة ۱۸۷.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۲،ص:۲۱

و يقال: إن المغيرة بن شعبة قد قال ليزد جرد: «.. و أما ما ذكرت من سوء الحال، فما كان أسوأ حالا منا، و أما جوعنا فلم يكن يشبه الجوع، كنا نأكل الخنافس و الجعلان، و الحيات، و نرى ذلك طعامنا. أما المنازل فإنما هى ظهر الأرض. و لا نلبس إلا ما غزلنا من أوبار الإبل، و أشعار الغنم؛ ديننا أن يقتل بعضنا بعضا، و أن يبغى بعضنا على بعض، و ان كان أحدنا ليدفن إبنته و هى حية، كراهية أن تأكل من طعامه» «۱».

و لابن العاص أيضا كلام يشير إلى بعض ذلك؛ فمن أراده فليراجعه فى مصادره «۲».

علوم العرب:

لقد أوضح لنا الإمام أمير المؤمنين «عليه السلام» فى كلماته المتقدمة حالة العرب، و مستواهم العلمى و الثقافى، و أنهم كانوا يعيشون فى ظلمات الجهل، و الحيرة، و الضياع.

و هذا يكذب كل ما يدعيه الآخرون- كالآلوسى و غيره- من أن العرب كانوا قد تميزوا ببعض العلوم، كعلم الطب، و الأنواء، و القيافة، و العيافة، و السماء، و نحو ذلك ..

و قال بعضهم: «خصت العرب بخصال: بالكهانة، و القيافة، و العيافة و النجوم، و الحساب» «۳».

فإن ما كان عندهم من ذلك هو مجرد ملاحظات بسيطة ساذجة،

---

(۱) البداية و النهاية ج ۷ ص ۴۲ و الطبرى ج ۳ ص ۱۸. و حياة الصحابة ج ۱ ص ۲۲۰ و لكلامه هذا نص آخر ذكره فى الأخبار الطوال ص ۱۲۱.

(۲) مجمع الزوائد ج ۸ ص ۲۳۷، عن الطبرانى و حياة الصحابة ج ۳ ص ۷۷۰ عن المجمع.

(۳) الموفقيات ص ۳۶۲/ ۳۶۳.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۲،ص:۲۲

مبنية على الحدس و التخمين، متوارثة عن مشايخ الحى و عجائزه.

و هذا هو رأى ابن خلدون أيضا، الذى كان يرى: أن علم الطب عندهم لا يتعدى معلومات أولية، و ملاحظات بسيطة، لا تستحق أن تسمى علما، و لا شبه علم.

و مثل هذا يقال عنهم فى علم الانواء و السماء؛ فضلا عما يسمى بالقيافة، و العيافة. هذا عدا عن أن بعض هذه الأمور، لا تستحق أن يطلق عليها إسم «علم».

و يكفى أن نذكر هنا: أنهم كانوا أميين، لا يعرفون القراءة و الكتابة أصلا، إلا من شذ منهم، حتى ليذكرون: انه «صلى اللّه عليه و آله و سلم» أرسل رسالة إلى قبيلة بكر بن وائل؛ فلم يجدوا قارئا لها فى القبيلة كلها.

و قرأها لهم رجل من بنى ضبيعة فهم يسمون: بنى الكاتب «۱».

و يروى البلاذرى: أن الاسلام قد دخل، و فى قريش سبعة عشر رجلا فقط، و فى الأوس و الخزرج فى المدينة إثنا عشر رجلا يعرفون القراءة و الكتابة «۲».

و قال ابن عبد ربه: «جاء الإسلام و ليس أحد يكتب بالعربية غير سبعة عشر إنسانا». ثم عدهم فذكر عليا «عليه السلام» أولا «۳».

---

(۱) مجمع الزوائد ج ۵ ص ۳۰۵، و قال: إن رجاله رجال الصحيح، عن أحمد، و البزار، و أبى يعلى، و الطبرانى فى الصغير، عن أنس، و مرثد بن ظبيان. و راجع:

كشف الأستار، عن مسند البزار ج ۲ ص ۲۶۶. و المعجم الصغير ج ۱ ص ۱۱۱.

(۲) فتوح البلدان ط أوروبا ص ۴۷۱ فما بعدها، و ص ۸۰ فى القسم الثالث من الطبعة التى حققها صلاح الدين المنجد. و إن كنا نناقش فى بعض من عدّهم فى من يكتب أو يقرأ كعمر بن الخطاب، الذى سيأتى فى قضية إسلامه: أنه لم يكن يعرف حتى القراءة.

(۳) العقد الفريد: ج ۴ ص ۱۵۷.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۲،ص:۲۳

و يرى إبن خلدون: أن أكثرهم كان لا يتقنها، بل كان بدائيا، و ضعيفا فيها بشكل ملحوظ.

و يلاحظ من أسمائهم: أن أكثرهم قد تعلمها بعد ظهور الإسلام، و ذكر إسم على «عليه السلام» يدل على ذلك.

بل ربما كانوا يعتبرون القراءة و الكتابة عيبا؛ فقد قال عيسى بن عمر: «قال لى ذو الرمة: إرفع هذا الحرف. فقلت له: أتكتب؟ فقال بيده على فيه، أى أكتم على؛ فإنه عندنا عيب» «۱».

و فى حديث أبى هريرة: تعربوا يا بنى فروخ، فإن العرب قد أعرضت، أى عن العلم «۲».

هذا، مع أن قريشا كانت أعظم قبيلة شأنا و خطرا، و نفوذا فى الحجاز كله.

و مع أن التجارة تتطلب مثل ذلك عادة، و كان الأوس و الخزرج أيضا فى المرتبة الثانية بعد قريش، تحضرا و نفوذا فى الحجاز.

فإذا كان مستواهم الثقافى هو هذا، فمن الطبيعى ان يصير لليهود عموما و للنصارى- و لو بصورة أضعف- هيمنة فكرية كبيرة، و أن ينظر إليهم العرب نظرة التلميذ إلى معلمه، و لربما نشير إلى ذلك فيما يأتى إن شاء اللّه تعالى.

هذا، و من الأمور الجديرة بالملاحظة هنا: أن أمية العرب كانت هى السر فى قوة الحافظة عندهم. و لكنها عادت إلى الضعف التدريجى،

---

(۱) الشعر و الشعراء لابن قتيبة ص ۳۳۴. و التراتيب الإدارية: ج ۲ ص ۲۴۸.

(۲) مشكل الآثار: ج ۳ ص ۵۶.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۲،ص:۲۴

حسب نسبة اعتمادهم على الكتابة فى العصور المتأخرة، إبتداء من عصر التدوين.

و لسوف نشير إن شاء اللّه تعالى فى غزوة بدر من هذا الكتاب، الى مدى الأهمية التى اولاها الاسلام لمحو الأمية، حتى لقد ورد أنه «صلى اللّه عليه و آله و سلم» قد جعل فداء الأسير فى غزوة بدر تعليم عشرة من أطفال المسلمين القراءة و الكتابة كما سيأتى. و قد كانت بدر أدق مرحلة يمر بها الإسلام و المسلمون فى دعوتهم الى اللّه، و حربهم مع المشركين.

و خلاصة القول: إن جهل العرب كان هو الحاكم المطلق، و لا نلاحظ أية ظاهرة للنبوغ فيهم قبل الإسلام، بل على العكس من ذلك يمكن ملاحظة الكثير مما كان يزيدهم إمعانا فى الجهل و الحيرة و الضياع

ميزات و خصائص:

لقد امتاز العرب قبل الإسلام ببعض الصفات التى تمدحهم الناس و أثنوا عليهم لأجلها. و هى صفات قليلة بالنسبة الى ما يقابلها من صفات و عادات ذميمة. و لكننا إذا دققنا النظر فيها فإننا لا نجد فيها ما يوجب مدحا بل ربما كانت فى كثير من الاحيان موجبة لعكس ذلك تماما.

لأن ما يعطى للشىء قيمته الحقيقة من أى نوع كانت هو دوافعه و منطلقاته، و أهدافه. و نحن لا نجد فى تلك الأمور المنسوبة الى العرب ما يبرر تمدحهم من أجلها؛ لا من حيث المنطلقات و الدوافع، و لا من حيث الأهداف و الغايات، كما سنرى.

ولكن حين جاء الإسلام، و تغيرت تلك الدوافع و الأهداف، أصبحت تلك الصفات ذات قيمة، و صاروا يستحقون عليها التكريم و التقدير.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۲،ص:۲۵

من امتيازات العرب:

لقد امتاز العرب بالصفات التالية:

۱- بالكرم و حسن الضيافة- و هذا هو الأمر الوحيد الذى احتج به أبو سفيان على صحة دينه!! حيث قال لكعب بن الأشرف: «أديننا أحب إلى اللّه أم دين محمد و أصحابه؟ و أينا أهدى فى رأيك، و أقرب الى الحق؟ إنا نطعم الجزور الكوماء، و نسقى اللبن على الماء، و نطعم ما هبت الشمال.

فقال له إبن الأشرف: أنتم أهدى منهم سبيلا (!!!)» «۱».

ولكن ذلك فى الحقيقة لا يمكن أن يعد فضيلة للعرب، إلا إذا ثبت أن بذلهم للمال كان نابعا من إيمان العربى بمثل أعلى، يدفعه إلى البذل و العطاء، أو أنه كان نابعا من عاطفة إنسانية، مصدرها رؤيا حاجة الآخرين، و التفاعل معها، بحيث يندفع إلى العطاء و البذل بنفسه، و من دون سؤال او تحريك.

مع أننا نجد أن الدافع لذلك كان فى كثير من الاحيان ليس هو المثل العليا، و لا العاطفة الإنسانية، و إنما هو إبعاد العار، و التحرز من هجاء الشعراء، و حتى لا يسير ذكرهم فى البلاد فى اللؤم و الخسة، و لا تتعرض أعراضهم و كراماتهم للهدر، أو أملا بحسن الذكر، و طيب الاحدوثة؛ أو طمعا بزعامة قبيلة او منافسة قرين. و الشواهد على ذلك فى التاريخ غير قليلة و الإستثناء لا يلتفت إليه.

بل نجد ان زيد الخيل حين يريد ان يعطى البعض، قد وعده بالعطاء بعد أن يشن الغارة، فلما شن الغارة على بنى نمير بالملح و أصاب

---

(۱) البداية و النهاية: ج ۴ ص ۶، و السيرة النبوية لابن كثير: ج ۳ ص ۱۱.

و مصادر ذلك كثيرة ستأتى فى أول غزوة الخندق إن شاء اللّه.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۲،ص:۲۶

مائة بعير، أعطاه إياها «۱».

مع ان شن الغارة معناه التسبب فى قتل الرجال و حتى الاطفال و النساء و الشيوخ و سبيهم، و الإستيلاء على أموالهم، و هدر كراماتهم.

و زيد الخيل هو من رجال العرب المعروفين، و يضارع حاتم الطائى فى الشهرة و السؤدد.

هذا، و لا بد من الإشارة أخيرا الى ان عجز البدوى تجاه قوى الطبيعة القاسية، التى تستولى على الصحراء، من شأنه أن يولد فيه الشعور بضرورة الضيافة، و ضرورة البذل، حيث لا يمكنه حمل قوته فى سفره الشاق الطويل، الذى يمتد عشرات الأيام. و هو مضطر الى السفر بين حين و آخر بحثا عن الماء و الكلأ، و لغير ذلك من أمور.

۲- حميتهم و عصبيتهم، و هذه فى الحقيقة صفة ذميمة، إذ أنهم يرون أن النصر لا بد أن يكون لذوى قرابتهم، و لابن قبيلتهم، و أن العون لا بد أن يمحض له، ظالما كان أو مظلوما.

و قد نعى القرآن عليهم ذلك، و عبر عنها ب «حمية الجاهلية» «۲»، لأنها مبنية على الجهل، و عدم التثبت.

و قد تقدم ما يشير إلى سر نشوء ذلك فيهم، فلا نعيد.

۳- الشجاعة: و إنما يستحق صاحبها المدح و الذم بملاحظة الأهداف فى الموارد التى يستعملها فيها، فإذا استعملت فى مورد حسن؛ إستحق صاحبها مدحا، و إلا فذما. و لهذا فليس هناك أشجع من الأسد، ولكن ذلك لا يعتبر فضيلة له.

و نحن إذا دققنا النظر فإننا نجد: أن سر شجاعة العرب هو أنهم

---

(۱) الأغانى ط دار إحياء التراث العربى (بيروت): ج ۱۷ ص ۲۵۵.

(۲) سورة الفتح/ ۲۶.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۲،ص:۲۷

بحكم بيئتهم و حياتهم فى الصحراء، بلا حواجز و موانع طبيعية أو غيرها.

و مواجهتهم الخطر المستمر من الحيوان، و من بنى الإنسان على حد سواء، يشعر كل فرد منهم: أنه مسؤول عن حماية نفسه، و الدفاع عنها بنفسه، و لا يرد عنه إلا يده و سيفه، ما دام أنه فى كل حين عرضة للغزو، و النهب، و السلب، و أخذ الثارات منه.

هذا بالإضافة إلى أنه لا يأكل فى كثير من الاحيان إلا من سيفه و يده، و إلا فإنه هو نفسه يكون عرضة لأن يؤكل، فمن لم يكن شجاعا فاتكا أكل، أو على الأقل لم يستطيع أن يأكل، فكأنهم يتعاملون بمنطق؛ إن لم تكن ذئبا أكلتك الذئاب، و بعد فهل يمدح الذئب على فتكه بفريسته، و تمزيقه لها؟! إلا إذا كان هذا الفتك من منطلق الدفاع عن المثل أو القيم، أو عن الضعيف الذى يحتاج إلى الناصر، أو ما إلى ذلك.

۴- النجدة و الإقدام: و لا يختلف الكلام فى ذلك عن الكلام فى الشجاعة، إلا أننا نشير هنا إلى أن ذلك يرجع لإطمئنانه إلى أنه غير مسؤول عما يعمل، بل هو منصور من قبل قبيلته على كل حال، ظالما كان او مظلوما.

يضاف إلى ذلك: أن حياة البادية و الغزو المفاجئ، و عمليات الإغتيال ثأرا، و غير ذلك من أخطار كانت تتهددهم باستمرار، كل ذلك يستدعى سرعة الإقدام، و مباشرة العمل فورا، فإذا أضيف الى ذلك شعورهم بعدم المسؤولية عن كل ما يحصل، فإن الإقدام بلا ترو و لا تريث؛ لا بد أن يصبح هو الصفة المميزة لهم، و الطاغية على تصرفاتهم.

و لا بد ان نشير هنا: إلى أن قدرتهم على الانتقام فورا من شأنها أن تجعل فيهم حساسية متناهية؛ و لذا قل أن تجد فيهم حليما، إلا من بعض المسنين، أو أصحاب الهمم العالية، او الجبناء، الذين يتخذون الحلم وسيلة لتغطية إنهزاميتهم.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۲،ص:۲۸

۵- الأنفة و العزة، و الإعتداد بالنفس، و النزوع الى الحرية، و قوة الإرادة و الفصاحة، و قوة البيان؛ و الجوار.

و الكلام فيها لا يختلف كثيرا عما تقدم، فإن هذه الصفات لا تستحق مدحا أو ذما إلا بملاحظة الدوافع و الأهداف التى تكون من أجلها، أو تستعمل فيها.

و منشأ هذه الصفات فيهم بالإضافة الى ما تقدم، هو عدم تعرضهم للخضوع الى سلطة مركزية، تحاول الهيمنة عليهم، و فرض النظام فيهم، و لو بالإذلال، و القهر، مما من شأنه أن يعطيهم حرية فى التصرف، و الحركة، و القول، و ما الى ذلك.

۶- و أخيرا، الوفاء بالعهد: و هو أمر حسن فى نفسه و لا بأس به، إلا أن يكون عهدا مضرا بالمجتمع.

و هذا الوفاء أيضا أمر قد فرضته عليهم طبيعة حياتهم التى أشرنا إليها آنفا.

و أما حلف الفضول، الذى هو أشرف حلف فى العرب، فمصدره فى الحقيقة بنو هاشم، و كذا حلف عبد المطلب مع خزاعة، فلا يعبر ذلك عن خلقيات سائر العرب.

و قد اتضح من كل ما تقدم: أن كل تلك الصفات ليست جديرة بأن تعتبر فضائل أخلاقية، و صفات إنسانية، إلا حينما كانت تصدر عن خلق فاضل، و إنسانية كريمة، أو عن تقوى و شعور دينى، و إلا فقد تكون على العكس من ذلك، إذا عبرت عما يناقض ذلك و ينافيه.

الإسلام و تلك الصفات:

لقد حاول الإسلام أن يضع تلك الصفات فى خطها الصحيح، و أن

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۲،ص:۲۹

يجعلها تنطلق من قواعد إنسانية، و عواطف صافية و حقيقة، و فضائل أخلاقية، و بالأخص من إحساس دينى صحيح، و ليستفيد منها-

من ثم- فى بناء الأمة على أسس صحيحة و سليمة.

أماما كان منها لا يصلح لذلك، فقد كان يهتم بالقضاء عليه، و إستئصاله بالحكمة، و الموعظة الحسنة، كلما سنحت له الفرصة، و واتاه الظرف.

فمثلا، نلاحظ: أنه قد حاول أن يجعل المنطلق للكرم، و بذل المال، هو العاطفة الإنسانية، و الشعور بحاجة الآخرين، كما يظهر من كثير من النصوص، هذا بالاضافة إلى طلب الأجر و المغفرة من اللّه تعالى، و ذلك هو صريح قوله تعالى: وَ يُطْعِمُونَ الطَّعامَ عَلى حُبِّهِ مِسْكِيناً وَ يَتِيماً وَ أَسِيراً إِنَّما نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ لا نُرِيدُ مِنْكُمْ جَزاءً وَ لا شُكُوراً «۱» بل لقد تعدى ذلك و تخطاه إلى تمدح الإيثار على النفس، حتى فى موقع الخصاصة و الحاجة الملحة، فقال تعالى: وَ يُؤْثِرُونَ عَلى أَنْفُسِهِمْ، وَ لَوْ كانَ بِهِمْ خَصاصَةٌ «۲».

أما العصبيات القبيلة، فقد حاول أن يوجهها وجهة بناءة و يقضى على كل عناصر الشر و الإنحراف فيها، فدعا إلى بر الوالدين، و إلى صلة الرحم، و جعل ذلك من الواجبات، حينما يكون سببا فى تلاحم و ربط المجتمع بعضه ببعض.

و لكنه أدان كل تعصب لغير الحق، و نددبه، و عاقب عليه، و اعتبر ذلك من دعوات الجاهلية المنتنة، كما هو صريح بعض النصوص التى سنشير إليها فى السيرة النبوية، إن شاء اللّه تعالى.

---

(۱) سورة الإنسان، الآية ۸- ۹.

(۲) الحشر ۹.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۲،ص:۳۰

و كذلك فإنه قد حاول أن يوجه الشدة و القسوة إلى حيث تكون فى صالح الدين و الإنسان. و مثمرة للحق و الخير، و الحفاظ عليهما.

و النصوص الدالة على ذلك كثيرة جدا، و يكفى أن نشير إلى قوله تعالى:

أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ، رُحَماءُ بَيْنَهُمْ «۱» و قوله تعالى: يا أَيُّهَا النَّبِيُّ جاهِدِ الْكُفَّارَ وَ الْمُنافِقِينَ وَ اغْلُظْ عَلَيْهِمْ «۲» و قاتِلُوا الَّذِينَ يَلُونَكُمْ مِنَ الْكُفَّارِ وَ لْيَجِدُوا فِيكُمْ غِلْظَةً «۳» و الآيات و الروايات فى هذا المجال كثيرة جدا، فهو يريد الشدة فى دفع الظلم و الإنحراف. و الحفاظ على الحق، و أن لا تأخذ المؤمن فى اللّه لومة لائم. و يريد أن تتحول هذه الشدة إلى رحمة و حنان و سلام فيما بين المؤمنين أنفسهم.

و هكذا يقال بالنسبة إلى سائر الصفات المتقدمة، فإن من يراجع النصوص القرآنية، و الاحاديث الواردة عن النبى «صلى اللّه عليه و آله و سلم» و عن آله المعصومين «عليهم السلام»، لا يبقى لديه أدنى شبهة فيما ذكرناه من أن الإسلام قد صب كل اهتمامه على توجيه الصفات الحسنة، و التصرف فى دوافعها و أهدافها، و جعلها تصب فى مصلحة الدين و الأمة، و القضاء على الصفات الذميمة، التى تقضى على سعادة البشر، و تهدم بناء الحق الشامخ.

و لسوف يأتى فى الفصل الثالث، حين الكلام عن العوامل التى ساعدت على انتشار الإسلام و انتصاره، أن هذه المميزات و الخصائص قد أدت دورا هاما فى ذلك، فإلى هناك.

---

(۱) الفتح ۲۹.

(۲) التوبة ۷۳.

(۳) التوبة ۱۲۳.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۲،ص:۳۱

متى كان بناء مكة:

اشارة

لا- نستطيع أن نحدد بدقة تاريخ بناء مكة، و اتساعها حتى صارت جديرة باسم: «أم القرى». و قد يقال: إن بدء بنائها كان قبل بناء ابراهيم «عليه السلام» للبيت، حسبما تشير إليه بعض الروايات، بل و يدل عليه قول اللّه تعالى حكاية عن إبراهيم: رَبِّ اجْعَلْ هَذَا الْبَلَدَ آمِناً «۱».

و عليه، فما يحاول البعض إثباته، من أن قصيا هو أول من بنى مكة، و كان البيت وحيدا فى الصحراء، و كان الناس يتركونه ليلا، و يعودون إليه نهارا، بدليل أن قصيا سمى «مجمعا»؛ لأنه جمع القبائل حول البيت:

لا يصح، بل هو لا يدل أيضا؛ لأن تاريخ مكة قبل قصى خير شاهد على أنها كانت آهلة بالسكان، معمورة، و معروفة و مشهورة. نعم ربما يكون قصى قد نظم سكن القبائل فى مكة بالشكل المناسب.

و مهما يكن من أمر، فإن تحديد ذلك لا يهمنا كثيرا الآن. و ما يهمنا هو التعرف على المكانة الدينية لمكة، و مدى ارتباط قبائل العرب، بل و غيرهم بها. و الحديث عن ذلك لا ينفصل عن الحديث عن البيت العتيق، الذى تحتضنه مكة. ثم عن قريش التى كان لها شرف خدمة ذلك البيت؛ فنقول:

ألف: بناء الكعبة:

الكعبة هى أول بيت وضع للناس ببكة، مباركا، و هدى للعالمين، كما هو صريح القرآن «۲»، و المعروف المشهور هو: أن واضعه هو شيخ الأنبياء إبراهيم «عليه السلام».

---

(۱) سورة ابراهيم ۳۵.

(۲) راجع: آل عمران/ ۹۶.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۲،ص:۳۲

و لكننا نجد فى كلمات أمير المؤمنين «عليه السلام» ما يدل على أن البيت قد كان من لدن آدم أبى البشر «عليه السلام». أما إبراهيم فهو رافع قواعده و مشيد بنيانه و أركانه.

قال «عليه السلام»: «ألا ترون أن اللّه سبحانه اختبر الأولين من لدن آدم، صلوات اللّه عليه، و إلى الآخرين من هذا العالم، بأحجار لا تضر و لا تنفع، و لا تبصر و لا تسمع، فجعلها بيته الحرام، الذى جعله للناس قياما. ثم وضعه بأوعر بقاع الارض حجرا، و أقل نتائق الدنيا مدرا، و أضيق بطون الأودية قطرا، بين جبال خشنة، و رمال دمثة، و عيون و شلة، و قرى منقطعة، لا يزكو بها خف و لا حافر، و لا ظلف. ثم أمر آدم و ولده:

أن يثنوا أعطافهم نحوه، فصار مثابة لمنتجع أسفارهم، و غاية لملقى رحالهم، تهوى إليه الأفئدة من مفاوز سحيقة إلخ .. «۱»»

و يدل على ذلك أيضا: روايات وردت من طرق الخاصة و غيرهم؛ فمن أرادها فليراجعها فى مظانها «۲».

و لعل ظاهر القرآن لا- يأبى عن هذا أيضا؛ حيث جاء التعبير فيه عن تجديد بناء إبراهيم للبيت بقوله: وَ إِذْ يَرْفَعُ إِبْراهِيمُ الْقَواعِدَ مِنَ الْبَيْتِ «۳»

و هذا لا ينافى أن تكون الأسس و القواعد قد وضعت قبل ذلك، و إبراهيم هو الذى رفع هذه القواعد، و شيد على تلكم الأسس. و هذا موضوع يحتاج إلى بحث و تحقيق، نسأل اللّه يوفقنا لمعالجته فى فرصة أخرى إن شاء اللّه تعالى.

(۱) نهج البلاغة بشرح عبده، الخطبة المعروفة بالقاصعة رقم ۱۸۷.

(۲) راجع على سبيل المثال: تفسير نور الثقلين ج ۱ ص ۱۲۶- ۱۲۹، و الطبرى، و الدر المنثور، و شرح النهج، و أخبار مكة للأزرقى: ج ۱ ص ۳- ۳۰، و تفسير البرهان: الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ج۲ ۳۲ ألف: بناء الكعبة: ..... ص : ۳۱

ج ۱ ص ۳۰۰ و غير ذلك.

(۳) البقرة ۱۲۷.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۲،ص:۳۳

ب: دعاء إبراهيم:

و مهما يكن من أمر، فإن إبراهيم «عليه السلام» قد لاحظ: أن البيت الذى اختبر اللّه الناس به قد وضع فى بقعة تكون الحياة فيها صعبة و شاقة، كما يظهر من كلمات الإمام أمير المؤمنين «عليه السلام» المتقدمة؛ و لذلك فقد دعا ربه فقال:

رَبَّنا إِنِّى أَسْكَنْتُ مِنْ ذُرِّيَّتِى بِوادٍ غَيْرِ ذِى زَرْعٍ عِنْدَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ رَبَّنا لِيُقِيمُوا الصَّلاةَ فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِنَ النَّاسِ تَهْوِى إِلَيْهِمْ وَ ارْزُقْهُمْ مِنَ الثَّمَراتِ، لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ «۱».

و لقد استجيت دعوة إبراهيم «عليه السلام»، و أصبحت مكة قبلة الآملين، و مهوى أفئدة الصفوة من العالمين.

ج: تقديس الكعبة:

لقد كانت الكعبة مقدسة و معظمة عند جميع الأمم، فيذكر العلامة الطباطبائى قدس سره:

أن الهنود يعتقدون: أن روح سيفا، و هو الأقنوم الثالث عندهم قد حلت فى الحجر الأسود، حينما زار هو و زوجته بلاد الحجاز.

و الصابئة من الفرس و الكلدانيون يعدون الكعبة أحد البيوت السبعة المعظمة «۲»، و ربما قيل: إنها بيت زحل لقدم عهدها، و طول بقائها ..

(۱) ابراهيم ۳۷.

(۲) البيوت السبعة هى: الكعبة، و مارس: على رأس جبل بأصفهان. و هندوستان:

ببلاد الهند. و نوبهار: بمدينة بلخ. و بيت غمدان: بمدينة صنعاء. و كاوسان: بمدينة فرغانة من خراسان، و بيت بأعالى بلاد الصين.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۲،ص:۳۴

و اليهود أيضا كانوا يعظمونها، و يدعون أنهم يعبدون اللّه فيها على دين إبراهيم «عليه السلام». و يقولون: إنه كان فيها تماثيل و صور، منها تمثال إبراهيم و إسماعيل، و بأيديهما الأزلام، و أن فيها صورتا العذراء و المسيح، و يشهد على ذلك تعظيم النصارى لأمرها كاليهود.

و كانت العرب أيضا تعظمها كل التعظيم، و تعدها بيتا للّه تعالى.

و كانوا يحجون إليها من كل جهة «۱» ..

و ستأتى كلمات أبى طالب حول هذا الأمر حين الكلام عن زواج النبى «صلى اللّه عليه و آله و سلم» بخديجة أم المؤمنين «عليها السلام» و قد حكى اللّه سبحانه هذا الأمر حينما قال: أَ وَ لَمْ يَرَوْا أَنَّا جَعَلْنا حَرَماً آمِناً وَ يُتَخَطَّفُ النَّاسُ مِنْ حَوْلِهِمْ «۲».

فالكعبة إذن، كانت مقدسة عند جميع الأمم و الطوائف، و بالأخص عند العرب، و ظلت على ذلك مددا متطاولة فى العصر الجاهلى، و يزيد ذلك قوة و رسوخا: أن العربى كان يعتبرها مصدر عزته، و موضع أمله، و كيف لا تكون كذلك، و هو يرى ان الأمم الأخرى تنظر اليه- لأجلها- بعين الحسد و الشنآن. و تعمل على انتزاع هذا الشرف منه، أو على التقليل من خطره و أهميته، حتى لقد:

١- أقام الغساسنة بيتا فى الحيرة فى مقابلها «٣».

٢- و فى نجران أيضا: أقيمت كعبة أخرى لتضاهى كعبة مكة، يقول الأعشى: يخاطب ناقته:

---

(١) راجع الميزان ج ٣ ص ٣٦١، ٣٦٢. و ما ذكره يحتاج إلى تحقيق، و إثبات بالأدلة و الشواهد.

(٢) العنكبوت/ ٦٧.

(٣) حياة محمّد لمحمّد حسين هيكل ص ٦٣. و راجع: الأصنام ص ٤٥.

 و كعبة نجران حتم عليك‌حتى تناخى بأعتابها و كعبة نجران هذه يقال: إنها بيعة بناها بنو عبد المدان بن الديان الحارثى، على بناء الكعبة، و عظموها مضاهاة للكعبة، و سموها: كعبة نجران «١».

٣- و فى الشام كانت الكعبة الشامية «٢».

٤- و فى اليمن الكعبة اليمانية «٣».

و كان رجل من جهينة قال لقومه: هلم نبنى بيتا نضاهى به الكعبة، و نعظمه، حتى نستميل به كثيرا من العرب، فاعظموا ذلك و أبوا عليه» «۴»

و يكفى أن نذكر: أن أبرهة بن الأشرم أقام فى اليمن بيتا، و دعا الناس إلى تعظيمه، و الحج إليه. و كتب إلى ملك الحبشة: «إنى قد بنيت لك كنيسة لم يبن مثلها أحد قط. و لست تاركا العرب حتى أصرف حجهم عن بيتهم الذى يحجونه إليه» «۵».

و رغم أنه زخرفه و فرشه بأفخر ما يقدر عليه، إلا أن ذلك لم ينفع فى صرف الناس حتى اليمنيين عن الكعبة إليه، فضلا عن أن يصرف غيرهم أو أهل مكة عن كعبتهم، و استمر الناس، و أهل اليمن على الحج إلى مكة.

و بعد أن تغوط أحد بنى كنانة فى كنيسة أبرهة، غضب، و اندفع إلى

---

(١) معجم البلدان لياقوت الحموى ج ۵ ص ۲۶۸. و راجع: الأصنام ص ۴۴/ ۴۵.

(٢) البداية و النهاية ج ٢ ص ١٩٢.

(٣) البداية و النهاية ج ٢ ص ١٩٢.

(۴) الأصنام: ص ۴۵.

(۵) الأصنام: ص ۴۷.

مكة فى عام الفيل و قال لعبد المطلب: إنه لا يقصد إلا هدم البيت، فأجابه إن للبيت ربا سيمنعه، و جرى ما جرى لأبرهة و جيشه و أنزل اللّه فى ذلك:

أَ لَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحابِ الْفِيلِ أَ لَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ فِي تَضْلِيلٍ وَ أَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْراً أَبابِيلَ تَرْمِيهِمْ بِحِجارَةٍ مِنْ سِجِّيلٍ فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَأْكُولٍ «١».

۵- و يقولون: إن تبع بن حسان كان قبل ذلك، قد حاول أن يهدم البيت و يحول حجارته إلى اليمن، فيبنى بها بيتا هناك تعظمه العرب، فدفع اللّه عن البيت شره و كيده «٢».

الأصنام، و الكعبة:

و يقولون: إن عمرو بن لحىّ، كبير خزاعة، عند ما كان يتولى أمر البيت، سافر إلى الشام، و حمل معه منها الصنم المسمى ب «هبل» و وضعه على الكعبة. و كان أول صنم وضع عليها، ثم أتبعه بغيره، و فى ذلك يقول شحنة بن خلف الجرهمى:

يا عمرو إنك قد أحدثت آلهةشتى بمكة حول البيت أنصابا

و كان للبيت ربا واحدا أبدافقد جعلت له فى الناس أربابا

---

(۱) سورة الفيل راجع فى هذه القضية البحار: ج ۱۵ ص ۱۴۰ و ۱۳۶ و ۱۳۱ و ۷۲ و ۶۹ و ۶۶، و أمالى الطوسى: ص ۷۸/ ۷۹، و أنساب الأشراف: ج ۱ ص ۶۸، و تاريخ ابن الوردى: ج ۱ ص ۱۲۷، و السيرة النبوية لابن كثير: ج ۱ ص ۳۴، و السيرة النبوية لابن هشام: ج ۱ ص ۵۱، و البداية و النهاية: ج ۲ ص ۱۷۲، و تاريخ الخميس:

ج ۱ ص ۱۸۹، و السيرة النبوية لدحلان (مطبوع بهامش الحلبية): ج ۱ ص ۳۱، و السيرة الحلبية: ج ۱ ص ۵۹- ۶۱.

(۲) ثمرات الأوراق ص ۲۸۷ و راجع: تاريخ الخميس: ج ۱ ص ۱۹۱.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۲،ص:۳۷

قالوا: «و كان قوله- أى عمرو بن لحى- فيهم كالشرع المتبع؛ لشرفه فيهم، و محلته عندهم، و كرمه عليهم» «۱».

فشاعت عبادة الأصنام بين العرب، و أصبحت كل قبيلة تضع لها صنما على الكعبة، تختلف إليه من جميع الأقطار، حتى صار بها أكثر من (۳۰۰) صنما، او تنصبه فى الموضع المناسب لها، فإذا أرادوا الحج وقفوا عند الصنم، و صلوا عنده، ثم يلبون حتى يصلوا إلى مكة «۲».

و اتخذ أهل كل دار صنما يعبدونه فى دارهم، فإذا أراد الرجل سفرا تمسح به حين يركب، و إذا قدم تمسح به أول ما يصل قبل أن يصل إلى أهله.

و كان ذلك هو حجة من قال: إن العرب لم تكن تعبد الأصنام قبل عمرو بن لحى «۳».

و ثمة رأى آخر يقول: إن بنى إسماعيل كانوا لا يفارقون مكة حتى كثروا، و ضاقت بهم مكة، و وقعت بينهم الحروب و العدوات، و أخرج بعضهم بعضا، فاضطروا إلى التفرق فى البلاد، و ما من أحد منهم إلا حمل معه حجرا من حجارة الحرم تعظيما للحرم؛ فحيث مانزلوا، وضعوه فطافوا به، كطوافهم بالكعبة، حتى أدى بهم ذلك إلى عبادة تلك الحجارة. ثم جاء من بعدهم؛ فنسوا ما كان عليه آباؤهم من دين إسماعيل، فعبدوا الأوثان «۴» و فيهم على ذلك بقايا من عهد إبراهيم

---

(۱) البداية و النهاية ج ص ۱۸۷ و السيرة الحلبية: ج ۱ ص ۱۰ و ۱۱، و راجع: الأصنام ص ۹.

(۲) تاريخ اليقوبى ج ۱ ص ۲۵۵.

(۳) راجع: السيرة الحلبية: ج ۱ ص ۱۰ و ۱۱.

(۴) راجع: البداية و النهاية ج ۲ ص ۱۸۸، و المستطرف ج ۲ ص ۷۵ عن ابن إسحاق، و الأصنام ص ۶ و غير ذلك.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۲،ص:۳۸

و إسماعيل يتنسكون بها، من تعظيم البيت و الطواف به، و الحج و العمرة، و الوقوف على عرفة و مزدلفة، و إهداء البدن، و الإهلال بالحج و العمرة، مع إدخالهم فيه ما ليس منه «۱».

و نحن نرجح أن هذا الأخير هو سر عبادتهم للأوثان. و أما عمرو بن لحى، فالظاهر أنه أول من وضع الاصنام على الكعبة، أو حولها، و

تبعه غيره. و ربما يشهد لذلك أن مجيئه بالصنم من الشام لا بد أن يسبقه- بحسب العادة- نوع قبول للأصنام، و تعظيم لها، هذا، إن لم نقل: إنه يعنى: أنه كان يعبد الأصنام قبل أن يذهب إلى الشام.

و ما يهمنا هنا هو الإشارة إلى ما كان للكعبة من مكانة لدى الإنسان العربى، فضلا عن غيره، سواء فى الوقت الذى كان يعبد فيه الأوثان و يعظمها، أو فى تلك الظروف التى بدأ يشعر فيها بعض الناس بسخافة عبادة الأوثان، و عدم معقوليتها.

و بالنسبة للمراد من الصنم فإنهم يقولون: «إذا كان معمولا من خشب أو ذهب، أو من فضة صورة إنسان، فهو صنم، و إذا كان من حجارة فهو وثن» «۲».

ولاية الكعبة:

كانت ولاية الكعبة أولا فى يد ولد إسماعيل، ثم خرجت من يدهم إلى أخوالهم الجرهميين «۳» و يقال: إلى العماليق، ثم عادت إلى جرهم.

---

(۱) الأصنام: ص ۶.

(۲) الأصنام: ص ۵۳.

(۳) يقال: إن زوجة إسماعيل كانت جرهمية. و هم فى الأصل يمنيون قحطانيون، لا من عدنان.

ثم لما كثر ولد اسماعيل؛ و أصبحوا ذوى قوة و منعة، حاربوا الجرهميين بقيادة كبير خزاعة، و انتزعوا منهم ولاية البيت، و استمرت فى الخزاعيين إلى أن أخرجها منهم قصى بن كلاب، الجد الرابع للنبى «صلى اللّه عليه و آله و سلم».

و كانت الولاية بيد حليل الخزاعى أبى زوجة قصى، فجعل الولاية بعد موته لابنته، التى كانت تحت قصى، و لكنه جعل مفتاح البيت مع رجل يقال له أبو غبشان فيقال: إن قصيا إشتراه منه بزق خمر، و بذلك يضرب المثل «أخسر من صفقة أبى غبشان»، و قال فى ذلك بعضهم:

أبو غبشان أظلم من قصىو أظلم من بنى فهر خزاعة

فلا تلحوا قصيا فى شراهو لوموا شيخكم إذ كان باعه «۱»

و من أجل ذلك فقد جرت بين قريش و خزاعة حرب كان النصر فيها لقريش، و هم أولاد فهر بن مالك «۲»، هكذا يقولون.

و لكن ذلك ليس هو الرأى النهائى هنا؛ إذ أننا نرى البعض الآخر يقول:

إن قصيا قد استعاد البيت من خزاعة بعد حروب جرت بينه و بينهم، ثم تحاكموا إلى عمرو بن عوف، فحكم لقصى «۳».

و ثمة قول آخر يفيد: أن حليلا أوصى عند موته بولاية البيت لصهره قصى. و هذا ما تزعمه خزاعة «۴».

---

(۱) راجع تاريخ اليعقوبى ج ۱ ص ۲۳۹ و ۲۴۰.

(۲) البداية و النهاية ج ۲ ص ۲۱۰، و غيره.

(۳) تاريخ اليعقوبى ج ۱ ص ۲۴۰ و البداية و النهاية ج ۲ ص ۲۰۷ عن ابن إسحاق.

(۴) تاريخ اليعقوبى ج ۱ ص ۲۳۹ و البداية و النهاية ج ۲ ص ۲۰۵ عن ابن إسحاق.

و إذا كانت خزاعة تزعم ذلك فما هو المبرر لحربها، إلا الحسد له، و البغى عليه؟!. و الظاهر أن حليلا قد أوصى إليه به فحاربته خزاعة

حسدا و بغيا، «۱» ثم تحاكموا إلى يعمر بن عوف، فحكم له.

و حكم يعمر بن عوف له يقرب وصية حليل بالولاية إليه، و كان يعمر قد اطلع على هذه الوصية، إن لم يكن لقصى حجج أخرى فى المقام جعلت الحكم يكون فى صالحه «۲».

و على كل حال فقد جدد قصى بناء البيت فى القرن الثانى قبل الهجرة «۳» و بنى إلى جانب الكعبة دار الندوة، التى كانت تجتمع فيها قريش للحكومة، و القضاء، و الشورى «۴» و هذا من مآثره الجليلة، الدالة على درايته و حكمته، و بعد نظره.

مكانة قريش:

و واضح أن سدانة قريش للبيت العتيق، و هو الذى يعظمه الكثيرون ثم اتصال نسبها بإسماعيل و إبراهيم «عليهما السلام»، و العربى- بطبعه يحترم نسبا كهذا، إنطلاقا من اهتمامه بالأنساب، و إذعانه لها على أنها مصدر شرف و سؤدد و لا سيما بملاحظة تعرض العربى للغارات و السبى الأمر الذى يجعل لديه حساسية خاصة تجاه هذا الأمر.

و أيضا، لأن قريشا كانت أقرب إلى الحنيفية من غيرها، و شعائر

---

(۱) راجع السيرة الحلبية: ج ۱ ص ۸، و تاريخ الخميس: ج ۱ ص ۱۵۵، و تاريخ الأمم و الملوك: ج ۲ ص ۱۶.

(۲) السيرة الحلبية: ج ۱ ص ۹، و راجع: تاريخ الأمم و الملوك: ج ۲ ص ۱۷.

(۳) تاريخ الخميس ج ۱ ص ۱۹.

(۴) راجع: السيرة الحلبية: ج ۱ ص ۱۲ و ۱۵، و راجع: تاريخ الخميس: ج ۱ ص ۱۵۵، و تاريخ الأمم و الملوك: ح ۲ ص ۱۸/ ۱۹.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۲،ص:۴۱

الحج إنما هى من بقاياها كما هو معلوم. و الحنيفية هى الدين الذى يحترمه العربى و يقدسه و يعنوله- إن كل ذلك، و غيره من أمور قد أكسب قريشا شرفا، و منحها مكانة، و نفوذا و خطرا، و أصبح الناس عامة ينظرون إلى قريش نظرة فيها الكثير من الإحترام و التقديس و الإكبار.

و الشواهد على هذا كثيرة، و يكفى أن نذكر قول قصى لقريش: «قد حضر الحج، و قد سمعت العرب ما صنعتم، و هم لكم معظمون» «۱».

و قول أبى طالب حين تزويج خديجة من رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله و سلم»: «الحمد لرب هذا البيت الذى جعلنا من زرع إبراهيم و ذرية إسماعيل و أنزلنا حرما آمنا، و جعلنا الحكام على الناس، و بارك لنا فى بلدنا الذى نحن فيه» «۲».

و عليه، فإنه إذا كانت قريش من نسل إسماعيل، و تحترم دين الحنيفية.

و إذا كانت مكة تعتبر حتى من العرب، أهل الحرب و الغارة، حرما يأمن من لجأ إليه، و قد يلتقى العربى فيها بقاتل ولده، أو أبيه؛ فلا يؤذيه، و لا يستطيع أن يثأر منه.

و إذا كان تقديس مكة قد بلغ عندهم هذا الحد؛ فإن من الطبيعى أن يكون لسادة مكة نصيب وافر من هذا التقديس. و أن يتميزوا على سائر الناس باحترام خاص. أضف إلى ذلك سدانتهم للبيت الذى تفد إليه العرب من جميع الأقطار و الأنحاء.

و إذا كانت قريش و خصوصا الهاشميون ترى: أن شرفها، و سؤددها، و مجدها، و حتى إقتصادها، مرتبط بالبيت و متصل به اتصالا وثيقا؛ فمن

---

(۱) تاريخ اليعقوبى ج ۱ ص ۲۳۹.

(۲) ستأتى بعض المصادر لذلك إن شاء اللّه تعالى حين الكلام عن زواج النبى صلى اللّه عليه و آله و سلم بخديجة.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۲،ص:۴۲

الطبيعى أن تدرك أن انتهاك حرمته ليس من مصلحتها. لأن ذلك يقلل من تقديس البيت، و من احترام سدنته و يفقدهم- من ثم- أعز و أغلى ما لديهم.

و من هنا فإنه و إن كان فى قريش جماعات شريرة، لا ترجع إلى دين، و هم أصحاب حلف الأحلاف (لعقة الدم). لكن قد كان فى مقابلهم رجال أشراف كرام لا- يرضون بما يصدر من أولئك، و يحاولون إرجاع الحق إلى نصابه ما أمكنهم ذلك، و من هنا كانت المبادرة إلى عقد حلف المطيبين، و بعده حلف الفضول، الذى ينص على أن تردّ كل مظلمة إلى صاحبها، لا فرق بين قرشى و غيره، و على التأسى بالمعاش «۱».

أنا ابن الذبيحين:

و يذكرون هنا: أنه حين لقى عبد المطلب- و هو يحفر زمزم- من قريش ما لقى: من مخاصمتها إياه فى شأن تلك البئر، و شدتها عليه، حلف لئن ولد له عشرة نفر لينحرن أحدهم. فلما ولدوا له دعاهم إلى الوفاء للّه بالنذر؛ فأجابوه، فضرب القداح فخرجت على ولده عبد اللّه أصغر بنى أبيه، على حد تعبير ابن هشام.

و نقول:

الصحيح: بنى أمه، و إلا فإن الحمزة و العباس كانا أصغر منه.

إلا أن يقال: إنهما لم يكونا قد ولدا بعد.

و الظاهر: أن المقصود بالعشرة: ما يشمل أولاد اولاده. و قد ذكروا:

أنه كان للحرث بن عبد المطلب ولدان؛ هما أبو سفيان و نوفل، بل ذكر بعضهم: أن أعمامه (ص) كانوا إثنى عشر، بل قيل: ثلاثة عشر. و أن

---

(۱) سيأتى الحديث عن ذلك مفصّلا فى فصل: من الميلاد إلى البعثة.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۲،ص:۴۳

عبد اللّه ثالث عشرهم. و عليه فلا إشكال، لأن الحمزة و العباس، كانا من أم أخرى كما أشرنا إليه «۱».

كما أننا نشك فى قولهم إن ضرب القداح كان عند هبل، و أراد التنفيذ عند إساف و نائلة؛ لأن عبد المطلب كان على دين الحنيفية كما سيأتى عن قريب، و لم يكن يحترم الأصنام آنئذ.

و مهما يكن من أمر فقد أراد عبد المطلب ذبح ولده عبد اللّه، فأطاعه ولده؛ فمنعوه من ذلك؛ فضربت القداح عليه، و على عشرة من الإبل- مقدار دية رجل- من جديد فخرجت عليه، فزادها عشرة، و ضربت القداح فخرجت عليه، و هكذا إلى ان بلغت مئة؛ فخرجت على الإبل فنحرت: و لذلك يقال: إن النبى «صلى اللّه عليه و آله و سلم» كان يقول:

أنا ابن الذبيحين، أى إسماعيل، و عبد اللّه «۲».

من هو الذبيح:

و يقول البعض: إن المراد بالذبيحين هابيل، و عبد اللّه .. على اعتبار أن المراد بالذبيح هو إسحاق، كما جاء فى بعض الروايات «۳».

---

(۱) راجع: السيرة الحلبية: ج ۱ ص ۳۸ و المواهب اللدنية ج ۱ ص ۱۸.

(۲) السيرة الحلبية: ج ۱ ص ۳۵- ۳۸ و راجع المواهب اللدنية ج ۱ ص ۱۷ و السيرة النبوية لدحلان ط دار المعرفة ج ۱ ص ۱۶.

(۳) راجع ابن إسحاق، و السهيلى و به جزم ابن سلام الجمحى فى كتاب طبقات الشعراء ص ۱۰۷، و حكاه عن: عمر، و العباس، و ابن مسعود، و مسروق، و عكرمة، و سعيد بن جبير، و مجاهد، و عطاء، و الشعبى، و مقاتل و عبيد اللّه بن عمر، و أبى ميسرة، و زيد بن أسلم، و عبد اللّه بن شقيق، و الزهرى، و القاسم، و ابن أبى بردة، و مكحول، و عثمان؟ و السدى، و الحسن و قتادة، من السلف و غيره قالوا بذلك كل ذلك فى البداية و النهاية ج ۱ ص ۱۵۹. و البحار: ج ۱۲ ص ۱۳۲، و تاريخ

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۲،ص:۴۴

و لإجماع أهل الكتاب على ذلك «۱» على اعتبار أن العرب تجعل العم أبا «۲».

و هذا لا يصح؛ أما:

أولا: فإنه «صلى اللّه عليه و آله و سلم» ليس من ولد هابيل إجماعا.

إلا أن يقال: إن العم بمنزلة الأب.

و يرده:

ألف: أن أبوة الذبيح الآخر فى قوله: أنا ابن الذبيحين؛ لا بد أن لا تختلف عن أبوة عبد اللّه له، لأنه ذكرهما فى كلام واحد، فإرادة هذا المجاز البعيد فى أحدهما؛ و الحقيقة فى الآخر غير معقول، حتى لو جوزنا استعمال اللفظ المشترك فى أكثر من معنى، كما هو الصحيح، بدليل وجود التورية فى كلام العرب.

ب: إن الذى بمنزلة الأب- لو سلم أنه عرفا كذلك- إنما هو العم القريب، لا العم الذى يأتى بعد عشرات الآباء و الأجداد.

ثانيا: كون الذبيح هو إسحاق لا يصح. و ذلك لما يلى:

ألف: إنه قد ذكر فى سورة الصافات قضية الذبح، ثم عقبها

الخميس ج ۱ ص ۹۵ و راجع ص ۱۳۹ و مفاتيح الغيب: ج ۲۵ ص ۱۵۳، و لكنه ذكر معهم عليّا (ع) و ابن عباس. و نحن نجلهما عن الإلتزام بأمر يخالف القرآن. بل إنه هو نفسه قد ذكر عنهما أنهما قالا: إسماعيل. و نجد فى الكافى: ج ۴ ص ۲۰۶ و ۲۰۸/ ۲۰۹ ط الآخندى، و كذا فى ج ۱ ص ۱۱۷ ط الإسلامية، و عنه فى البحار:

ج ۱۲ ص ۱۳۵ ما يدل على أن الذبيح هو إسحاق، و لكن فى ص ۲۰۵/ ۲۰۹ ج ۴ من الكافى ما يدل على التردد فى ذلك، حيث ذكر ما معناه: أن إبراهيم قد حجّ بأهله، فالذى كان مع إبراهيم من أهله كان هو الذبيح، و قد أشارت بعض الأخبار إلى أن إسحاق قد تمنى الذبح أيضا.

(۱) البحار: ج ۱۲ ص ۱۳۴.

(۲) المواهب اللدنية ج ۱ ص ۱۷.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۲،ص:۴۵

بالبشارة باسحاق فقال: وَ بَشَّرْناهُ بِإِسْحاقَ نَبِيًّا مِنَ الصَّالِحِينَ «۱» مما يشعر بأن اسحاق قد ولد بعد قضية الذبح، لأن هذه بشارة بالميلاد بقرينة قوله تعالى فى آية أخرى: «فَبَشَّرْناها بِإِسْحاقَ وَ مِنْ وَراءِ إِسْحاقَ يَعْقُوبَ» «۲» و لو كان الذبح لإسحاق لم يحسن الإتيان بإسمه، بل كان المناسب إيراد ضميره. و تكون البشارة بنبوته مكافأة على صبره على الذبح، و ليست بشارة به نفسه كما هو ظاهر الآية.

و قد روى الإستدلال بالآيات عن الإمام الصادق «عليه السلام»، و عن محمد بن كعب القرظى أيضا «۳».

و يشير إلى هذا أيضا: الترتيب الذى جاء على لسان إبراهيم «عليه السلام» حيث قال: «الحمد للّه الذى وهب لى على الكبر إسماعيل و

إسحاق».

كما أن اللّه قد ذكر إسماعيل و إسحاق فى القرآن معا فى ست آيات، و فى كلها يقدم ذكر إسماعيل على إسحاق.

و فى ذلك إشارة إلى ما ذكرناه:

۲- و لو أغمضنا النظر عن ذلك فإننا نقول: إن من غير المعقول أن يبشر اللّه تعالى نبيه بغلام سيكبر، و يكون نبيا و يتزوج، و يولد له ولد اسمه يعقوب ثم يأمره بذبح ذلك الولد الكبير و النبى نفسه، فإنه لا يرتاب حينئذ بأن الأمر بالذبح ليس حقيقيا و إنما هو صورى و هذا يفقد قضية الذبح كل قيمتها. فلاحظ قوله تعالى: وَ بَشَّرْناهُ بِإِسْحاقَ نَبِيًّا و قوله: وَ امْرَأَتُهُ قائِمَةٌ فَضَحِكَتْ فَبَشَّرْناها بِإِسْحاقَ وَ مِنْ وَراءِ إِسْحاقَ يَعْقُوبَ.

---

(۱) الصافات ۱۱۲.

(۲) هود/ ۷۱.

(۳) راجع: الميزان ج ۱۷ ص ۱۵۵ و البداية و النهاية ج ۱ ص ۱۶۱ و ۱۵۹.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۲،ص:۴۶

إلا أن يدعى: أن النبوة و البشارة بيعقوب ليست داخلة فى البشارة الأولى.

و لكن ذلك خلاف الظاهر. و الذين يصرون على ان الذبيح هو إسحاق لا يقولون بالبداء ليمكنهم التشبث به فى الإجابة هنا.

أو يدعى: أن الذبح قد يكون بعد أن ولد له يعقوب.

و يرده: أنهم يقولون: إن قضية الذبح قد حصلت حينما كان عمره ثلاث عشرة سنة «۱».

۳- و قد روى: أن رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله و سلم» قد أوضح أن كونه ابن الذبيحين إنما هو بنذر عبد المطلب، و بذبح إسماعيل «عليه السلام» «۲».

۴- و أخيرا .. فقد أنكر أبو عمرو بن العلاء أن يكون إسحاق هو الذبيح، على اعتبار أن الذبح كان بمكة، و إسماعيل هو الذى كان بمكة و بنى البيت مع والده. و كذا قال ابن القيّم «۳».

خلاصة و بيان:

و نستخلص مما تقدم: أنه قد كان هناك بشارتان:

إحداهما بولادة إسماعيل «عليه السلام»، فولد، ثم أمر بذبحه، و جرى ما جرى. ثم جاءت البشارة الأخرى بولادة إسحاق بملاحظة: أن أمه لم تكن ولدت، رغم أنها كان قد كبر سنها فبشرها اللّه بذلك- كما

---

(۱) راجع: الدر المنثور للعاملى ج ۱ ص ۱۶۱.

(۲) البحار ج ۱۲ ص ۱۳۲ و مفاتيح الغيب ج ۲۵ ص ۱۵۳.

(۳) المصدران السابقان و مجمع البيان ج ۸ ص ۴۵۳ و الدر المنثور للعاملى ج ۱ ص ۱۶۱ و المواهب اللدنية ج ۱ ص ۱۸ و السيرة النبوية لدحلان ج ۱ ص ۱۶ و تاريخ الخميس ج ۱ ص ۹۵

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۲،ص:۴۷

ذكرته سورة هود- فتعجبت: أن تلد و هى فى هذا السن.

و عدم ذكر إسماعيل فى سورة الصافات، و الاكتفاء بذكر إسحاق و يعقوب لعله يشير إلى ذلك أيضا على اعتبار أن الأمر بالنسبة

لإسماعيل كان قد مضى و انقضى.

أهل الكتاب هم الداء الدوى:

و بعد هذا. فإن السؤال الذى يلح فى طلب الإجابة عليه هو: من أين جاء هذا الأمر الغريب: أن الذبيح هو إسحاق؟

و الجواب: هو ما قاله ابن كثير و غيره: «إنما أخذوه- و اللّه أعلم- من كعب الاحبار، أو من صحف أهل الكتاب. و ليس فى ذلك حديث صحيح عن المعصوم، حتى نترك من أجله ظاهر الكتاب» «۱» فاليهود إذن قد أرادوا ترويج عقيدتهم بين المسلمين، و تخصيص هذه الفضيلة بجدهم إسحاق حسب زعمهم.

و لكن اليهود أنفسهم قد فاتهم: أن التوراة المتداولة نفسها متناقضة فى هذا الأمر؛ فإنها فى حين تقول: «خذ إبنك، وحيدك، الذى تحبه إسحاق. و اذهب إلى أرض المريا، و أصعده هناك محرقة على الخ ..» «۲».

فقد عبرت هنا بكلمة: «وحيدك» الدالة على أن إسحاق هو أكبر ولد إبراهيم. و لكنها تعود فتكذب نفسها، و تنص على أن إسحاق لم يكن وحيدا و إنما ولد و عمر إسماعيل أربعة عشر سنة «۳».

---

(۱) البداية و النهاية ج ۱ ص ۱۶۱ و ۱۵۹ و راجع السيرة الحلبية ج ۱ ص ۳۸ عن ابن تيمية.

(۲) سفر التكوين: الإصحاح ۲۲، الفقرة ۱- ۳۳ و لتراجع سائر فقرات الإصحاح أيضا.

(۳) سفر التكوين الإصحاح ۱۶ الفقرة ۱۵/ ۱۶ نص على أن عمر ابراهيم حين ولادة

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۲،ص:۴۸

بل لقد ذكر ابن كثير: أنه لا خلاف بين أهل الملل: أن إسماعيل أول ولد إبراهيم و بكره «۱».

و قد اعترف أحد مسلمة أهل الكتاب بأن اليهود يعلمون: أن الذبيح هو إسماعيل، و لكنهم يصرون على خلافه حسدا منهم للعرب «۲».

ملاحظات هامة:

الأولى: إننا نلاحظ: أن إبراهيم قد رزق ولده إسماعيل الوحيد فى شيخوخته، كما أشار اليه القرآن. و طبيعى أن يكون تعلقه بهذا الولد أشد، و حبه له أعظم. و نلاحظ أيضا: أن أمر اللّه تعالى له بذبحه قد كان، و ولده فى أروع أيام حياته، و فى السن التى يزداد تعلق والديه به فيه، و حبهما له؛ حيث تمتزج المحبة بالعاطفة، و الرأفة بالإعجاب ..

و أيضا، لقد رزقه اللّه ولدا هو فى أعلى درجات الكمال الإنسانى، عقلا و دراية و سلوكا، و استقامة، إلى غير ذلك من فضائل و كمالات إنسانية فاضلة. و هذا أيضا ادعى إلى التعلق به، وازدياد المحبة له.

و بعد ما تقدم فإننا نجد: أن اللّه سبحانه يكلف هذا الأب بذبح طفل كهذا بيده. و إذا كان التخلى عن طفل كهذا فى ظروف كهذه هو من أصعب الأمور، فكيف إذا كان يجب أن يتم هذا التخلى بيد نفس ذلك الأب؟! ..

- إسماعيل ۸۶ سنة. و فى سفر التكوين الإصحاح ۱۷ و الإصحاح ۱۸ نص على أنه ولد له إسماعيل و هو ابن ۹۹، أو مئة سنة. و راجع: البداية و النهاية ج ۱ ص ۱۵۳، و السيرة الحلبية: ج ۱ ص ۳۸.

(۱) البداية و النهاية ج ۱ ص ۱۵۷، و راجع: البحار: ج ۱۲ ص ۱۳۴.

(۲) البحار: ج ۱۲ ص ۱۳۴، و مجمع البيان: ج ۸ ص ۴۵۳، و السيرة الحلبية: ج ۱ ص ۳۸. و تاريخ الخميس ج ۱ ص ۹۵/ ۹۶ و المواهب اللدنية ج ۱ ص ۱۸.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۲،ص:۴۹

و يلبى إبراهيم، و يستجيب إلى أمر اللّه، دون أن يسأل عن السبب، و دون أن يبرمه أمر كهذا، و حتى دون أن يتحير فى ذلك؛ لأنه واثق بحسن ما يختاره له ربه، و بصلاح ما يأمره به.

يستجيب لهذا الأمر، و لا يندفع إلى تنفيذه بسرعة و بدون أن يعلم ولده بهذا الأمر، ليريح أعصابه، و يستريح من هذا الكابوس، الأمر الذى يخفى وراءه شيئا من الضعف و الوهن، بل هو يخبر ولده بالأمر، و يطلب منه أن يتخذ هو نفسه أيضا القرار الحاسم فى الإستسلام لذلك أو عدمه و ذلك يدل على ثقته بحسن اختيار ولده. و يدل على أنه كان يحترم فيه كبر عقله، و سداد رأيه، و لا يعتبره طفلا لا يمكن أن توكل إليه أية مسؤلية.

و طبيعى أيضا: أن يكون توجه إسماعيل لذلك، و أن يتخذ هو نفسه القرار فى ذلك بقوله: يا أبت افعل ما تؤمر ستجدنى إن شاء اللّه من الصابرين. مما يزيد فى الآم أبيه.

و إسماعيل .. الذى أراد أبوه أن ينيله أجر الطاعة، و يتذوق حلاوة التسليم، لم يكن منه إلا التسليم لأمر اللّه سبحانه، و الإنصياع له بثقة و رضا ولكنه لا يعتبر هذا التسليم و الرضا شجاعة و بطولة منه، و إنما يعتبره خضوعا لمشيئة اللّه تعالى و يرى: أن صبره مستمد منه، و منته إليه؛ و لذلك عبر اللّه تعالى عن حالتهما هذه بقوله: «فلما أسلما»؛ فهما قد أسلما للّه تعالى، و ليس لغيره من الشهوات، و لا للغرائز، و لم تقيدهما القيود المادية، و لا الدنيوية فى شىء «۱».

و لذلك فإن إبراهيم و ولده هما ممن يكون اللّه أحب إليه من كل شىء مما نصت عليه الآية الكريمة التى تقول: قُلْ إِنْ كانَ آباؤُكُمْ وَ أَبْناؤُكُمْ وَ إِخْوانُكُمْ وَ أَزْواجُكُمْ وَ عَشِيرَتُكُمْ وَ أَمْوالٌ اقْتَرَفْتُمُوها، وَ تِجارَةٌ

---

(۱) لقد أشار فى كتاب: فى ظلال القرآن إلى بعض ما ذكرناه أيضا.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۲،ص:۵۰

تَخْشَوْنَ كَسادَها وَ مَساكِنُ تَرْضَوْنَها أَحَبَّ إِلَيْكُمْ مِنَ اللَّهِ وَ رَسُولِهِ، وَ جِهادٍ فِي سَبِيلِهِ، فَتَرَبَّصُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ وَ اللَّهُ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفاسِقِينَ «۱».

الثانية: إن من الواضح أن ذبح إسماعيل، و إراقة دمه لم يكن هو المقصود النهائى له تعالى؛ و ذلك لقوله تعالى لإبراهيم: قَدْ صَدَّقْتَ الرُّؤْيا، و إنما كان المقصود هو البلاء و الإمتحان لإبراهيم و ولده؛ لقوله تعالى: إِنَّ هذا لَهُوَ الْبَلاءُ الْمُبِينُ.

و حكمة هذا البلاء هى: أن يزيد فى تزكية، و تصفية نفس إسماعيل، فى مراحل إعداده لتحمل مسؤولية النبوة، و قيادة الأمة. و كذلك فإن فى ذلك تزكية و تصفية و امتحانا لنفس إبراهيم «عليه السلام» و لربما يكون ذلك من الكلمات اللواتى استحق إبراهيم بإتمامهن أن يجعله اللّه للناس إماما. قال تعالى: وَ إِذِ ابْتَلى إِبْراهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِماتٍ فَأَتَمَّهُنَّ قالَ إِنِّي جاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِماماً قالَ وَ مِنْ ذُرِّيَّتِي؟ قالَ لا يَنالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ «۲».

و كانت قضية الذبح هى البلاء المبين كما نصت عليه الآية الكريمة.

و قد رأيت بعد أن كتبت هذا: أن العلامة الطباطبائى يذكر: أن البعض قد تنبه لذلك كالطباطبائى نفسه، و استدل له، بقوله تعالى: وَ مِنْ ذُرِّيَّتِي إذ لا معنى لقوله هذا إن لم يكن له ذرية بالفعل، كما أنه لم يكن يعلم، و لا يظن: أنه سيكون له ولد قبل تبشير الملائكة له بذلك، و إبراهيم لا يتفوه بما لا علم له به، و لا يظنه، و لا يحتمله، و لا يخطر له على بال، و هو بهذه السن المتقدمة. و لو كان ذلك قبل ولادة إسماعيل؛ لكان اللازم أن يقول: وَ مِنْ ذُرِّيَّتِي إن رزقتنى ذرية «۳».

---

(۱) التوبة ۲۴.

(۲) البقرة ۱۲۴.

(۳) راجع: الميزان ج ۱ ص ۲۶۷/ ۲۶۸.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۲،ص:۵۱

و قد أورد البعض على الفقرة الاولى بإمكان أن يكون هذا الطلب من إبراهيم قد حصل بعد تبشير الملائكة له بالذرية. فنزلها فى كلامه منزلة الأمر الحاصل و المحقق.

و بعد، فإن حكم هذا البلاء، هو أن يضرب بذلك المثل الأعلى للأجيال، فى التضحية فى سبيل المبدأ الحق، و لا يكتفى بمجرد رفع الشعارات، و الإعلان عن المواقف كلاميا فقط. فبإسماعيل و إبراهيم ينبغى أن تكون القدوة لكل مؤمن و مؤمنة.

كما أن فى إخراج فضائلهما من عالم القوة إلى عالم الفعل، و إظهارها للناس و التعريف بها تشجيع للفضائل الكامنة فى غيرهم، و تحريك لها لتقوم بمحاولة الظهور على الصعيد العملى، أى أن فى ذلك هزة عاطفية مؤثرة فى كل من يملك عاطفة جياشة؛ تستطيع أن تستثير الفضائل الكامنة فى نفس الإنسان؛ لتكون واقعا حيا و ملموسا، و لتقود عملية التغيير الشاملة فى حياة الإنسان، و مستقبله بشكل عام.

هذا و من غير البعيد: أن يكون المجتمع الذى عاش فيه إبراهيم و إسماعيل، قد طغت عليه المادية؛ فأراد اللّه تعالى تحويل هذا الإتجاه بصورة عملية، دون الإقتصار على إسداء النصايح، و التوجيهات.

و لعل المتأمل فى هذه القضية يكتشف الكثير، مما لم نذكره، أو لم نشر إليه، و اللّه هو الموفق و المسدد.

الثالثة: و يبقى أن نشير هنا إلى أن من المقطوع به: أن النبى «صلى اللّه عليه و آله و سلم» لا يريد أن يفتخر بقوله هنا: أنا ابن الذبيحين، و إنما لعله يريد من قوله هذا: أن يوجه الأنظار للإستفادة من هذين الحدثين الهامين جدا. و أيضا يريد أن يفهم الآخرين: أنه شخصيا ليس غريبا عن هذا الجو، و أنه إذا كان أولئك قد بلغوا هذه المكانة فى القرب من اللّه، و التفانى فى سبيله و التسليم له، فلا يجب أن يتوقع منه موقف آخر،

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۲،ص:۵۲

يختلف عن هذا، أو يقل عنه. و إذن؛ فإن آمالهم فى أن يقف موقف المساوم- فى يوم ما إنما هى سراب فى سراب؛ فإن القضية قضية مبدأ و عقيدة، و ليست قضية مصالح شخصية، كما يتخيلون.

و قد اثبتت الوقائع صحة ذلك؛ حيث كان (ص) يقدم أهل بيته فى الحروب، و قد ضحى بكل غال و نفيس فى سبيل هذا الدين.

الرابعة: إن نذر عبد المطلب هذا ربما يقال فيه: إنه غير جائز؛ إذ كيف جاز له التصرف فى شخصية غيره إلى هذا الحد؟! و هل يمكن أن يعتقد أحد بوجوب الوفاء بنذر كهذا، يكون الضحية فيه نفس محترمة أخرى، حتى و لو كانت ولدا مثل عبد اللّه بن عبد المطلب؟!.

و الجواب: إننا نلاحظ: أن عبد المطلب قد سار فى إيمانه سيرا تكامليا «۱» كما أشار إليه الحلبى حيث قال: و رفض فى آخر عمره عبادة الاصنام، و وحد اللّه سبحانه «۲».

و بهذا نفسر كونه فى أول أمره يسمى أبناءه ب «عبد مناف» و مناف إسم صنم، و «عبد العزّى» و العزى كذلك. و لكنه يترقى و يتقدم حتى يبلغ به الأمر حدا من التسليم و الإيمان باللّه، أن أرعب إيمانه هذا أبرهة صاحب الفيل، كما يذكره المؤرخون.

و قد أشبه فى هذا الأمر نبى اللّه إبراهيم «عليه السلام» فإن ابراهيم على ما يظهر كان موحدا لإحساسه الوجدانى و الفطرى بوجود إله واحد قادر،

---

(۱) و هذا لا ينافى ما سيأتى إن شاء اللّه، من أن جميع آبائه كانوا مؤمنين موحّدين؛ فإن المهم هو وصولهم جميعا إلى درجة الإيمان

و لو بصورة تكاملية وتدريجية. إلا أن يقال: إنه لم يثبت تسمية أبنائه بعبد العزى، و عبد مناف. و لعلها أسماء قد لحقتهم بعد أن كبروا و ظهر شركهم باللّه و اهتمامهم بالعزى و بغيرها من الأصنام.

(۲) السيرة الحلبية: ج ۱ ص ۴، و السيرة النبوية لدحلان (بهامش الحلبية). ج ۱ ص ۲۱.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۲،ص:۵۳

عالم حكيم إلخ .. و لكنه بعد أن بلغ سن الرشد أراد أن يدعم هذا الإيمان الوجدانى بالدليل و البرهان؛ فدخل المختبر و جرب حتى وصل إلى النتيجة فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ رَأى كَوْكَباً قالَ هذا رَبِّى، فَلَمَّا أَفَلَ قالَ: لا أُحِبُّ الْآفِلِينَ. فَلَمَّا رَأَى الْقَمَرَ بازِغاً قالَ هذا رَبِّى. فَلَمَّا أَفَلَ قالَ: لَئِنْ لَمْ يَهْدِنِى رَبِّى لَأَكُونَنَّ مِنَ الْقَوْمِ الضَّالِّينَ. فَلَمَّا رَأَى الشَّمْسَ بازِغَةً قالَ هذا رَبِّى، هذا أَكْبَرُ. فَلَمَّا أَفَلَتْ قالَ: يا قَوْمِ إِنِّى بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ.

هذا إن قلنا: إن كلام إبراهيم كان على سبيل الحقيقة و ليس على سبيل الإستدراج.

و كذلك كان حال عبد المطلب، فلعله كان يعتقد باللّه الواحد القادر، الحكيم إلخ .. إستنادا إلى حكم الفطرة و الوجدان. لكنه كان يحتمل اولا أن يكون لهذه الأصنام شأن و شفاعة (مّا) من دون أن يؤثر ذلك على توحيده. ثم ترقى فى فهمه فأدرك أنها لا شىء.

و الفرق بينه و بين إبراهيم فى السرعة و البطء. والا فإن إبراهيم لم يعرف اللّه بالوحى، و إلا لم يمكن إثبات نبوته.

هذا بالنسبة لإيمانه أما بالنسبة لسلوكه و مواقفه فإنهم يقولون عنه:

إنه كان يقطع يد السارق، و يمنع من طواف العراة، و يوفى بالنذر، و يؤمن بالمعاد، و يحرم الزنا، و الخمر، و نكاح المحارم، و كان يأمر ولده بترك الظلم و البغى، و يحثهم على مكارم الأخلاق، و ينهاهم عن دنيات الأمور، و كان مجاب الدعوة و ترك الأصنام «۱».

و قد ذكرت كتب التاريخ: أن بعض الأصنام قد كانت تماثيل

---

(۱) راجع: السيرة الحلبية ج ۱ ص ۴، و السيرة النبوية لدحلان (مطبوع بهامش الحلبية): ج ۱ ص ۲۱. و مسالك الحنفا ص ۴۱، عن الملل و النحل للشهرستانى.

و راجع: تاريخ الخميس ج ۱ ص ۲۳۷.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۲،ص:۵۴

لأشخاص من أهل الخير و الصلاح، فراجع كتاب الأصنام لابن الكلبى، و سيرة ابن هشام و غير ذلك.

و عن النبى «صلى اللّه عليه و آله و سلم»: يا على، إن عبد المطلب كان لا يستقسم بالأزلام، و لا يعبد الأصنام، و لا يأكل ما ذبح على النصب؛ و يقول: أنا على دين إبراهيم «عليه السلام» «۱».

و قد بلغ الحد الإيمانى الأعلى بعد ولادة حفيده محمد «صلى اللّه عليه و آله و سلم» حيث سمع و رأى الكثير من العلامات الدالة على نبوته (ص) بأم عينيه. و شهد و عاين الكثير من الكرامات و الدلالات القطعية فيه.

و بعد كل ما تقدم نقول: انه لا مانع من أن يكون اعتقاده أولا انه يرى لنفسه الحق فى تصرف كهذا، و نذر كهذا و لم يكن ذلك مستهجنا لدى العرف آنئذ.

أضف إلى ذلك: أنه لم يثبت عدم جواز نذر كهذا فى الشرايع السابقة. فقد نذرت امرأة عمران ما فى بطنها محررا لخدمة بيوت اللّه.

و أمر اللّه تعالى نبيه إبراهيم بذبح ولده إسماعيل.

النسخ فى قصة إبراهيم:

هذا، و قد ادعى البعض: أن قصة إبراهيم تدل على جواز النسخ قبل حضور وقت العمل.

و أجيب عن ذلك:

أولا: إن إبراهيم «عليه السلام» لم يؤمر بالذبح الذى هو فرى الأوداج، بل أمر بالمقدمات، كما يدل عليه قوله تعالى: قَدْ صَدَّقْتَ

---

(۱) البحار: ج ۷۷ ص ۵۶.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۲،ص:۵۵

الرُّؤْيَا.

و لو كان ما فعله بعض المأمور به لكان مصدقا لبعض الرؤيا «۱» فلا يصح قوله تعالى: قَدْ صَدَّقْتَ الرُّؤْيا.

و ثانيا: إن وقت الفعل حاضر؛ فإن إبراهيم قد شرع فى التنفيذ فعلا. فالنسخ لو سلم، فإنما هو قبل وقوع الفعل، لا قبل حضور وقت العمل.

و نقول: إن النسخ يمكن أن يكون مع كون الأمر بداعى الإمتحان أو غيره أولا، ثم يصدر أمر عن مصلحة واقعية ثانيا فينسخه.

البداء عند الشيعة:

و يتفرع على مسألة النسخ مسألة البداء؛ التى هى موضع خلاف بين الشيعة و غيرهم، و قد صارت مصدرا للإفتراءات الكثيرة على الشيعة.

و نحن نشير إلى توضيح هذه المسألة بما يسمح به المجال، فنقول:

قال آية اللّه الحجة السيد عبد الحسين شرف الدين (رحمه اللّه):

«حاصل ما تقوله الشيعة هنا: ان اللّه عزوجل قد ينقص من الرزق، و قد يزيد فيه، و كذا الأجل، و الصحة و المرض، و السعادة و الشقاوة، و المحن و المصائب، و الإيمان و الكفر، و سائر الأشياء، كما يقتضيه قوله تعالى: يَمْحُوا اللَّهُ ما يَشاءُ وَ يُثْبِتُ وَ عِنْدَهُ أُمُّ الْكِتابِ «۲».

و هذا مذهب عمر بن الخطاب، و أبى وائل، و قتادة. و قد رواه جابر عن رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله و سلم». و كان كثير من السلف يدعون،

---

(۱) معالم الدين: ص ۲۰۸، و راجع: البحار ج ۱۲ ص ۱۳۷، و مفاتيح الغيب، ج ۲۵ ص ۱۵۵.

(۲) الرعد ۳۹.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۲،ص:۵۶

و يتضرعون إلى اللّه أن يجعلهم سعداء لا- أشقياء. و قد تواتر ذلك عن أئمتنا فى أدعيتهم المأثورة. و ورد فى السنن الكثيرة: أن الصدقة على وجهها، و بر الوالدين، و اصطناع المعروف، يحول الشقاء سعادة، و يزيد فى العمر إلخ ...» «۱».

نعم، هذا هو البداء الذى تعتقد به الشيعة تبعا لائمتهم «عليهم السلام».

و أما البداء بمعنى ظهور رأى جديد له تعالى بعد ان لم يكن يعلم به أولا، أو بمعنى ان يعمل تعالى عملا ثم يندم عليه، حيث ظهر له أن المصلحة كانت فى خلاف ذلك. أما البداء بهذا المعنى فهو محال على اللّه، و لم يقل به الشيعة أبدا. كيف؟! و هم أتباع أمير المؤمنين على «عليه السلام» منشئ نهج البلاغة المشحون بالمعانى التى يعجز العقل البشرى عن إدراكها؛ على الذى تعلم الناس منه و من أبنائه المعصومين تنزيه اللّه تعالى عن كل نقص. و أخذوا عنه أدق المعارف حول اللّه و صفاته سبحانه و تعالى ..

و قد نقل عن الصادق «عليه السلام» قوله: من زعم أن اللّه يبدو له فى شىء، و لم يعلمه أمس، فابرؤوا منه «۲».

و عنه «عليه السلام»: من زعم أن اللّه بدا له فى شىء بداء ندامة؛ فهو عندنا كافر باللّه العظيم «۳».

---

(۱) أجوبة موسى جار اللّه ص ۸۶/ ۸۷. و قد ذكر مصادر ما أشار إليه ثمة؛ فراجع.

و نظير ذلك ما قاله المجلسى أيضا، فراجع: سفينة البحار: ج ۱ ص ۶۲، و قد أوضحه أيضا بصورة جيدة.

(۲) البحار: ج ۴ ص ۱۱۱، و الإعتقادات للصدوق، باب الإعتقاد بالبداء، و ميزان الحكمة ج ۱ ص ۳۸۹.

(۳) الإعتقادات للصدوق رحمه اللّه- باب الاعتقاد بالبداء، و راجع: هامش البحار:

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۲،ص:۵۷

التوضيح و التطبيق:

و توضيح ذلك: أن اللّه عز و جل يقدر لزيد من الناس مثلا رزقا معينا، أو عمرا معينا، بحسب ما تقتضيه طبيعته و سجيته، و استعداده الذاتى، و لكنه يعلم أنه سوف يتصدق فيكون ذلك سببا فى زيادة رزقه المقدر له أولا بقطع النظر عن هذه الصدقة. أو سوف يبر بوالديه فيزيد عمره لذلك كذلك. و اللّه يعلم بذلك كله من أول الأمر.

و قد تقتضى المصلحة أن يطلع اللّه نبيه على المقتضى لوجود شىء، من دون أن يطلعه على ما سوف يجد فى المستقبل له من الموانع، أو ما سوف يفقده من شرائط. فيخبر النبى الناس عنه على تلك الصفة.

ثم بعد ذلك يطلع تعالى النبى على انه يوجد مانع، أو أن المقتضى يحتاج إلى توفر شرائط و مناخات معينة مفقودة فعلا. مع علم اللّه سبحانه بكل ذلك أولا و آخرا؛ فإن للّه علما اختص به، و علما يطلع عليه نبيه أو يثبته فى لوح المحو و الإثبات، و قد أشار إلى هذين العلمين، فى قوله تعالى: يَمْحُوا اللَّهُ ما يَشاءُ وَ يُثْبِتُ وَ عِنْدَهُ أُمُّ الْكِتابِ فمثلا، لو بنينا بيتا، فإنه بحسب طبعه صالح للبقاء مئة سنة مثلا. و لكنه ربما ترد عليه عواصف، أو زلازل، أو سيول، أو نحوها؛ تمنع من بقائه هذه المدة، و يتلاشى فى مدة عشر سنوات مثلا.

فلو أخبرنا الناس: أن هذا البيت يبقى مئة سنة، مع علمنا بأنه سيتلاشى بسبب سيل يأتى من الناحية الفلانية يصل إليه بعد عشرة أيام، ثم أخبرنا ثانيا بأن البيت سيهدم بعد عشرة أيام؛ فإن كلا من الخبرين يكون صحيحا .. و قد يترتب على إخبارنا الأول مصلحة هامة لا غنى عن تحققها فى موطنها.

ج ۴ ص ۱۲۵.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۲،ص:۵۸

و قد يكون من هذا القبيل ما نجده يذكر فى علامات الإمام صاحب الزمان «عليه السلام» حيث قد نص الأئمة «عليهم السلام» على أن بعضها: من المحتوم، و سكتوا عن البعض الآخر؛ فلربما يتحقق الجميع، و لربما تفقد بعض الشرائط لبعضها أو توجد بعض الموانع عن تحقق بعضها، و يكون المخبر إنما أخبر عن السير الطبيعى للأمور بغض النظر عن العوارض و الطوارئ. و قد أوضحنا ذلك فى كتابنا دراسة فى علامات الظهور و الجزيرة الخضراء، فراجع الفصل الثانى منه.

و يمكن أن تكون قضية إبراهيم و إسماعيل الذبيح من هذا القبيل أيضا، حيث إنه تعالى- لمصلحة يراها، كالإمتحان و الإبتلاء، و غير ذلك مما تقدم- قد أمر نبيه إبراهيم بذبح ولده ثم فدا ذلك الذبيح بذبح عظيم.

و قد أخبر تعالى: إبراهيم بأنه قد صدق الرؤيا.

و لعل قضية إسماعيل إبن الإمام جعفر الصادق عليه السلام، كانت من هذا القبيل، فقد اقتضت المصلحة أن تتوجه الأنظار نحو إسماعيل هذا، من أجل حفظ نفس الإمام الحق من الأخطار، ثم يموت إسماعيل، و يظهر أن الإمام الحقيقى هو أخوه موسى «عليه

السلام».

إشكال .. و جوابه:

الإشكال: أن كلمة «بدا» معناها: ظهر (و ليس أظهر). و «بدا للّه» لا- بد أن يكون معناه ظهر له الأمر و علم به بعد أن كان يجهله. و ذلك محال عليه تعالى كما قتلم. فكيف يمكن توجيه قوله «عليه السلام»: «ما بدا للّه فى شىء كما بدا له فى إسماعيل» و غير ذلك من كلمات عبرت ب «بدا له» أو «بدا للّه»؟!.

و الجواب: أن قوله تعالى: وَ نادَيْناهُ أَنْ يا إِبْراهِيمُ قَدْ صَدَّقْتَ الرُّؤْيا. ثم اعتبار قضية إسماعيل إبن الإمام الصادق «عليه السلام»

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۲،ص:۵۹

و صرف القتل عنه مرتين بسبب دعاء أبيه «عليه السلام» من البداء، حيث روى عن الإمام الصادق (ع) قوله: ما بدا للّه فى شىء كما بدا له فى إسماعيل «۱»- إن ذلك- يشير إلى أن كلمة بدا لم تستعمل فى معنى الإظهار او الظهور. و إنما استعملت بمعنى: تحقيق ما علم فى عالم الكون و الوجود، نظير كلمة: «علم» فى قوله تعالى: ثُمَّ بَعَثْناهُمْ لِنَعْلَمَ أَيُّ الْحِزْبَيْنِ أَحْصى لِما لَبِثُوا أَمَداً «۲». و قوله تعالى: وَ لَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّى نَعْلَمَ الْمُجاهِدِينَ مِنْكُمْ وَ الصَّابِرِينَ وَ نَبْلُوَا أَخْبارَكُمْ «۳».

و قوله سبحانه: وَ ما جَعَلْنَا الْقِبْلَةَ الَّتِي كُنْتَ عَلَيْها إِلَّا لِنَعْلَمَ مَنْ يَتَّبِعُ الرَّسُولَ مِمَّنْ يَنْقَلِبُ عَلى عَقِبَيْهِ «۴».

و المقصود: ليتحقق معلومنا، و يتجسد فى عالم الوجود. هذا بالنسبة للتعبير ب «علم».

و كلمه بدا، أيضا كذلك؛ فبداله، أى تحقق ما علمه فى الخارج و على صفحة الكون. و لعل قوله تعالى: وَ بَدا لَهُمْ سَيِّئاتُ ما كَسَبُوا «۵»، قد استعمل فى هذا المعنى أيضا: أى تحقق ذلك و تجسد فى الخارج.

و لعل هذا المعنى أقرب من حمل (بدا) على معنى: أظهر للغير، لأن هذا المعنى لا يناسب التعدية باللام لنفس الذات الإلهية. فلا يصح أن يقال: بدا للّه، و يكون المعنى: أظهر للغير. بل هذا غلط ظاهر.

---

(۱) سفينة البحار: ج ۱ ص ۶۲.

(۲) الكهف: ۱۲.

(۳) محمد: ۳۱.

(۴) البقرة: ۱۴۳.

(۵) الزمر: ۴۸.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۲،ص:۶۰

اليهود، و البداء:

و بعد، فلو أننا لم نقل بالبداء، لكنا مثل اليهود الذين نعى اللّه عليهم اعتقادهم الفاسد، حيث أنكروا البداء. و قالوا: إن اللّه قدر الأرزاق و الأشياء منذ الأزل، و لا تغيير و لا تبديل فيما قدر، فقد «جف القلم».

و قد قال تعالى مقبحا قولهم هذا: وَ قالَتِ الْيَهُودُ: يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ، غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ، وَ لُعِنُوا بِما قالُوا، بَلْ يَداهُ مَبْسُوطَتانِ، يُنْفِقُ كَيْفَ يَشاءُ «۱».

و قال الشهرستانى عن اليهود: «و لم يجيزوا النسخ أصلا قالوا: فلا يكون بعده شريعة أصلا؛ لأن النسخ فى الأوامر بداء و لا يجوز البداء على اللّه تعالى» «۲».

فالإعتقاد بالبداء ضرورة إسلامية و عقيدية، و من لوازم و مقتضيات تنزيه اللّه و توحيده. و هو كذلك منسجم مع مفاد الآيات القرآنية، و الأحاديث الشريفة.

و عن الصادق و الباقر «عليهما السلام»، قال: ما عبد اللّه تعالى بشيء مثل البداء «۳».

هذا و قد أورد المجلسى (رحمه اللّه) للبداء حكما جليلة، و فوائد جميلة: فليراجعها من أراد «۴».

---

(۱) سورة المائدة: ۶۴.

(۲) الملل و النحل: ج ۱ ص ۲۱۱.

(۳) سفينة البحار: ج ۱ ص ۶۱.

(۴) سفينة البحار ج ۱ ص ۶۲.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۲،ص:۶۱

الفصل الثانى: عهد الطفولة

اشارة

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۲،ص:۶۳

نسب النبى «صلى اللّه عليه و آله و سلم»:

هو أبو القاسم محمد «صلى اللّه عليه و آله و سلم»، بن عبد اللّه، بن عبد المطلب، شيبة الحمد، بن هاشم، بن عبد مناف، بن قصى، بن كلاب بن مرة، بن كعب، بن لؤى، بن غالب، بن فهر، بن مالك، بن نضر، بن كنانة، بن خزيمة، بن مدركة، بن إلياس، بن مضر، بن نزار، بن معد، بن عدنان.

قالوا: إن هذا هو المتفق عليه من نسبه الشريف، أما ما فوقه ففيه اختلاف كثير، غير أن مما لا شك فيه هو أن نسب عدنان ينتهى إلى اسماعيل «عليه السلام».

و قد روى أنه (ص) قال: «إذا بلغ نسبى إلى عدنان فأمسكوا» «۱».

و نحن نمسك هنا إمتثالا لأمره (ص).

و أمه «صلى اللّه عليه و آله و سلم»: هى آمنة بنت سيد بنى زهرة، وهب بن عبد مناف، بن زهرة، بن كلاب.

---

(۱) كشف الغمة للإربلى ج ۱ ص ۱۵.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۲،ص:۶۴

مولد النبى (ص):

ولد النبى «صلى اللّه عليه و آله و سلم» بمكة عام الفيل على المشهور «۱». أى قبل البعثة بأربعين سنة.

و المشهور عند الإمامية و بعض من غيرهم أنه ولد فى السابع عشر من شهر ربيع الأول. و المشهور عند غيرهم و وافقهم الكلينى: أنه ولد لاثنتى عشرة ليلة خلت منه «۲». و ثمة أقوال أخر لا مجال لذكرها.

و نصّ الطبرسى، و الكلينى على أنه (ص) قد ولد فى يوم الجمعة، و عند غير الإمامية: أنه ولد فى يوم الاثنين. و ورد: أن أمه قد حملت به فى أيام التشريق. و هى الحادى عشر، و الثانى عشر و الثالث عشر من ذى الحجة «۳».

و لا يخلو ذلك من إشكال، لأنها إن كانت ولدته فى تلك السنة، فإن حملها به (ص) يكون ثلاثة أشهر، و تزيد قليلا، و إن كانت ولدته فى السنة الثانية، فمدة حمله تكون خمسة عشر شهرا، مع أن أقل مدة الحمل ستة أشهر، و أقصاها سنة عند المشهور من الإمامية.

و أجيب: بأن ذلك مبنى على النسىء فى الأشهر الحرم عند العرب، فإنهم كانوا يقولون مثلا: إن الأشهر الحرم توضع بعد أربعة أشهر مثلا، ثم يستحلون القتال فى نفس الأشهر التى رفع الإعتبار عنها.

ولكن إن لم نقل بأن الحمل به «صلى اللّه عليه و آله و سلم» أربعة أشهر قد كان من خصوصياته (ص) فلا يمكننا قبول تلك الرواية حتى و لو صح

---

(۱) راجع: سيرة مغلطاى ص ۶/ ۷ و تاريخ الخميس ج ۱ ص ۱۹۵، و غير ذلك و حكى الاتفاق عليه.

(۲) أصول الكافى ج ۱ ص ۳۶۴ ط المكتبة الإسلامية بطهران سنة ۱۳۸۸.

(۳) أصول الكافى ج ۱ ص ۳۶۴، و ليراجع: تاريخ الخميس ج ۱ ص ۱۹۶.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۲،ص:۶۵

سندها، و ذلك لأن كون تلك الرواية واردة بناء على أشهر النسبىء يحتاج إلى إثبات. إذ لم نعهد فى تعبيرات المعصومين بناء كلامهم على النسىء، الذى هو زيادة فى الكفر، كما لم نعهد ذلك فى كلمات المحدثين و المؤرخين. و لا سيما مع عدم نصب قرينة على ذلك.

تعقيب هام و ضرورى:

لقد قال الإربلى (رحمه اللّه)، بعد أن أشار إلى الإختلاف فى تاريخ ولادته (ص): «إن اختلافهم فى يوم ولادته سهل؛ إذ لم يكونوا عارفين به، و بما يكون منه، و كانوا أميين لا يعرفون ضبط مواليد أبنائهم. فأما اختلافهم فى موته، فعجيب. و الأعجب من هذا مع اختلافهم فى الأذان و الإقامة، بل اختلافهم فى موته أعجب؛ فإن الأذان ربما ادّعى كل قوم أنهم رووا فيه رواية، فأما موته فيجب أن يكون معينا معلوما» «۱».

و كلام الإربلى (رحمه اللّه) ظاهر المأخذ؛ فهو يقول: إن اختلافهم فى تاريخ ولادة النبى «صلى اللّه عليه و آله و سلم» ربما تكون له مبرراته، و لكنّ ما يثير الدهشة حقا هو اختلافهم فى يوم وفاته «صلى اللّه عليه و آله و سلم»، مع أنهم كانوا قد عرفوا فيه «صلى اللّه عليه و آله و سلم» المنقذ و المخرج لهم من الظلمات إلى النور، و من الموت إلى الحياة، مع عدم وجود هوى سياسى أو مذهبى يقتضى إبهام ذلك، أو إجماله، أو التلاعب فيه.

و أغرب من ذلك كله، هو اختلافهم فى الكثير الكثير من الأمور التى كانوا يمارسونها مع النبى «صلى اللّه عليه و آله و سلم» عدة مرات يوميا، طيلة سنين عديدة، حتى إنك لتجدهم يروون المتناقضات عنه «صلى اللّه عليه و آله و سلم» فى أفعال الوضوء و الصلاة، و هم كانوا يؤدونها معه «صلى

---

(۱) كشف الغمة ج ۱ ص ۱۵.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۲،ص:۶۶

اللّه عليه و آله و سلم» خمس مرات فى كل يوم. بل قد تجد بعضهم يقول:

إنهم إنما كانوا يعرفون أنه «صلى اللّه عليه و آله و سلم» يقرأ فى صلاة الظهر و العصر، من اضطراب لحيته «۱».

أمّا اختلافهم فى الأذان الذى كانوا يتربّون على سماعه منذ صغرهم؛ فذلك ظاهر أيضا، كما أشار إليه الإربلى (رحمه اللّه).

و إذن .. فما هو مدى معرفتهم بتلك الأحكام التى يقل الإبتلاء بها، و التعرض لها عادة يا ترى؟!.

و أيضا .. هل يصح اعتبار أقوال هؤلاء و افعالهم سنة ماضية، و شريعة متبعة،- كما هو عند بعض الفرق الإسلامية- بل تجد بعضهم ربما يرد الحديث الصحيح لقول صحابى، أو لقول حاكم. إن ذلك لعجيب! و أى عجيب!!

و إذا كانوا يختلفون حتى فى مثل هذه الامور؛ فهل يعقل بعد هذا أن يصح قول البعض: إنه «صلى اللّه عليه و آله و سلم» قد ترك الأمة هكذا هملا، بلا قائد و لا رائد؟ و لا معلم، و لا مرشد؟ على اعتبار أن الأمة تكون مستغنية عن الهداية و الرعاية؟!.

و هذا موضوع هام جدا يحتاج إلى بحث و تمحيص بصورة مفصلة.

قصة كاذبة:

و قد روى عن عبد اللّه بن عباس، أنه قال: سمعت أبى العباس

---

(۱) صحيح البخارى ط سنة ۱۳۰۹ ه ج ۱ ص ۹۰ و ۹۳، و مسند أحمد بن حنبل ج ۶ ص ۳۹۵ و ج ۵ ص ۲۰۹ و ۱۸۲ و ۱۱۲ و جواهر الأخبار و الآثار (مطبوع بهامش البحر الزخار): ج ۲ ص ۲۴۷ عن الانتصار، و أبى داود، و الترمذى، و النسائى، و البخارى و السنن الكبرى للبيهقى ج ۲ ص ۳۷ و ۵۴ عن الصحيحين و البحر الزخار ج ۲ ص ۲۴۷.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۲،ص:۶۷

يحدّث، قال: ولد لأبى عبد المطلب عبد اللّه فرأينا فى وجهه نورا يظهر كنور الشمس، فقال أبى: إن لهذا الغلام شأنا عظيما.

قال: فرأيت فى منامى أنه خرج من منخره طائر أبيض .. إلى أن قال: فلما انتبهت، سألت كاهنة من بنى مخزوم، فقالت: يا عباس، لئن صدقت رؤياك ليخرجنّ من صلبه ولد يصير أهل المشرق و المغرب تبعا له.

إلى أن قال: فلما مات عبد اللّه، و ولدت آمنة رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله و سلم» أتيته، و رأيت النور بين عينيه يزهر، فحملته، و تفرست فى وجهه ..

ثم تذكر الرواية ما رأته آمنة، ثم تقول: فهذا ما رأيت يا عباس.

قال- يعنى العباس-: و أنا يومئذ أقرأ، و كشفت عن ثوبه، فإذا خاتم النبوة بين كتفيه، فلم أزل أكتم شأنه و أنسيت الحديث، فلم أذكره إلى يوم إسلامى، حتى ذكرنى رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله و سلم» «۱».

و أقول: إن هذا الحديث لا يصح، لأن العباس كان أكبر من النبى «صلى اللّه عليه و آله و سلم» بسنتين «۲»، فكيف يكون قد حضر ولادة أبيه عبد اللّه، و رأى ذلك المنام ثم ذهب إلى الكاهنة، ثم حين ولادة الرسول و أخذه و حمله إلخ ..

هذا بالإضافة إلى أن نسيانه لهذا الأمر الخطير جدا هو الآخر غير معقول.

و لو سلمنا أنه نسيه، فكيف لا يذكره حين بعثة الرسول «صلى اللّه عليه و آله و سلم»، و يبادر إلى التصديق به، و إعلان إسلامه. بل يتأخر فى

---

(۱) روضة الواعظين ص ۶۴/ ۶۵.

(۲) الإصابة ج ۲ ص ۲۷۱.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۲،ص:۶۸

ذلك هذه السنين الطويلة، بل إلى عام الفتح كما يقولون.

و الحقيقة هى أنهم يريدون من أمثال هذه الحكايات اثبات فضائل للعباس (رحمه اللّه)، مثل كونه أول من أسلم، بل أسلم قبل ولادة النبى نفسه، و ما إلى ذلك.

مصير الدار التى ولد فيها النبى (ص):

و كانت ولادته «صلى اللّه عليه و آله و سلم»، فى شعب بنى هاشم؛ أو شعب أبى طالب، فى الدار التى اشتراها محمّد بن يوسف، أخو الحجاج من ورثة عقيل بن أبى طالب (رحمه اللّه) تعالى بمائة ألف دينار.

ثم صيرتها الخيزران أم الرشيد مسجدا، يصلى فيه الناس «۱» و يزورونه، و يتبركون به. و بقى على حالته تلك، فلما: «أخذ الوهابيون مكة فى عصرنا هذا هدموه، و منعوا من زيارته، على عادتهم فى المنع من التبرك بآثار الأنبياء و الصالحين، و جعلوه مربطا للدّواب» «۲».

رضاعه «صلى اللّه عليه و آله و سلم»:

و يقولون إن أمه «صلى اللّه عليه و آله و سلم» قد أرضعته يومين أو ثلاثة، ثم أرضعته ثويبة مولاة أبى لهب أياما «۳».

ثم قدمت حليمة السعدية رحمها اللّه مكة مع رفيقات لها، بحثا عن

---

(۱) أصول الكافى: ج ۱ ص ۲۶۴. و قيل: إن زبيدة قد فعلت ذلك. راجع التبرك:

ص ۲۴۳ و ۲۵۵، و راجع تاريخ الخميس ج ۱ ص ۱۹۸ و راجع أيضا الروض الأنف ج ۱ ص ۱۸۴ و المواهب اللدنية ج ۱ ص ۲۵، و تاريخ الأمم و الملوك: ج ۱ ص ۵۷۱، و الكامل فى التاريخ: ج ۱ ص ۴۵۸ و أخبار مكة للأزرقى ج ۱ ص ۴۳۳.

(۲) أعيان الشيعة ج ۲ ص ۷.

(۳) قاموس الرجال ج ۱۰ ص ۴۱۷ ترجمة ثويبة، عن البلاذرى.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۲،ص:۶۹

ولد ترضعه؛ لتستفيد من رعاية أهله، و معوناتهم؛ فعرض «صلى اللّه عليه و آله و سلم» عليها، فرفضته- فى بادىء الامر- ليتمه. ولكنها عادت، فقبلته، حيث لم تجد غيره، فرأت فيه كل خير و بركة؛ فأرضعته سنتين.

ثم أعادته إلى أهله، و هو ابن خمس سنين و يومين- كما يقولون- ليكون فى كفالة جده عبد المطلب، ثم عمه أبى طالب.

و يقول العلامة المحقق السيد مهدى الروحانى: إن قولهم: إنها رفضته فى أول الأمر ليتمه إنما يصح بالنسبة ليتيم ضائع، لا أهمية له. و أما بالنسبة لمحمد «صلى اللّه عليه و آله و سلم» فإن كافله عبد المطلب سيد هذا الوادى. و أمه آمنة بنت وهب، من أشراف مكة. بل ثمة من يقول: إنه لم يكن حينئذ يتيما، و إن أباه قد توفى بعد ولادته بعدة أشهر، قيل: ثمانية و عشرين شهرا. و قيل: سبعة أشهر. «۱» انتهى كلامه.

لماذا الرضاع فى البادية؟!:

و على كل حال فقد كان إرسال الأطفال إلى البادية للرضاع، هو عادة أشراف مكة، حيث يرون أن بذلك ينشأ أطفالهم: أصح أبدانا، و أفصح لسانا، و أقوى جنانا، و أصفى فكرا و قريحة، و هى نظرة صحيحة و سليمة، و ذلك لما يلى:

أما كونهم:

۱- أصح ابدانا، فلأنهم يعيشون فى الهواء الطلق، و يواجهون مصاعب الطبيعة فتصير لديهم مناعة طبيعية تجاه مختلف المتغيرات، فى مختلف الظروف.

۲- و كونهم أفصح لسانا، من حيث إنهم يقلّ اختلاطهم بأهل

---

(۱) صفة الصفوة ج ۱ ص ۵۱ و كشف الغمة للإربلى ج ۱ ص ۱۶.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۲،ص:۷۰

الأقطار الأخرى، من الأمم الأخرى، على العكس من سكان المدن، و لا سيما مكة، التى كانت تقيم علاقات تجارية بينها و بين سائر الأقطار و الأمم. و لها رحلتا الشتاء و الصيف، إلى البلاد التى تتاخم البلاد الاجنبية، التى لا يبعد تأثرها بها- قليلا كان ذلك أو كثيرا-.

۳- و كونهم أقوى جنانا، لما قدّمناه فى مطاوى كلماتنا فى الفصل الأول.

۴- و أما أنهم أصفى فكرا و قريحة، فهو حيث يبتعد الإنسان حينئذ عن هموم المدينة، و عن علاقاتها المعقدة و المرهقة، حيث لا يواجه فى البادية إلا العيش الساذج و البسيط، و الحياة على طبيعتها. و لا يتأثر فكره و عقله، بالمفاهيم و الأفكار التى تفرضها تلك الحياة المثقلة بالعلاقات المنحرفة، ثم هو يجد الفرصة للتأمل و التفكير و التعرف على أسرار الطبيعة و الكون، و لو فى حدود عالمه الناشىء المحدود، و مداركه الناشئة أيضا.

و ليكون من ثم ذا فكر مبدع خلاق، و قريحة صافية و غنية.

و لكن بشرط عدم الإستمرار فى هذه الحياة طويلا؛ فإن الإستمرار فى حياة البادية من شأنه أن يجعل الإنسان يعانى من الجمود و الإنغلاق، ثم هو يكّون لنفسه مفاهيم و أفكارا؛ يحوّلها الزمن إلى حقائق لا تقبل الجدل عنده، و يصير من الصعب عليه قبول أى رأى آخر يسير فى غير اتجاه قناعاته و أفكاره، فإن تدرّب الإنسان على أن يسمع النقد و المخالفة فى الرأى يبعده عن الإستبداد الفكرى، و يجعله يبحث عن الدليل، و المبرر لكل فكرة لديه. و إلا؛ فإنه يصير على استعداد للتخلى عنها إلى غيرها مما يستطيع أن يدافع عنه و يستدل عليه. و هذا أمر طبيعى يعرفه الإنسان بالمشاهدة، و يستدل عليه بالتقصّى و التجربة.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۲،ص:۷۱

أخوا النبى «صلى اللّه عليه و آله و سلم» من الرضاعة:

و يقال: إن أبا سلمة كان أخا للنبى «صلى اللّه عليه و آله و سلم» من الرضاعة، و أخوهما منها أيضا حمزة بن عبد المطلب، أرضعتهم ثويبة، مولاة أبى لهب بلبن ولدها مسروح «۱» و قد تقدم: قولهم: إن ثويبة قد أرضعت النبى «صلى اللّه عليه و آله و سلم» أياما. و نحن نشك فى ذلك، و لا بدّ لنا فى مجال توضيح ذلك من التوسع فى البحث نسبيا فنقول:

رضاع ثويبة للرسول «صلى اللّه عليه و آله و سلم» لا يصح:

إننا نشك فى أن تكون ثويبة قد أرضعت هؤلاء، و لا سيما رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله و سلم»، و شكنا فى ذلك ناشىء عن الأمور التالية:

أولا: تناقض الروايات، و يكفى أن نذكر:

بالنسبة للمدة التى أرضعتها رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله و سلم»،

---

(۱) راجع: أسد الغابة ج ۳ ص ۹۵ و ج ۲ ص ۴۶ و البدء و التاريخ ج ۵ ص ۸ و تاريخ اليعقوبى ج ۲ ص ۹، و بهجة المحافل ج ۱ ص

۴۱ و طبقات ابن سعد ج ۱ قسم ۱ ص ۶۷ و الإصابة ج ۴ ص ۲۵۸ و ج ۲ ص ۳۳۵ عن الصحيحين، و الاستيعاب بهامشها ج ۲ ص ۳۳۸ و ج ۱ ص ۱۶ و ۲۷۱ و البحار ج ۱۵ ص ۳۸۴ عن المنتقى للكازرونى، و قاموس الرجال ج ۱۰ ص ۴۱۷ و الكامل لابن الأثير ج ۱ ص ۴۵۹ و السيرة النبوية لابن كثير ج ۳ ص ۱۷۲ و البداية و النهاية ج ۴ ص ۹۰ و تاريخ الإسلام للذهبى ج ۲ ص ۱۸ و ۱۹ و قسم المغازى ص ۲۰۹ و تاريخ الخميس ج ۱ ص ۲۲۲ و الوفاء ج ۱ ص ۱۰۷ و تاريخ ابن الوردى ج ۱ ص ۱۳۱ و دلائل النبوة لأبى نعيم ص ۱۱۳ و صفة الصفوة ج ۱ ص ۵۶ و ۵۷ و زاد المعاد ج ۱ ص ۱۹ و ذخائر العقبى ص ۲۵۹ و ۱۷۲ و اعلام الورى ص ۶ و كشف الغمة ج ۱ ص ۱۵ و الأنس الجليل ج ۱ ص ۱۷۶ و أنساب الأشراف (قسم السيرة) ص ۹۴ و السيرة الحلبية ج ۳ ص ۱۶۴ و فى الروض الأنف: ج ۱ ص ۱۸۶ لكن فيه بدل أبى سلمة. عبد اللّه بن جحش و راجع: المعجم الصغير ج ۲ ص ۸۶.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۲،ص:۷۲

نجد: بعضها يقول: أرضعته أياما «۱» من دون تحديد، و بعضها يقول:

أربعة أشهر تقريبا «۲».

و فى حين نجد بعضها يقول: إن أمه أرضعته ثلاثة أيام «۳».

و قيل: سبعة «۴».

و قيل: تسعة «۵».

(و لعل أحدهما تصحيف للآخر، بسبب عدم النقط فى تلك العصور، و تشابه رسم الكلمتين).

و قيل: سبعة أشهر «۶».

و بعضهم لم يحدد مدة إرضاعها له «صلى اللّه عليه و آله و سلم» «۷».

نعم، إننا فى حين نجدهم يقولون ذلك كله بالنسبة لإرضاع أمّه له، فإننا نجدهم يذكرون: أن حليمة السعدية أرضعته «صلى اللّه عليه و آله

---

(۱) الإصابة ج ۴ ص ۲۵۸ و البحار ج ۱۵ ص ۳۳۷، و فى هامشه عن المناقب ج ۱ ص ۱۱۹ و كشف الغمة ج ۱ ص ۱۵ و نور الأبصار ص ۱۰ و تهذيب الأسماء ج ۱ ص ۲۴ و طبقات ابن سعد ج ۱ قسم ۱ ص ۶۷ و الوفاء ج ۱ ص ۱۰۷ و ۱۰۶ و الأنس الجليل ج ۱ ص ۱۷۶ و صفة الصفوة ج ۱ ص ۵۶ و ۵۷ و زاد المعاد ج ۱ ص ۱۹ و تاريخ الخميس ج ۱ ص ۲۲۲ و السيرة الحلبية ج ۱ ص ۸۸ و الرصف ج ۱ ص ۲۲.

(۲) تاريخ الخميس ج ۱ ص ۲۲۲ عن شواهد النبوة.

(۳) تاريخ الخميس ج ۱ ص ۲۲۲ و السيرة الحلبية ج ۱ ص ۸۸ و نور الأبصار ص ۱۰.

(۴) تاريخ الخميس ج ۱ ص ۲۲۲ و نور الأبصار ص ۱۰.

(۵) السيرة الحلبية ج ۱ ص ۸۸.

(۶) السيرة الحلبية ج ۱ ص ۸۸ عن الإمتاع.

(۷) راجع: تاريخ اليعقوبى ج ۲ ص ۹ و إسعاف الراغبين بهامش نور الأبصار ص ۸ و تاريخ ابن الوردى ج ۱ ص ۱۱۳.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۲،ص:۷۳

و سلم»؛ بعد سبعة أيام من مولده فقط «۱» من دون تحديد من أرضعه مدة الأيام السبعة نفسها، مع العلم: أنه بعد إرضاع حليمة له، لم يرتضع من غيرها، و إذا كانت أمه قد أرضعته فيها، فمتى أرضعته ثويبة يا ترى؟!.

و من جهة أخرى: فإن البعض يصرح بأن أول من أرضعته ثويبة «۲».

و بعضهم يصرح بأن أمه أول من أرضعته «۳».

ب- تناقض الروايات فى وقت عتق ثويبة، هل كان ذلك حينما بشرت أبا لهب بولادته «صلى اللّه عليه و آله و سلم» فأعتقها فأرضعته، أو كان بعد حوالى خمسين سنة، قبيل الهجرة، أو بعدها. كما سيأتى إن شاء اللّه تعالى؟!.

و ثانيا: لقد ذكرت الرواية: أن ثويبة، قد أرضعت النبى «صلى اللّه عليه و آله و سلم» و أرضعت معه حمزة، و أبا سلمة بلبن ولدها مسروح.

و نقول: إن ذلك لا يكاد يصح، لأن حمزة كان أكبر من النبى «صلى

---

(۱) مختصر التاريخ لابن الكازرونى ص ۳۸.

(۲) راجع: الأنس الجليل ج ۱ ص ۱۷۶ و صفة الصفوة ج ۱ ص ۵۶/ ۵۷ و دلائل النبوة، لأبى نعيم ص ۱۱۳ و الكامل فى التاريخ ج ۱ ص ۴۵۹ و طبقات ابن سعد ج ۱ قسم ۱ ص ۶۷ و أنساب الأشراف ج ۱ (قسم حياة النبى صلى اللّه عليه و آله) ص ۹۴ و البحار ج ۱۵ ص ۳۸۴ عن المنتقى للكازرونى، و البدء و التاريخ ج ۵ ص ۸ و الإصابة ج ۴ ص ۲۵۸ و الوفاء ج ۱ ص ۱۰۶ و السيرة الحلبية ج ۱ ص ۸۸ و ۸۵ و ذكر عن ابن المحدث: ان أوّل لبن نزل جوفه صلى اللّه عليه و آله، هو لبن ثويبة.

(۳) راجع: السيرة الحلبية ج ۱ ص ۸۸ عن الامتاع، و احتمل الحلبى: أن يكون المراد:

أن ثويبة أوّل من أرضعه بعد أمه، و لكن قول ابن المحدث، أول لبن نزل جوفه صلى اللّه عليه و آله هو لبن ثويبة لا- يناسب هذا الاحتمال.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۲،ص:۷۴

اللّه عليه و آله و سلم» بأربع سنين «۱» و قيل: كان أكبر منه بسنتين «۲».

و حتى على هذا القول الثانى، فإنه يبعد أن يكونا أخوين من الرضاعة بلبن مسروح.

و أما إذا أخذنا بالقول الأول، فإن القضية تصبح أكثر إشكالا، و أبعد منالا.

مع أبى عمر فى ترجيحه للقول الثانى:

و يلاحظ، أن أبا عمر قد رفض القول الأول، و رجح الثانى، إستنادا إلى قضية الإرضاع، ثم استدرك على ذلك، قائلا: «إلا أن يكون أرضعتهما فى زمانين» «۳».

و لكنه كلام لا يصح، لأن ما ذكره ليس بأولى من العكس، بحيث تكون زيادة عمره أربع سنين دليلا على عدم صحة إرضاع ثويبة له بلبن مسروح.

و أما استدراكه المذكور، فيبعده: أن الرواية تقول: إنهما معا قد

---

(۱) اعلام الورى ص ۷ و كشف الغمة ج ۱ ص ۱۵ و تهذيب الأسماء ج ۱ ص ۱۶۸، بلفظ، قيل: و أنساب الأشراف ج ۱ (قسم حياة النبى صلى اللّه عليه و آله) ص ۸۴ و ۷۹ و ذخائر العقبى ص ۱۷۲ و السيرة الحلبية ج ۱ ص ۸۵ و الإصابة ج ۱ ص ۳۵۴ كلاهما بلفظ قيل. و الاستيعاب بهامش الإصابة ج ۱ ص ۲۷۱ و أسد الغابة ج ۲ ص ۴۶ و ۴۹، بلفظ قيل: أيضا.

(۲) تهذيب الأسماء ج ۱ ص ۱۶۸ و الإصابة ج ۱ ص ۳۵۴ و الاستيعاب بهامشه ج ۱ ص ۲۷۱ عن البكائى و اختاره فى أسد الغابة ج ۲ ص ۴۶ و ۴۹ و السيرة الحلبية ج ۱ ص ۸۵ و ذخائر العقبى ص ۱۷۲ بلفظ: قيل.

(۳) الاستيعاب بهامش الإصابة ج ۱ ص ۲۷۱.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۲،ص:۷۵

رضعا بلبن مسروح «۱»، فلا يصح: أن يكون رضاعهما فى زمانين.

توجيه غير وجيه:

و حاول محبّ الدين أحمد بن عبد اللّه الطبرى توجيه ذلك بأنه:

يمكن أن تكون أرضعت حمزة فى آخر سنّيه، فى أول رضاع ابنها، و أرضعت النبى «صلى اللّه عليه و آله و سلم» فى أول سنّيه، فى آخر رضاع ابنها؛ فيكون أكبر بأربع سنين «۲».

و نقول: إن ذلك، و إن كان ممكنا فى نفسه، ولكنه أمر بعيد الوقوع عادة، كما أن ذلك لا يلائم: أن تكون قد أرضعته أربعة أشهر، حسب ما تقدم عن بعض الروايات. و يزيده بعدا: أننا نجد فى بعض النصوص ما يفيد: أن حمزة كان حين قضية وفاء أبيه عبد المطلب بنذره بذبح أحد ولده؛ كبيرا، و راشدا.

بيان ذلك:

أن عبد المطلب رضوان اللّه تعالى عليه، كان قد نذر: لئن ولد له عشرة نفر، ثم بلغوا معه، حتى يمنعوه، ليذبحنّ أحدهم للّه، عند الكعبة.

فلما تكامل بنوه عشرة، و عرف أنهم سيمنعونه، و هم:

الحارث، و الزبير، و حجل، و ضرار، و المقوم، و أبولهب، و العباس، و حمزة و أبو طالب، و عبد اللّه، جمعهم، ثم أخبرهم بنذره.

---

(۱) راجع فى ذلك: ذخائر العقبى ص ۱۷۲ و ۲۵۹ و الوفاء ج ۱ ص ۱۰۷ و بهجة المحافل ج ۱ ص ۴۱ و زاد المعاد ج ۱ ص ۱۹ و تاريخ ابن الوردى ج ۱ ص ۲۳۱ و إن كان ربما يناقش فى ظهور كلامه. و راجع: طبقات ابن سعد ج ۱ قسم ۱ ص ۶۷ و الاستيعاب بهامش الإصابة ج ۱ ص ۱۶ و السيرة الحلبية ج ۱ ص ۸۵ و ۸۶.

(۲) ذخائر العقبى ص ۱۷۲.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۲،ص:۷۶

إلى أن تذكر الرواية: أنه أقرع بينهم ف: «خرج القدح على ابنه عبد اللّه، و كان أصغر ولده، و أحبهم إليه، فأخذ عبد المطلب بيد ابنه عبد اللّه، و أخذ الشفرة الخ».

ثم تذكر الرواية: أن العباس هو الذى اجتذب عبد اللّه من تحت رجل ابيه، فراجع «۱».

مناقشة غير موفقة:

و ناقشوا فى هذه الرواية: بأن العباس إنما كان يكبر النبى بثلاث سنوات فقط، فقد روى عن العباس نفسه، أنه قال:

أذكر مولد رسول اللّه صلى اللّه عليه و آله و سلم، و أنا ابن ثلاثة أعوام، أو نحوها، فجيء به حتى نظرت إليه، فجعلت النسوة يقلن لى: قبّل أخاك، فقبلته «۲».

و لكن الإيراد بما ذكر، ليس بأولى من العكس؛ فإن من الممكن أن تكون رواية ابن إسحاق هى الصحيحة، و أما رواية: أن العباس كان يكبر النبى «صلى اللّه عليه و آله و سلم» بثلاث سنين فقط، فلعلها هى الموضوعة لأهداف سياسية من قبل العباسيين فى ما بعد.

---

(۱) راجع البداية و النهاية ج ۲ ص ۲۴۸ و السيرة النبوية لابن كثير ج ۱ ص ۱۷۴ و السيرة النبوية لابن هشام ج ۱ ص ۱۶۰ و راجع:

السيرة الحلبية ج ۱ ص ۳۶ و فى السيرة النبوية لدحلان ج ۱ ص ۱۵ و إن كان لم يذكر: أن عبد اللّه كان أصغر ولده، و لكنه ذكر حمزة و العباس فى جملة أولاد عبد المطلب حين قضية الذبح ..

و ذكر فى الكامل لابن الأثير ج ۲ ص ۶ و تاريخ الأمم و الملوك ج ۲ ص ۴ ط الاستقامة: ان عبد اللّه كان أصغر ولده، و أحبهم، لكنه لم يسم أولاد عبد المطلب ..

(۲) راجع: السيرة الحلبية ج ۱ ص ۳۶ و شرح بهجة المحافل ج ۱ ص ۳۵ و الروض الأنف ج ۱ ص ۱۷۶.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۲،ص:۷۷

و يؤكد ذلك: أن ابن إسحاق حجة فى السيرة النبوية، غير مدافع «۱»، فلا يرد قوله؛ إستناد إلى رواية يحتمل فى حقها ما ذكرناه.

و إذن، فقد يكون عمر حمزة و العباس، حين قضية الذبح حوالى ثمان إلى عشر سنين، يضاف إليها خمس سنوات كانت بين قصة الذبح، و بين ولادة رسول اللّه صلى اللّه عليه و آله و سلم «۲»، و يصير المجموع حوالى ثلاثة عشر إلى خمسة عشر من السنين تقريبا.

و هذا الذى ذكرناه من الإشكال، دفع البعض إلى أن يقول: إنها أرضعت حمزة قبل رسول اللّه صلى اللّه عليه و آله و سلم و أرضعت بعده أبا سلمة «۳».

و لكن يرد عليه: أن تصريح الرواية، بأنها أرضعتهم جميعا بلبن ابنها مسروح يأبى هذا المجمع التبرعى، الذى لا يستند إلى أى دليل.

إلا أن يكون مراده ما تقدم عن محب الدين أحمد بن عبد اللّه الطبرى: بأن تكون قد أرضعت حمزة فى أواخر سنيه، فى آخر رضاع ابنها.

---

(۱) و فى غير السيرة أيضا؛ فراجع: تهذيب التهذيب ج ۹ ص ۳۹- ۴۶ ترجمة: ابن إسحاق.

(۲) فى أنساب الأشراف ج ۱ (قسم حياة النبى صلى اللّه عليه و آله) ص ۷۹: قال الواقدى: كان نحر الإبل قبل الفيل بخمس سنين.

(۳) الأنس الجليل ج ۱ ص ۱۷۶ و راجع: صفة الصفوة ج ۱ ص ۵۶/ ۵۷ و اعلام الورى ص ۶ و كشف الغمة ج ۱ ص ۱۵ و الكامل فى التاريخ ج ۱ ص ۴۵۹ و طبقات ابن سعد ج ۱ ص ۶۷ و أنساب الأشراف ج ۱ ص ۹۴ قسم حياة النبى صلى اللّه عليه و آله و البحار ج ۱۵ ص ۳۸۴ عن المنتقى للكازرونى و تاريخ الخميس ج ۱ ص ۲۲۲ و دلائل النبوة لأبى نعيم ص ۱۱۳ و الإصابة ج ۴ ص ۲۵۸ و الاستيعاب بهامش الإصابة ج ۲ ص ۳۳۸ و أسد الغابة ج ۳ ص ۱۹۵ و السيرة الحلبية ج ۱ ص ۸۵ و ۸۷ و قاموس الرجال ج ۱۰ ص ۴۱۷.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۲،ص:۷۸

و لكنه بناء على ما قدمناه، من أن من الممكن أن يكون حمزة كان يكبر النبى «صلى اللّه عليه و آله و سلم» بحوالى عقد من الزمن، لا يصح حتى بناء على قول الطبرى هذا.

عدد أولاد عبد المطلب:

بقى علينا أن نشير إلى المناقشة، التى تقول: إن أولاد عبد المطلب، كانوا ثلاثة عشر، و أن حمزة و العباس قد ولدا فيما بعد.

فإنها مناقشة مردودة، لأن «حجلا» هو فى الحقيقة لقب للغيداق، و «المقوم» لقب لعبد الكعبة، أما قثم فلا وجود له أصلا، حسبما ذكره البعض «۱».

و أخيرا، فإننا نشير إلى أن اليعقوبى ينص على أن عدة أولاد عبد المطلب: عشرة، ولكنه حينما يعدّ، أسماءهم، يذكر إسم أحد عشر رجلا «۲».

إلا أن يكون قد ذكر لواحد منهم كلّا من إسمه و لقبه، حتى بدا أنهما إثنان، مع أنهما لواحد.

أبو لهب و عتق ثويبة:

و يبقى أن نشير إلى أنهم يقولون- حسبما تقدم-: أنه لما ولد رسول اللّه صلى اللّه عليه و آله و سلم، جاءت ثويبة إلى مولاها أبى لهب، فبشرته بولادته صلى اللّه عليه و آله و سلم. فأعتقها، فأرضعت النبى صلى اللّه عليه و آله و سلم، بلبن ولدها مسروح.

---

(۱) السيرة النبوية لدحلان ج ۱ ص ۱۶ و راجع، الاستيعاب بهامش الإصابة ج ۱ ص ۲۷۲.

(۲) تاريخ اليعقوبى ج ۲ ص ۱۱ و راجع، الاستيعاب بهامش الإصابة ج ۱ ص ۲۷۲.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۲،ص:۷۹

ثم رئى أبو لهب بعد موته فى النوم- رآه العباس- حسب رواية ذكرها طائفة من المؤلفين، أو رآه النبى صلى اللّه عليه و آله و سلم- حسب رواية اليعقوبى- بشّر حال، و أسوئه، فسأله عن حاله، فأخبره: أنه بشّر حال غير أنه يخفف عنه العذاب- أو يسقى فى نقرة إبهامه- كل يوم إثنين؛ لعتقه ثويبة، حينما بشرته بذلك «۱».

قال القسطلانى: «... قال ابن الجزرى: فإن كان هذا أبو لهب، الكافر، الذى نزل القرآن بذمه، جوزى فى النار بفرحة ليلة مولد النبى صلى اللّه عليه و آله و سلم به؛ فما حال المسلم الموحد من أمته «صلى اللّه عليه و آله و سلم»، الذى يسرّ بمولده، و يبذل ما تصل إليه قدرته فى محبته؟!.

لعمرى، إنما يكون جزاؤه من الكريم: أن يدخله بفضله العميم، جنات النعيم «۲».

و رحم اللّه حافظ الشام، شمس الدين، محمد بن ناصر، حيث قال:

---

(۱) راجع: السيرة لابن كثير ج ۱ ص ۲۲۴. و البداية و النهاية ج ۲ ص ۲۷۳، و تاريخ اليعقوبى ج ۲ ص ۹ و فتح البارى ج ۹ ص ۱۲۴ و عمدة القارى ج ۲۰ ص ۹۵ و السيرة الحلبية ج ۱ ص ۸۴ و ۸۵ و السيرة النبوية لدحلان ج ۱ ص ۲۵ و رسالة حسن المقصد للسيوطى، المطبوعة مع: النعمة الكبرى على العالم ص ۹۰ و إرشاد السارى ج ۸ ص ۳۱ و جواهر البحار ج ۳ ص ۳۳۸/ ۳۳۹ و تاريخ الإسلام للذهبى ج ۲ ص ۱۹ و الوفاء ج ۱ ص ۱۰۷ و دلائل النبوة للبيهقى ج ۱ ص ۱۲۰ و بهجة المحافل ج ۱ ص ۴۱، و طبقات ابن سعد ج ۱ قسم ۱ ص ۶۷ و ۶۸ و المواهب اللدنية ج ۱ ص ۲۷ و تاريخ الخميس ج ۱ ص ۲۲۲ و سيرة مغلطاى ص ۸ و صفة الصفوة ج ۱ ص ۶۲ و نور الأبصار ص ۱۰ و إسعاف الراغبين بهامشه ص ۸ و هو ظاهر صحيح البخارى ج ۱ ص ۱۵۷ ط سنة ۱۳۰۹ ه. ق.

(۲) السيرة النبوية لدحلان ج ۱ ص ۲۷ و تاريخ الخميس ج ۱ ص ۲۲۲ و رسالة حسن المقصد للسيوطى المطبوعة مع النعمة الكبرى على العالم ص ۹۰/ ۹۱.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۲،ص:۸۰ إذا كان هذا كافر جاء ذمّهو تبت يداه فى الجحيم مخلدا

أتى أنه فى يوم الإثنين دائمايخفف عنه للسرور بأحمدا

فما الظن بالعبد الذى كان عمرهبأحمد مسرورا و مات موحدا؟! «۱»

و نقول:

إن هذا الكلام كله باطل، و لا يصح، و ذلك لأنهم يقولون: إن عتق ثويبة، قد تم بعد مولده صلى اللّه عليه و آله و سلم بدهر طويل، أى بعد أزيد من خمسين سنة؛ إما قبيل الهجرة، أو بعدها. و كانت خديجة رضوان اللّه تعالى عليها، تحاول شراءها من أبى لهب، لتعتقها، بسبب ما يزعم من إرضاعها له صلى اللّه عليه و آله و سلم، فرفض أبو لهب بيعها «۲».

و قد حاول الحلبى توجيه ذلك: بأن من الممكن أن يكون أبو لهب قد أعتقها أولا، لكنه لم يذكر ذلك، و لم يظهره، و رفض بيعها

لخديجة لكونها كانت معتوقة، ثم عاد فأظهر ذلك «۳».

و لكنه توجيه باطل. إذ من غير المعقول و لا- المقبول؛ أن لا- يظهر للناس، و لا- يطلعوا على عتقه لجاريته طيلة ما يزيد على ثلاث و خمسين سنة، و لماذا لم تخبر هى نفسها أحدا بذلك، و ما هو الداعى له و لها للكتمان، و لا سيما قبل النبوة، و ما هو الداعى للإظهار بعد ذلك، و لا سيما بعد الهجرة؟!.

---

(۱) السيرة النبوية لدحلان ج ۱ ص ۲۵ و رسالة حسن المقصد، للسيوطى، المطبوعة مع النعمة الكبرى ص ۹۱.

(۲) أنساب الأشراف (سيرة النبى صلى اللّه عليه و آله) ج ۱ ص ۹۵- ۹۶ و الكامل فى التاريخ ج ۱ ص ۴۵۹ و طبقات ابن سعد ج ۱ ق ۱ ص ۶۷ و ۶۸ و الاصابة ج ۴ ص ۲۵۸ و الاستيعاب بهامش الاصابة ج ۱ ص ۱۶ و إرشاد السارى ج ۸ ص ۳۱ و السيرة الحلبية ج ۱ ص ۸۵ و راجع: الوفاء ج ۱ ص ۱۰۷ و فتح البارى ج ۹ ص ۱۲۴ و ذخائر العقبى ص ۲۵۹ و تاريخ الخميس ج ۱ ص ۲۲۲، و سيرة مغلطاى ص ۸ قاموس الرجال ج ۱۰ ص ۴۱۷.

(۳) السيرة الحلبية ج ۱ ص ۸۵.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۲،ص:۸۱

و لماذا بقيت هذه الجارية التى أعتقها عنده طيلة هذه المدة المتمادية، و هى خارجة عن ملكه.

هذا كله؛ عدا عن أنه لا حجية فى المنامات، و لا اعتبار بها.

و عدا عن أن الرواية مرسلة أيضا.

و أما بالنسبة لتخفيف العذاب عن أبى لهب، فنقول: إن فرحه إذا كان استجابة لحاجة نفسية طبيعية، و لم يكن للّه سبحانه و تعالى، فلماذا يثاب عليه، و لماذا يخفف عنه العذاب لأجله، و الأفعال الحسنة إنما يلقى الكفار جزاءها فى الدنيا لا فى الآخرة، فإنه ليس لهم فى الآخرة من خلاق، و لا لهم فيها نصيب. و قد قال تعالى: وَ قَدِمْنا إِلى ما عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ، فَجَعَلْناهُ هَباءً مَنْثُوراً «۱».

شرك أبى لهب:

إن المعلوم أن أبا لهب قد بقى على شركه، و كان من أعدى أعداء اللّه، و الإسلام، و رسول الإسلام. فلا يعقل أن يجعل اللّه له يدا على النبى صلى اللّه عليه و آله يستحق المكافأة عليها. و لأجل ذلك لم يكن صلى اللّه عليه و آله يقبل هدية مشرك، بل كان يردها «۲».

و قد قال صلى اللّه عليه و آله: «اللهم لا تجعل لفاجر، و لا لفاسق عندى نعمة» «۳» فكيف إذا كان هذا الفاسق و الفاجر هو أبو لهب لعنه اللّه بالذات؟!.

---

(۱) الفرقان ۲۳.

(۲) مستدرك الحاكم ج ۳ ص ۴۸۴ و تلخيصه للذهبى بهامشه و المصنف لعبد الرزاق ج ۱ ص ۴۴۶ و ۴۴۷ و فى الهامش عن مغازى ابن عقبة، و عن الترمذى ج ۲ ص ۳۸۹ و عن أبى داود و أحمد، و كنز العمال ج ۶ ص ۵۷ و ۵۹ و ج ۳ ص ۱۷۷ عن ابن داود، و الترمذى، و صححه، و أحمد، و الطيالسى، و البيهقى و ابن عساكر، و الطبرانى و سعيد بن منصور.

(۳) راجع: أبو طالب مؤمن قريش للخنزى.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۲،ص:۸۲

هذا كله، عدا عن أن نفس ثويبة لم يعلم لها إسلام، حتى لقد قال أبو نعيم: لا أعلم أحدا أثبت إسلامها غير ابن منده، مع أنها قد

توفيت سنة سبع من الهجرة «۱».

و أى نعمة أعظم من إرضاعها له صلى اللّه عليه و آله؟!.

و بعض من تأخر قد نقل: أنها أسلمت «۲». و لعله استند فى ذلك إلى قول ابن منده، أو استفاد ذلك مما ينقل عن برّ النبى الأكرم صلى اللّه عليه و آله بها «۳».

و قال العسقلانى: «... و فى باب من أرضع النبى (ص) ما يدل على أنها لم تسلم» «۴».

و على كل حال؛ فإن كل ما تقدم، و سواه، يجعلنا نشك كثيرا، فى أن تكون ثويبة قد أرضعت رسول اللّه، و حمزة، و أبا سلمة، بلبن ولدها مسروح ليكونوا جميعا أخوة من الرضاعة.

تنازع الظئر فى رضاعه:

و روى مجاهد، قال: قلت لابن عباس: و قد تنازعت الظئر فى

---

(۱) راجع: سيرة مغلطاى ص ۸ و تاريخ الخميس ج ۱ ص ۲۲۲ و الوفاء ج ۱ ص ۱۰۷ و ذخائر العقبى ص ۲۵۹ و السيرة الحلبية ج ۱ ص ۸۷ و فتح البارى ج ۹ ص ۱۲۴ و الإصابة ج ۴ ص ۲۵۷ و إرشاد السارى ج ۸ ص ۳۱ و صفة الصفوة ج ۱ ص ۶۲ و زاد المعاد ج ۱ ص ۱۹ و شرح الأشخر اليمنى على بهجة المحافل ج ۱ ص ۴۱ و أسد الغابة ج ۵ ص ۴۱۴ و السيرة النبوية لدحلان ج ۱ ص ۲۵ و قاموس الرجال ج ۱۰ ص ۴۱۷.

(۲) راجع: اعلام الورى ص ۶ و كشف الغمة ج ۱ ص ۱۵ و البحار ج ۱۵ ص ۳۳۷ و بهامشه عن: المناقب ج ۱ ص ۱۱۹ عن كتاب العروس للطبرى.

(۳) راجع: ذخائر العقبى ص ۲۵۹ و صفة الصفوة ج ۱ ص ۶۲.

(۴) الإصابة ج ۴ ص ۲۵۷.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۲،ص:۸۳

رضاع محمد؟!.

قال: أى و اللّه، و كل نساء الجن .. إلى أن قال: فخص بذلك حليمة «۱».

و روى أبو الحسن البكرى فى كتابه الأنوار، قال: حدثنا أشياخنا، و أسلافنا الرواة: أنه كان من عادة أهل مكة، إذا تم للمولود سبعة أيام، إلتمسوا له مرضعة ترضعه .. إلى أن قال: فتطاولت النساء لرضاعته و تربيته .. ثم يذكر: أن الهاتف أخبر آمنة: بأن مرضعته فى بنى سعد، و إسمها حليمة؛ فظلت تتوقع مجيئها، حتى جاءت؛ فأعطتها إياه «۲».

و ذلك واضح الدلالة على عدم صحة ما يقال: من أن النساء المرضعات قد زهدن فيه ليتمه، و أن حليمة، إنما قبلت به؛ لأنها لم تجد سواه، و لم تحب أن ترجع رفيقاتها برضيع، و ترجع هى خالية.

و مما يدل على عدم صحة ذلك أيضا: أن عبد المطلب قد قال لحليمة: «أنا جده، أقوم مقام أبيه، فإن أردت أن ترضعيه دفعته إليك، و أعطيتك كفايتك» «۳».

و ثمة رواية أخرى تدل على عدم صحة ذلك أيضا رواها المجلسى، عن الواقدى، فلتراجع «۴».

حديث شق الصدر:

و ما دمنا فى الحديث عن رضاعه صلى اللّه عليه و آله و سلم فى بنى سعد، فإننا لا نرى مناصا من إعطاء رأينا فى رواية وردت فى هذه

المناسبة، و هى التالية: أخرج مسلم بن الحجاج: «عن أنس بن مالك:

أن رسول اللّه صلى اللّه عليه و آله و سلم أتاه جبرئيل، و هو يلعب مع

---

(۱) البحار ج ۱۵ ص ۳۸۵.

(۳) البحار ج ۱۵ ص ۳۷۳.

(۲) البحار ج ۱۵ ص ۳۷۱.

(۴) البحار ج ۱۵ ص ۳۴۱ و ص ۳۴۲.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۲،ص:۸۴

الغلمان؛ فأخذه و صرعه، فشق عن قلبه، فاستخرج القلب، فاستخرج منه علقة؛ فقال: هذا حظ الشيطان منك، ثم غسله فى طست من ذهب، بماء زمزم، ثم لأمه، ثم أعاده فى مكانه.

و جاء الغلمان يسعون إلى أمه- يعنى ظئره- فقالوا: إن محمدا قد قتل. فاستقبلوه، و هو منتقع اللون.

قال أنس: «و قد كنت أرى أثر ذلك المخيط فى صدره» «۱».

و كان ذلك هو سبب إرجاعه صلى اللّه عليه و آله إلى أمه «۲».

و كتب الحديث و السيرة عند غير الإمامية لا تخلو عن هذه الرواية غالبا. بل قد ذكروا أنه قد شقّ صدره صلى اللّه عليه و آله خمس مرات، أربع منها ثابتة: مرة فى الثالثة من عمره، و أخرى فى العاشرة، و ثالثة عند مبعثه، و رابعة عند الإسراء، و الخامسة فيها خلاف.

توجيه غير وجيه:

و يقولون: إن تكرار شق صلى اللّه عليه و آله إنما هو زيادة فى تشريفه عليه الصلاة و السلام. و قد نظم بعضهم ذلك شعرا فقال:

أيا طالبا نظم الفرائد فى عقدمواطن فيها شق صدر لذى رشد

لقد شق صدر للنبى محمدمرارا لتشريف، و ذا غاية المجد

فأولى له التشريف فيها مؤثل‌لتطهيره من مضغة فى بنى سعد

و ثانية كانت له و هو يافعو ثالثة للمبعث الطب الند

و رابعة عند العروج لربهو ذا باتفاق فاستمع يا أخا الرشد

و خامسة فيها خلاف تركتهالفقدان تصحيح لها عند ذى النقد «۳»

---

(۱) صحيح مسلم ج ۱ ص ۱۰۱- ۱۰۲ و فيه ثمة روايات أخرى عن شق صدره صلى اللّه عليه و آله فليراجع من أراد.

(۲) سيرة ابن هشام ج ۱ ص ۱۷۴/ ۱۷۵، و تاريخ اليعقوبى ج ۲ ص ۱۰، و غير ذلك.

(۳) راجع: أضواء على السنة المحمدية ص ۱۸۷.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۲،ص:۸۵

كما أننا فى نفس الوقت الذى نرى فيه البعض يعتبر هذه الرواية من إرهاصات النبوة كما صرح به ناظم الأبيات السابقة و غيره «۱»، و مثار إعجاب و تقدير.

فإننا نرى: أنها عند غير المسلمين، إما مبعث تهكم و سخرية، و إما دليل لإثبات بعض عقائدهم الباطلة، و الطعن فى بعض عقائد المسلمين.

و نرى فريقا ثالثا يعتبر الرواية موضوعة، من قبل من أراد أن يضع التفسير الحرفى لقوله تعالى: «أَ لَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ، وَ وَضَعْنا عَنْكَ وِزْرَكَ» «۲».

و اعتبرها صاحب مجمع البيان أيضا «مما لا يصح ظاهره، و لا يمكن تأويله إلا على التعسف البعيد؛ لأنه كان طاهرا مطهرا من كل سوء و عيب، و كيف يطهر القلب و ما فيه من الاعتقاد بالماء؟» «۳».

و نجد آخر «۴» يحاول أن يناقش فى سند الرواية. و نظره فقط إلى رواية ابن هشام، عن بعض أهل العلم، و لكنه لم يعلم أنها واردة فى صحيح مسلم بأربعة طرق. و لو أنه اطلع على ذلك لرأينا له موقفا متحمسا آخر؛ لأنها تكون حينئذ كالوحى المنزل، على النبىّ المرسل.

و لعل خير من ناقش هذه الرواية نقاشا موضوعيا سليما هو العلامة الشيخ محمود أبو رية فى كتابه القيم: «أضواء على السنة المحمدية»؛ فليراجعه من أراد ..

رأينا فى الرواية:

و نحن هنا نشير إلى ما يلى:

---

(۱) فقه السيرة للبوطى ص ۵۳، و راجع سيرة المصطفى للحسنى ص ۴۶.

(۲) راجع حياة محمد لمحمد حسين هيكل ص ۷۳ و النبى محمد للخطيب ص ۱۹۷.

(۳) الميزان ج ۱۳ ص ۳۴، عن مجمع البيان.

(۴) النبى محمد لعبد الكريم الخطيب ص ۱۹۶.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۲،ص:۸۶

۱- إن ابن هشام و غيره يذكرون: أن سبب إرجاع الرسول «صلى اللّه عليه و آله و سلم» إلى أمه، هو أن نفرا من الحبشة نصارى، رأوه مع مرضعته، فسألوا عنه، و قلّبوه، و قالوا لها: لنأخذنّ هذا الغلام، فلنذهبنّ به إلى ملكنا و بلدنا الخ «۱».

و بذلك تصير الرواية المتقدمة التى تذكر أن سبب إرجاعه إلى أمه هو قضية شق الصدر محل شك و شبهة.

۲- كيف يكون شق صدره «صلى اللّه عليه و آله و سلم» هو سبب إرجاعه إلى أمه؛ مع أنهم يذكرون: أن هذه الحادثة قد وقعت له «صلى اللّه عليه و آله و سلم» و عمره ثلاث سنين، أو سنتان و أشهر. مع أنه إنما أعيد إلى أمه بعد أن أتم الخمس سنين.

۳- هل صحيح أن مصدر الشر هو غدة، أو علقة فى القلب، يحتاج التخلص منها إلى عملية جراحية؟!. الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ج۲ ۸۶ رأينا فى الرواية: ..... ص : ۸۵

و هل يعنى ذلك أن باستطاعة كل أحد- فيما لو أجريت له عملية جراحية لاستئصال تلك الغدة- أن يصبح تقيّا و رعا، خيّرا؟!.

أم أن هذه الغدة أو العلقة قد اختص اللّه بها الرسول الأعظم «صلى اللّه عليه و آله و سلم»، و ابتلاه بها دون غيره من بنى الإنسان؟!. و لماذا دون غيره؟!.

۴- لماذا تكررت هذه العملية أربع، أو خمس مرات، فى أوقات متباعدة؟ حتى بعد بعثته «صلى اللّه عليه و آله و سلم» بعدة سنين، و حين الإسراء و المعراج بالذات؟!

فهل كانت تلك العلقة السوداء، و حظ الشيطان تستأصل، ثم تعود إلى النمو من جديد؟! و هل هى من نوع مرض السرطان الذى لا تنفع معه العمليات الجراحية، و الذى لا يلبث أن يختفى حتى يعود إلى الظهور بقوة

---

(۱) راجع: سيرة ابن هشام ج ۱ ص ۱۷۷ و تاريخ الطبرى ج ۱ ص ۵۷۵.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۲،ص:۸۷

أشد، و أثر أبعد؟!.

و لماذا لم تعد هذه العلقة إلى الظهور بعد العملية الرابعة أو الخامسة، بحيث يحتاج إلى السادسة، فالتى بعدها؟!.

و لماذا يعذب اللّه نبيه هذا العذاب، و يتعرض لهذه الآلام بلا ذنب جناه؟! ألم يكن بالإمكان أن يخلقه بدونها من أول الأمر؟!.

۵- و هل إذا كان اللّه يريد أن لا يكون عبده شريرا يحتاج لإعمال قدرته إلى عمليات جراحية كهذه، على مرأى من الناس و مسمع؟!.

و تعجبنى هذه البراعة النادرة لجبرئيل فى إجراء العمليات الجراحية لخصوص نبينا الأكرم «صلى اللّه عليه و آله و سلم».

و ألا تعنى هـذه الرواية: أنه «صـلى اللّه عليه و آله و سـلم» كان مجبرا على عمل الخير، و ليس لإرادته فيه أى أثر أو فعالية، أو دور؟:!، لأن حظ الشيطان قد أبعد عنه بشكل قطعى و قهرى، و بعملية جراحية، كان أنس بن مالك يرى أثر المخيط فى صدره الشريف!!.

۶- لماذا اختص نبينا بعملية كهذه و لم تحصل لأىّ من الأنبياء السابقين عليهم الصلاة و السلام «۱»؟ أم محمدا «صلى اللّه عليه و آله و سلم»، أفضل الأنبياء و أكملهم، كان فقط بحاجـة إلى هـذه العمليـة؟! الجراحية؟! و إذن، فكيف يكون أفضل و أكمل منهم؟ أم أنه قد كان فيهم أيضا للشيطان حظ و نصيب لم يخرج منهم بعملية جراحية؛ لأن الملائكة لم يكونوا قد تعلموا الجراحة بعد؟!.

۷- و أخيرا، أفلا ينافى ذلك ما ورد فى الآيات القرآنية، مما يدل على أن الشـيطان لا سبيل له على عباد اللّه المخلصين: «قال: رب بما اغويتنى لأزينن لهم فى الأرض، و لأغوينهم أجمعين. إلا عبادك منهم

---

(۱) السيرة الحلبية ج ۱ ص ۳۶۸.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۲،ص:۸۸

المخلصين «۱»».

و قال تعالى: «إِنَّ عِبادِى لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطانٌ «۲»» و قال: «إِنَّهُ لَيْسَ لَهُ سُلْطانٌ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا، وَ عَلى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ «۳»».

و من الواضـح: أن الأنبياء هم خير عباد اللّه المخلصـين، و المؤمنين، و المتوكلين. فكيف اسـتمر سـلطان الشـيطان على الرسول الأعظم «صلى اللّه عليه و آله و سلم» إلى حين الإسراء و المعراج؟!.

هذا كله، عدا عن تناقض الروايات الشديد. و قد أشار إليه الحسنى باختصار. فراجع، «۴» و قارون.

المسيحيون و حديث شق الصدر:

و قـد روى عن النبى «صـلى اللّه عليه و آله و سـلم» قوله: «ما من أحـد من الناس إلا و قـد أخطأ، أو همّ بخطيئة، ليس يحيى بن زكريا «۵».

و يذكر أبو رية (رحمه اللّه): أن حديث شق الصدر يأتى مؤيدا للحديث الآخر، الذى ورد فى البخارى، و مسلم و فتح البارى و غيرها، و هـو- و النص للبخـارى-: «كـل بنى آدم يطعـن الشـيطان فى جنـبيه بإصـبعه حيـن يولـد غير عيسـى بن مريم، ذهب يطعن، فطعن فى الحجاب «۶»».

و فى رواية: ما من بنى آدم مولود إلا يسمه الشيطان حين يولد؛ فيستهل

---

(۱) سورة الحجر ۳۹- ۴۱.

(۲) الإسراء ۶۵.

(۳) النحل ۹۹.

(۴) سيرة المصطفى ص ۴۶.

(۵) مسند أحمد: ج ۱ ص ۳۰۱، و راجع: المنصف ج ۱۱ ص ۱۸۴.

(۶) البخارى ط سنة ۱۳۰۹ ج ۲ ص ۱۴۳.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۲،ص:۸۹

صارخا من مس الشيطان غير مريم و ابنها «۱» .. و لهذا الحديث ألفاظ أخرى لا مجال لذكرها.

و قد استدل المسيحيون بهذا الحديث على أن البشر كلهم، حتى النبى مجردون عن العصمة، معرضون للخطايا إلا عيسى بن مريم، فإنه مصون عن مس الشيطان، مما يؤيد ارتفاع المسيح عن طبقة البشر، و بالتالى يؤكد لا هوته الممجد «۲».

و أضاف أبو رية إلى ذلك قوله:

«و لئن قال المسلمون لإخوانهم المسيحيين، و لم لا يغفر اللّه لآدم خطيئته بغير هذه الوسيلة القاسية، التى أزهقت فيها روح طاهرة بريئة، هى روح عيسى «عليه السلام» بغير ذنب؟!.

قيل لهم: و لم لم يخلق اللّه قلب رسوله الذى اصطفاه، كما خلق قلوب إخوانه من الأنبياء و المرسلين- و اللّه أعلم حيث يجعل رسالته- نقيا من العلقة السوداء و حظ الشيطان، بغير هذه العملية الجراحية، التى تمزق فيها قلبه و صدره مرارا عديدة ...!» «۳».

أصل الرواية جاهلى:

و الحقيقة هى أن هذه الرواية مأخوذة عن أهل الجاهلية، فقد جاء فى الأغانى أسطورة مفادها: أن أمية بن أبى الصلت كان نائما؛ فجاء طائران فوقع أحدهما على باب البيت؛ و دخل الآخر فشق عن قلب أمية ثم رده الطائر، فقال له الطائر الآخر: أوعى؟؟ قال: نعم. قال: زكا؟ قال:

---

(۱) مسند أحمد ج ۲ ص ۲۷۴/ ۲۷۵.

(۲) أضواء على السنة المحمدية ص ۱۸۶، عن: المسيحية فى الإسلام طبعة ثالثة ص ۱۲۷ تأليف ابراهيم لوقا.

(۳) أضواء على السنة المحمدية ۱۸۷.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۲،ص:۹۰

أبى.

و على حسب رواية أخرى: أنه دخل على أخته، فنام على سرير فى ناحية البيت، قال: فانشق جانب من السقف فى البيت، و إذا بطائرين قد وقع أحدهما على صدره، و وقف الآخر مكانه، فشق الواقع على صدره، فأخرج قلبه، فقال الطائر الواقف للطائر الذى على صدره: أوعى؟ قال:

وعى. قال: أقبل؟ قال: أبى. قال: فردّ قلبه فى موضعه الخ .. ثم تذكر الرواية تكرر الشق له أربع مرات «۱».

و هكذا يتضح أن هذه الرواية مفتعلة و مختلقة، و أن سر اختلاقها ليس إلا تأييد بعض العقائد الفاسدة، و الطعن بصدق القرآن، و عصمة النبى الأعظم «صلى اللّه عليه و آله و سلم».

و لنعد الآن إلى متابعة الحديث عن السيرة العطرة؛ فنقول:

فقد النبى (ص) لأبويه:

لقد شاءت الإرادة الإلهية: أن يفقد النبى «صلى اللّه عليه و آله و سلم» أباه و هو لا يزال جنينا، أو طفلا صغيرا. و ربما يقال: إن الأصح هو الأول؛ لأن يتمه هذا كان هو الموجب لتردّد حليمة السعدية فى قبوله رضيعا «۲». و لكن قد تقدم بعض المناقشة فى ذلك.

ثم فقد أمه بعد عودته من بنى سعد، و هو فى الرابعة من عمره، أو

---

(۱) راجع الأغانى ج ۳ ص ۱۸۸/ ۱۸۹/ ۱۹۰.

(۲) و بذلك يعلم: أن ما ورد فى كشف الغمة ج ۱ ص ۱۶ من أنه عاش (ص) مع أبيه سنتين و أربعة أشهر لا يمكن المساعدة عليه .. رغم أن الأربلى رحمه اللّه قد نص بعد ذلك بصفحات أى فى ص ۲۲ على أن أباه قد توفى و أمه حبلى به صلى اللّه عليه و آله و سلم .. فراجع .. و ليراجع تاريخ الخميس ص ۲۵۸ ج ۱ و تاريخ الطبرى ج ۲ ص ۳۳، و سيرة ابن هشام ج ۱ ص ۱۹۳.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۲،ص:۹۱

فى السادسة، أو أكثر حسب الروايات.

و لعل ما تقدم من إرجاع حليمة له إلى أمه، و هو فى الخامسة من عمره، يؤيد أن أمه قد توفيت و هو فى السادسة، إلا أن يقال: إنه يمكن أن يكون المراد: أنه قد أرجع إلى أهله، و لكنه احتمال بعيد عن مساق الكلام.

هذا .. و قد استأذن رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله و سلم» ربه فى زيارة قبر أمه، فأذن له. فقد روى مسلم فى صحيحه، أنه «صلى اللّه عليه و آله و سلم» قال: «إستأذنت ربى فى زيارة أمى، فأذن لى، فزوروا القبور تذكّركم الموت» «۱».

و هذا الحديث حجة دامغة على من يمنع من زيارة القبور. و له مؤيدات كثيرة؛ كزيارة فاطمة «عليها السلام» لقبر حمزة «عليه السلام»، و غير ذلك.

و قد ألف العلامة المتتبع البحاثة الشيخ على الأحمدى كتابا فى التبرك بآثار الأنبياء و الصالحين، و تعرض فيه إلى هذا الموضوع، و بحثه أيضا العلامة الأمينى فى الغدير، و السبكى فى كتابه: شفاء السقام فى زيارة خير الأنام، و غيرهم كثير.

كفيل النبى (ص):

و لقد عاش «صلى اللّه عليه و آله و سلم» فى كنف جده عبد المطلب، الذى كان يرعاه خير رعاية، و لا يأكل طعاما إلا إذا حضر، و كان عارفا بنبوته حتى لقد روى: أنه قال عنه لمن أراد أن ينحيه عنه، و هو طفل

---

(۱) كشف الغمة ج ۱ ص ۱۶ عن مسلم، و صحيح مسلم ط سنة ۱۳۳۴ ج ۳ ص ۶۵، و تاريخ الخميس ج ۱ ص ۳۳۵ و الحديث موجود فى مصادر عديدة كما يظهر من مراجعة كتاب الجنائز فى كتب الحديث ..

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۲،ص:۹۲

يدرج: دع إبنى فإن الملك قد أتاه «۱». و الرواية معتبرة على الظاهر.

أضف إلى ذلك ما رووه من إخبار سيف بن ذى يزن لعبد المطلب بذلك، عند ما زاره فى اليمن، إلى غير ذلك من دلائل و إشارات، رسخت هذا الإعتقاد فى نفس عبد المطلب (رحمه اللّه)، و جعلت له «صلى اللّه عليه و آله و سلم» مكانة خاصة عنده «۲».

و فى السنة الثامنة من عمره «صلى اللّه عليه و آله و سلم» توفى جده عبد المطلب، بعد أن اختار له أبا طالب (رحمه اللّه) ليكفله، و يقوم بشؤونه، و يحرص على حياته، رغم أن أبا طالب لم يكن أكبر ولد عبد المطلب سنا، و لا أكثرهم مالا؛ لأن الأسنّ فيهم كان هو الحارث، و الأكثر مالا هو العباس. و لكن عذر العباس هو أنه كان حينئذ صغيرا أيضا، لأنه كان أسن من النبى «صلى اللّه عليه و آله و سلم» بسنتين فقط، كما يقولون «۳» و ان كنا قد قلنا: إنه كان يكبره بأكثر من ذلك. كما أن أبا طالب قد كان شقيق عبد اللّه والد النبى

«صلى اللّه عليه و آله و سلم» لأبيه و أمه، فإن أمهما هى فاطمة المخزومية، و طبيعى أن يكون لأجل ذلك أكثر حنانا و عطفا عليه و حبا له.

ثم إن أبا طالب الذى كان هو و زوجته أم أمير المؤمنين «عليه السلام» يحملان نور الولاية، قد كانا يحملان من المكارم و الفضائل النفسية و المعنوية و من الطهارة ما يؤهلهما لأن يكونا كفيلين لرسول اللّه

---

(۱) أصول الكافى ط سنة ۱۳۸۸ ه ج ۱ ص ۳۷۲.

(۲) راجع: البداية و النهاية: ج ۲ ص ۳۲۹/ ۳۳۰.

(۳) و إن كنا نعتقد أنه حتى و لو كان سنه إلى الحد الذى يتمكن فيه من كفالته (ص) فإن عبد المطلب لا يعهد به إليه؛ فإنه هو الذى احتفظ بالسقاية، دون الرفادة، بسبب حرصه على المال، وضنه به، و هو الذى كان يحاول أن يحصل على فضلة من المال من عمر بأسلوب عاطفى، و بطريقة لا يتبعها إلا من يهتم بالمال و بجمعه بشكل ظاهر ..

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۲،ص:۹۳

«صلى اللّه عليه و آله و سلم» و أبوين لوصيه، و للأئمة من ذريته ..

و على كل حال، فقد عهد عبد المطلب إلى أبى طالب «عليه السلام» بمهمة كفالته «صلى اللّه عليه و آله و سلم»؛ لأنه كان بالإضافة إلى ما تقدم أنبل اخوته، و أكرمهم، و أعظمهم مكانة فى قريش، و أجلهم قدرا.

و لقد قام أبو طالب «عليه السلام» برعايته «صلى اللّه عليه و آله و سلم» خير قيام، و لم يزل يكرمه و يحبه غاية الحب، و ينصره بيده و لسانه طول حياته، كما سنشير إليه إن شاء اللّه تعالى فى فصل خاص به رضوان اللّه تعالى عليه.

الرحلة الأولى إلى الشام، و بحيرا:

و يقولون: إنه «صلى اللّه عليه و آله و سلم» قد سافر إلى الشام بصحبة عمه أبى طالب، و رآه بحيرا راهب بصرى، و أخبر عمه أنه نبى هذه الأمة، و أصرّ عليه بأن يرجعه إلى مكة، حتى لا يغتاله اليهود. الذين يرون العلامات التى فى كتبهم متحققه فيه. فخرج به عمه أبو طالب حتى أقدمه مكة.

رواية مكذوبة:

و لكن جاء فى رواية لأبى موسى الأشعرى: أن بحيرا «لم يزل يناشده حتى ردّه، و بعث معه أبو بكر بلالا، و زوّده الراهب من الكعك و الزيت «۱»».

---

(۱) الثقات لابن حبان ج ۱ ص ۴۴، و البداية و النهاية ج ۲ ص ۲۸۵، و تاريخ الطبرى ج ۲ ص ۳۴ ط الاستقامة، و تاريخ الخميس ج ۲ ص ۲۵۸، و السيرة الحلبية ج ۱ ص ۱۲۰ و مستدرك الحاكم، و البيهقى، و ابن عساكر، و الترمذى، و قال: حسن غريب. و فى سيرة دحلان ج ۱ ص ۴۹ أنه رجع إلى مكة، و معه أبو بكر و بلال.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۲،ص:۹۴

و فى رواية: أن سبعة كانوا قد عزموا على قتله (ص)، فمنعهم بحيرا، و بايعوا الرسول، و أقاموا معه.

و لكن ذلك لا يمكن أن يصح:

أولا: لأن عمر النبى «صلى اللّه عليه و آله و سلم» كان حينئذ إثنتى عشرة سنة، بل قيل: إن عمره كان حينئذ تسع سنين «۱».

و أبو بكر كان أصغر من النبى «صلى اللّه عليه و آله و سلم» بأكثر من سنتين، و بلال كان أصغر من أبى بكر بعدة سنين، تتراوح ما بين خمس إلى عشر «۲»، حسب اختلاف الأقوال.

فهل يمكن لأبى بكر، و هو بهذه السن أن يسافر إلى الشام، ثم يصدر الأوامر و النواهى فى مهمات كهذه؟!.

و هل يمكن لبلال الذى كان طفلا، لا يقدر على المشى، أو لم يكن قد ولد بعد: أن يكون مع أبى بكر فى ذلك السفر الطويل؟ ثم أن يتحمل مسؤولية إرجاع النبى «صلى اللّه عليه و آله و سلم» من بصرى إلى مكة؟ مع كون النبى «صلى اللّه عليه و آله و سلم» أكبر منه بسنوات عديدة؟!.

و ثانيا: ما هو الربط بين أبى بكر و بلال حتى يأمره أبو بكر بهذا الأمر؛ فإن أبا بكر لم يكن يملك بلالا، و إنما كان يملكه أمية بن خلف.

و إنما اشتراه أبو بكر كما يقولون بعد ثلاثين عاما من حينئذ «۳».

---

(۱) راجع: الطبرى ج ۲ ص ۳۳، و البداية و النهاية ج ۲ ص ۲۸۶ و السيرة الحلبية ج ۱ ص ۱۲۰، و قال: إن صاحب كتاب الهدى قد رجح هذا القول ..

(۲) نعم قد ذكر ابن حبان، و الإصابة ج ۱ ص ۱۶۵ عن أبى نعيم: أن بلالا كان تربا لأبى بكر .. لكن الأشهر و الأكثر على أن أبا بكر كان يكبره بعدة سنين كما ذكرنا راجع السيرة الحلبية ج ۱ ص ۱۲۰.

(۳) و قد أشار إلى ذلك الحافظ الدمياطى على ما فى تاريخ الخميس ج ۱ ص ۲۵۹ عن حياة الحيوان .. و كذا فى سيرة مغلطاى ص ۱۱ و زاد قوله: «بايعوه على أى شىء».

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۲،ص:۹۵

هذا إن لم نقل: إن النبى «صلى اللّه عليه و آله و سلم» هو الذى اشترى بلالا، و أعتقه، و لم يملكه أبو بكر أصلا «۱».

و ثالثا: إن راوى هذه الرواية، و هو أبو موسى، لم يكن قد ولد أصلا؛ لأنه إنما ولد قبل البعثة بثمان أو بعشر سنين، على ما يقولون؛ كما أنه إنما قدم إلى المدينة فى سنة سبع من الهجرة، سنة خيبر. و هذه القضية قد كانت قبل البعثة بحوالى ثلاثين عاما.

و رابعا: سيأتى عن مغلطاى و الدمياطى: أن أبا بكر لم يكن فى ذلك السفر أصلا. و لعل لأجل بعض ما تقدم أو كله حكم الترمذى على هذا الحديث بالغرابة، و شك فيه ابن كثير أيضا. فراجع.

و بعد كل ما تقدم فقد حكم الذهبى على هذا الحديث بقوله: «أظنه موضوعا بعضه باطل» «۲».

سر الوضع و الإختلاق:

و أما سر وضع تلك الرواية فهو إثبات: أن إيمان أبى بكر بنبوة النبى «صلى اللّه عليه و آله و سلم» قد كان قبل البعثة؛ ليسبق الناس كلهم، حتى عليا عليه الصلاة و السلام و خديجة، و حتى النبى «صلى اللّه عليه و آله و سلم» نفسه فى ذلك.

قال النووى: «كان أبوبكر أسبق الناس إسلاما، أسلم و هو ابن عشرين سنة، و قيل: خمس عشرة سنة «۳»».

---

(۱) سيأتى الحديث عنه فى الجزء الثالث من هذا الكتاب؛ الفصل الأول من الباب الثالث.

(۲) تاريخ الخميس ج ۱ ص ۲۵۹، و السيرة الحلبية ج ۱ ص ۱۲۰.

(۳) الغدير ج ۷ ص ۲۷۲ عنه.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۲،ص:۹۶

و قال الصفورى الشافعى: «و كان إسلامه قبل أن يولد على بن أبى طالب «۱»».

و ذكر الديار بكرى رواية عن ابن عباس، عن قضية بحيرا جاء فى آخرها: «فوقع فى قلب أبى بكر اليقين و التصديق قبل ما نبّىء «صلى اللّه عليه و آله و سلم «۲»».

و لكن، لماذا لم يعدّوا بحيرا و بلالا- و الحارث و غيرهم ممن حضر، من السابقين إلى الإسلام أيضا؟!. و من الذى أخبرهم بوقوع الإسلام فى قلب أبى بكر قبل هؤلاء؟! أو دونهم؟!.

بل من أين علموا: ان الإسلام و التصديق قد وقع فى قلب أبى بكر؟!- هذا كله لو سلمنا بالقضية من أساسها.

إشارات خاطفة فى قصة بحيرا:

و قد بقى فى قصة بحيرا نقاط كثيرة، جديرة بالمناقشة، لا مجال لنا للحديث عنها هنا، كما أننا لا نرى كبير فائدة فى ذلك.

و مما تقدم يظهر مدى صحة قول بعض الروايات: إن أبا بكر، أو الحارث عم النبى (ص) قد ذهب إليه «صلى اللّه عليه و آله و سلم» فاحتضنه، و جاء به، و أجلسه مع القوم على مائدة طعام بحيرا، و رّجح إبن المحدث: أن الذى جاء به هو أبو بكر «۳».

و لم يدر إبن المحدث أن أبا بكر لم يكن فى ذلك السفر أصلا، كما

---

(۱) نزهه المجالس ج ۲ ص ۱۴۷.

(۲) تاريخ الخميس ج ۱ ص ۲۶۱.

(۳) السيرة الحلبية ج ۱ ص ۱۱۹، و السيرة النبوية لدحلان ج ۱ ص ۴۸

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۲،ص:۹۷

صرح به الدمياطى و مغلطاى «۱». و لو كان؛ فإنه كان أصغر سنا من النبى «صلى اللّه عليه و آله و سلم» كما قلنا.

بقى أن نشير إلى أن بعض الروايات قد ذكرت: أن راويها قد شك فى أن يكون سفره «صلى اللّه عليه و آله و سلم» إلى الشام كان بصحبة أبى طالب أو جده عبد المطلب «۲». و بذلك تصبح الرواية الآنفة له مع أبى بكر و بلال أكثر إشكالا و تعقيدا؛ لأن عبد المطلب قد توفى و عمر النبى «صلى اللّه عليه و آله و سلم» ثمان سنين كما تقدم.

و الصحيح هو أن عمه أبا طالب هو الذى رجع معه «صلى اللّه عليه و آله و سلم» إلى مكة «۳» كما قدمنا، و ليس أبا بكر و لا غيره.

هذا، و للنبى (ص) سفرة أخرى إلى الشام للتجارة، ستأتى الإشارة إليها إن شاء اللّه تعالى فى موضعها.

رعيه (ص) الغنم:

و يذكر المؤرخون: أنه «صلى اللّه عليه و آله و سلم» قد رعى الغنم فى بنى سعد، و أنه رعاها لأهله، بل و يقولون: رعاها لأهل مكة أيضا، حتى ليذكرون و البخارى منهم فى كتاب الاجارة و غيره أنه «صلى اللّه عليه و آله و سلم» قال: «ما بعث اللّه نبيا إلا رعى الغنم. فقال اصحابه:

و أنت؟. قال: نعم، كنت أرعاها على قراريط لأهل مكة» «۴» و فسرت

---

(۱) سيرة مغلطاى ص ۱۱، و تاريخ الخميس ج ۱ ص ۲۵۹ عن الحافظ الدمياطى.

(۲) طبقات ابن سعد ج ۱ ص ۱۲۰ ط صادر، و ج ۱ قسم ۱ ص ۷۶ ط ليدن و البداية و النهاية ج ۲ ص ۲۸۶.

(۳) مصنف الحافظ عبد الرزاق ج ۵ ص ۳۱۸ و سيرة ابن هشام ج ۱ ص ۱۹۴.

(۴) البخارى هامش فتح البارى ج ۴ ص ۳۶۳، و السيرة النبوية لدحلان ج ۱ ص ۵۱، و السيرة الحلبية ج ۱ ص ۱۲۵.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۲،ص:۹۸

القراريط بأنها: أجزاء الدراهم و الدنانير يشترى بها الحوائج الحقيرة. «۱»

و لكننا نشك كثيرا فى أن يكون «صلى اللّه عليه و آله و سلم» قد رعى لغير أهله بأجر كهذا، تزهد به حتى العجائز، و لا يصح مقابلته بذلك الوقت و الجهد الذى يبذله فى رعى الغنم، نعم، نشك فى ذلك، لأننا نجد:

أولا: أن اليعقوبى- و هو المؤرخ الثبت- قد نص على أنه «صلى اللّه عليه و آله و سلم» لم يكن اجيرا لأحد قط. «۲»

و ثانيا: تناقض الروايات؛ فبعضها يقول: لأهلى، و بعضها يقول:

لأهل مكة، و بعضها يقول: بالقراريط، و أخرى قد ابدلت ذلك بكلمة باجياد. و إذ كان الراوى واحدا لم يقبل منه مثل هذا الاختلاف.

نعم، قد ذكر البعض: أن العرب ما كانت تعرف القراريط، و إنما هى اسم لمكان فى مكة «۳» فلماذا كان يرعى الغنم فى خصوص ذلك المكان؟ و لا يتجاوزه إلى غيره؟

و مع غض النظر عن ذلك نقول: إنه ربما يكون هذا الإختلاف بين الرواية التى تقول: باجياد، و التى تقول بالقراريط، بسبب أن القراريط و اجيادا اسم لمكان واحد، أو لمكانين متقاربين جدا.

---

(۱) السيرة النبوية ج ۱ ص ۱۵ لزينى دحلان، و السيرة الحلبية ج ۱ ص ۱۲۵ و فتح البارى ج ۴ ص ۳۶۴.

(۲) تاريخ اليعقوبى ج ۲ ص ۲۱ ط صادر.

(۳) فتح البارى ج ۴ ص ۳۶۴ عن إبراهيم الحربى، و صوبه ابن الجوزى تبعا لابن ناصر و السيرة الحلبية ج ۱ ص ۱۲۶ و يؤيد أن العرب ما كانت تعرف القراريط، ما جاء فى الصحيح، و يفتحون أرضا يذكر فيها القيراط. فتح البارى ج ۴ ص ۳۶۴. و قولهم لا يعرف مكان فى مكة بهذا الاسم محل نظر لأن عدم معروفيته الآن لا يستلزم عدم معرفيته فى ذلك الزمان.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۲،ص:۹۹

و لكن يعكر على هذا: أن رواية البخارى تقول: «على قراريط»؛ فالظاهر من كلمة على هو: الأجر.

و يمكن أن يدفع هذا: بأن من المتحمل أن يكون قراريط اسم جبل فى مكة و قد رعى «صلى اللّه عليه و آله و سلم» الغنم عليه. و كل ذلك و سواه من الاحتمالات لا شاهد له، و إنما يلجأ إليه لو كانت الرواية صحيحة السند عن معصوم، و ليست كذلك، بل هى عن أبى هريرة، و غيره ممن لا يمكن الاعتماد عليهم.

ملاحظة:

لقد حاول البعض التفلسف هنا، فذكر: أن رعى الغنم صعب؛ لأنها أصعب البهائم و هو يوجب أن يستشعر القلب رأفة و لطفا؛ فإذا انتقل إلى رعاية البشر كان قد هذب أولا من الحدةّ الطبيعية، و الظلم الغريزى؛ فيكون فى اعدل الأحوال. «۱»

و لكن، حتى لو لم نقل: إنه «صلى اللّه عليه و آله و سلم» كان نبيا منذ صغره، كما سيأتى، فإننا نطرح الأسئلة التالية: هل يمكن أن يصدق أحد: أن النبى الاعظم «صلى اللّه عليه و آله و سلم» كان يحتاج إلى التهذيب من الحدة الطبيعية، و الظلم الغريزى؟!.

و هل فى النبى «صلى اللّه عليه و آله و سلم» ظلم وحدة غريزيتان يحتاجان إلى التهذيب و الحد منهما حقا؟! و لو سلم ذلك، ألا يوجد مدرسة أفضل من هذه المدرسة؟! ثم أفلا ينافى ذلك قضية شق الصدر «۲»- المكذوبة- المقبولة لدى هؤلاء؟! أو ليس ذلك الظلم و تلك

---

(۱) السيرة الحلبية ج ۱ ص ۱۲۶، و السيرة النبوية لدحلان ج ۱ ص ۵۱، و ليراجع: فتح البارى ج ۴ ص ۳۶۴.

(۲) تقدم الكلام عنها فى أوائل هذا الفصل.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۲،ص:۱۰۰

الحدة هما من حظ الشيطان، الذى استأصله جبرئيل فى عمليته الجراحية المزعومة لدى هؤلاء؟. ثم أو ليس كان له ملك يسدده، و يرشده منذ صغره، حسبما نطقت به الروايات «۱»؟!.

إلا أن يدعى هؤلاء: أن التسديد لا ينافى الظلم الغريزى.

و حينئذ نقول: ألم يحاول الملك الموكل به ليسدده و يرشده إلى محاسن الاخلاق، أن يرشده إلى قبح الظلم، و حسن العدل؟! و لماذا قصّر فى أداء مهمته تجاهه؟

و أيضا، ألا يمكن للّه تعالى أن يهذب نبيّه، و يخفف من حدّته بغير هذه الطريقة؟!

و هل صحيح: أن رعاية الغنم أصعب من رعاية غيرها، كما يدعى هؤلاء؟!.

و هل صحيح: أن الظلم غريزة فى الانسان؟! و إذا كان غريزة فهل يمكن القضاء عليه بواسطة رعاية الغنم؟!

و هل كل راعى غنم لا يكون فيه ظلم غريزى، و لا حدّة طبيعية ..

أم أن ظلمه وحدته، أقل من ظلم غيره وحدته؟!

ثم، ألا يمكن أن يكون الرعى عملا عاديا، كان «صلى اللّه عليه و آله و سلم» يقوم به كغيره من ابناء مجتمعه، الذين كانت الماشية و رعيها عندهم من الوسائل العادية للعيش، و كسب الرزق؟!. و ليكون النبى إنسانا يعيش كما يعيش الآخرون من الناس الذين ما عاشوا حياة الترف. و لا شعروا بزهو السلطان؟!

إلى غير ذلك من الأسئلة التى لن تجد عند هؤلاء جوابا مقنعا و مفيدا.

---

(۱) نهج البلاغة، الخطبة القاصعة رقم ۱۹۲ ص ۳۰۰ ضبط صبحى الصالح، و البحار ج ۱۵ ص ۳۶۱/ ۳۶۲.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۲،ص:۱۰۱

نعم. يمكن تعليل ذلك كما يقول البعض: بأن رعى الغنم يعطى فرصة للابتعاد عن الناس، و الانصراف للتكفير السليم، بعيدا عن مشاكل الناس، و همومهم، و يؤيد ذلك: أنه «صلى اللّه عليه و آله و سلم» كان يذهب إلى غار حراء طلبا للانفراد عن الناس، من أجل التفكير و التأمل فى ملكوت اللّه، و العبادة و تزكية النفس ..

و بعض آخر يرى: أن الرعى فيه تحمل مسؤولية أحاد متفرقة، و هو يناسب المهمة التى سوف توكل إليه «صلى اللّه عليه و آله و سلم» الأمر الذى من شأنه أن يروض النفس، و يزيدها اندفاعا نحو طلب الخير للآخرين من رعيته لهم، و الحرص على ما ينفعهم، و قد كان اللّه تعالى يهتم فى رفع مستوى تحمل و ملكات و قدرات نبيه ليواجه المسؤولية العظمى، و لكن بالطرق العادية و الطبيعية، كما هو معلوم من ارساله الرسل، تزويدهم بالمعجزات و غيرها.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۲،ص:۱۰۳

الفصل الثالث: خديجة فى بيت النبى (ص)

اشارة

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۲،ص:۱۰۵

السفر الثانى إلى الشام:

و يقولون: إنه «صلى اللّه عليه و آله و سلم» قد سافر سفره الثانى إلى الشام، و هو فى الخامسة و العشرين من عمره «۱».

و يقولون: إن سفره هذا كان فى تجارة لخديجة. و أن أبا طالب هو الذى اقترح عليه ذلك، حينما اشتد الزمان، و ألحت عليهم سنون منكرة، فلم يقبل «صلى اللّه عليه و آله و سلم» أن يعرض نفسه على خديجة. فبلغ خديجة ما جرى بينه «صلى اللّه عليه و آله و سلم» و بين أبى طالب؛ فبادرت هى، و بذلت للرسول «صلى اللّه عليه و آله و سلم» ضعف ما كانت تبذله لغيره؛ لما تعرفه من صدق حديثه، و عظيم أمانته، و كرم أخلاقه.

و يروى بعضهم: أن أبا طالب نفسه قد كلم خديجة فى ذلك، فأظهرت سرورها و رغبتها، و بذلت له ما شاء من الأجر.

فسافر «صلى اللّه عليه و آله و سلم» إلى الشام، و ربح فى تجارته أضعاف ما كان يربحه غيره، و ظهرت له فى سفره بعض الكرامات الباهرة، فلما عادت القافلة إلى مكة أخبر ميسرة غلام خديجة، سيدته بذلك،

---

(۱) و فى البحار ج ۱۶ ص ۹ عن بعضهم: ان سفره كان إلى سوق حباشة بتهامة، و كذا فى كشف الغمة ج ۲ ص ۱۳۵ عن الجنابذى فى معالم العترة.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۲،ص:۱۰۶

فذكرت ذلك بالاضافة إلى ما ظهر لها هى منه «صلى اللّه عليه و آله و سلم» لورقة بن نوفل، إبن عمها كما يقولون: و إن كنا نحن نشك فى ذلك «۱» فقال لها: إن كان ذلك حقا، فهو نبى هذه الأمة «۲».

ثم اهتمت خديجة بالعمل على الاقتران به «صلى اللّه عليه و آله و سلم»، كما سنرى.

هكذا يقولون، و لكننا نشك فى بعض ما تقدم. و لا سيما و أن ورقة لم يسلم حتى بعد أن بعث رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله و سلم».

كما أن قولهم: إن خديجة قد استأجرته فى تجارتها. لا يمكن المساعدة عليه، و ذلك لأننا نجد المؤرخ الاقدم، الثبت ابن واضح، المعروف باليعقوبى يقول:

«و إنه ما كان مما يقول الناس: إنها استأجرته بشىء، و لا كان أجيرا لأحد قط «۳»».

و لعل فى عزة نفس النبى «صلى اللّه عليه و آله و سلم» و ابائها. و أيضا فى تسديد اللّه تعالى له. و أيضا فى شرف أبى طالب و سؤدده، ما يبعد كثيرا أن يكون قد صدر شىء مما نسب إلى أبى طالب منه.

و على هذا، فقد يكون سفره «صلى اللّه عليه و آله و سلم» إلى

---

(۱) سيأتى إن شاء اللّه بعض الكلام حول بعض ما يقال عن ورقة بن نوفل، و دوره فى بدء الوحى.

(۲) راجع: البداية و النهاية ج ۲ ص ۲۹۶ و السيرة الحلبية ج ۱ ص ۱۳۶.

(۳) تاريخ اليعقوبى ج ۲ ص ۲۱ و نقل عن سفر السعادة: أنه صلى اللّه عليه و آله بعد البعثة، و قبل الهجرة كان يشترى أكثر مما يبيع، و بعد الهجرة لم يبع إلا ثلاث مرات، أما شراؤه فكثير .. و أما شراكته مع غيره ففيها كثير من الاضطراب، و ليس لنا مجال لتحقيق ذلك ..

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۲،ص:۱۰۷

الشام، لا لكونه كان أجيرا لخديجة، و إنما لأنه كان يضارب بأموالها، أو شريكا لها. و يدل على ذلك تصريح رواية الجنابذى بالمضاربة «۱» فراجع.

و يؤيده ما رواه المجلسى من أن أبا طالب قد ذكر له «صلى اللّه عليه و آله و سلم» اتجار الناس بأموال خديجة، و حثه على أن يبادر إلى ذلك، ففعل، و سافر إلى الشام «۲».

زواجه (ص) بخديجة:

و لقد كانت خديجة «عليها السلام» من خيرة نساء قريش شرفا، و أكثرهن مالا، و احسنهن جمالا. و كانت تدعى فى الجاهلية ب «الطاهرة»، «۳» و يقال لها: «سيدة قريش». و كل قومها كان حريصا على الاقتران بها لو يقدر عليه «۴».

---

(۱) البحار ج ۱۶ ص ۹، و كشف الغمة ج ۲ ص ۱۳۴ عن معالم العترة للجنابذى ..

(۲) البحار ج ۱۶ ص ۲۲ عن البكرى و ص ۳ عن الخرائج و الجرائح ص ۱۸۶ و ۱۸۷.

(۳) راجع الإصابة ج ۴ ص ۲۸۱/ ۲۸۲ و البداية و النهاية ج ۲ ص ۲۹۴ و تاريخ الإسلام للذهبى ج ۲ الترجمة النبوية ص ۱۵۲ و قسم السيرة النبوية ص ۲۳۷ و تهذيب الأسماء ج ۲ ص ۳۴۲ و الاستيعاب (بهامش الإصابة) ج ۴ ص ۲۷۹ و الإصابة ج ۴ ص ۲۸۱ و سيرة مغلطاى ص ۱۲ و سير أعلام النبلاء ج ۲ ص ۱۱۱ و المواهب اللدنية ج ۱ ص ۳۸ و ۲۰۰ و الروض الأنف ج ۱ ص ۲۱۵ و تاريخ الخميس ۱/ ۲۶۴ و أسد الغابة ج ۷ ص ۷۸ ط دار الشعب السيرة الحلبية ج ۱ ص ۴۷. و السيرة النبوية لدحلان ج ۱ ص ۵۵ و الثقات ج ۱ ص ۴۶.

(۴) و راجع: البداية و النهاية ج ۲ ص ۲۹۴ و بهجة المحافل ج ۱ ص ۴۷. و السيرة النبوية لابن هشام ج ۱ ص ۲۰۱ و تاريخ الخميس ج ۱ ص ۲۶۳ و طبقات ابن سعد ج ۱ ص ۱۳۱ ط دار صادر و السيرة الحلبية ج ۱ ص ۱۳۷ و السيرة النبوية لدحلان ج ۱ ص ۵۵.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۲،ص:۱۰۸

و قد خطبها عظماء قريش، و بذلوا لها الاموال. و ممن خطبها عقبة بن أبى معيط، و الصلت بن أبى يهاب، و أبو جهل، و أبو سفيان «۱» فرفضتهم جميعا، و اختارت النبى «صلى اللّه عليه و آله و سلم»، لما عرفته فيه من كرم الأخلاق، و شرف النفس، و السجايا الكريمة العالية. و نكاد نقطع- بسبب تضافر النصوص- بأنها هى التى قد أبدت أولا رغبتها فى الاقتران به «صلى اللّه عليه و آله و سلم».

فذهب أبو طالب فى أهل بيته، و نفر من قريش إلى وليها، و هو عمها عمرو بن أسد؛ لأن أباها كان قد قتل قبل ذلك فى حرب الفجار أو قبلها «۲».

و أما أنه خطبها إلى ورقة بن نوفل، و عمها معا، أو إلى ورقة وحده «۳» فمردود، بأنه:

قد ادعى الاجماع على الأول «۴».

و أما أنا فلا ادرى ما أقول فى ورقة هذا.

و فى كل واد أثر من ثعلبة، فهو يحشر فى كل كبيرة و صغيرة، فيما يتعلق بالرسول الاعظم «صلى اللّه عليه و آله و سلم»، و إن ذلك ليدعونى

---

(۱) البحار ج ۱۶ ص ۲۲.

(۲) كشف الغمة ج ۲ ص ۱۳۹، و البحار ج ۱۶ ص ۱۲ عنه و ص ۱۹ عن الواقدى، و راجع: الأوئل ج ۱ ص ۱۶۰ و فى السيرة الحلبية ج ۱ ص ۱۳۸: ان المحفوظ عن أهل العلم انه مات قبل الفجار، و تاريخ الخميس ج ۱ ص ۲۶۴. و تهذيب تاريخ دمشق ج ۱ ص ۳۰۳ عن الواقدى، و الإصابة ج ۴ ص ۲۸۲ و البداية و النهاية ج ۲ ص ۲۹۶.

(۳) البحار ج ۱۶ ص ۱۹ عن الواقدى و السيرة الحلبية ج ۱ ص ۱۲۹ و الكافى ج ۵ ص ۳۷۴/ ۳۷۵، و فيه أن ورقة كان عم خديجة و

كذا فى البحار ج ۱۶ ص ۱۴ و ۲۱ عنه و عن البكرى، و هو غير صحيح لأن ورقة هو ابن نوفل بن أسد و خديجة هى بنت خويلد بن أسد ..

(۴) السيرة الحلبية ج ۱ ص ۱۳۷.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۲،ص:۱۰۹

إلى الشك فى كونه شخصية حقيقية، أو أسطورية.

و يلاحظ: أن نفس الدور الذى يعطى لأبيها تارة، و لعمها أخرى، يعطى لورقة بن نوفل ثالثة حتى الجمل و الكلمات، فضلا عن المواقف و الحركات. فلتراجع الروايات التى تحكى هذه القضية، و ليقارن بينها «۱».

و سيأتى إن شاء اللّه مزيد من الكلام حول ورقة هذا.

نعود إلى القول: إن أبا طالب قد ذهب لخطبة خديجة، و ليس حمزة الذى اقتصر عليه ابن هشام فى سيرته «۲» لأن ذلك لا ينسجم مع ما كان لأبى طالب من المكانة و السؤدد فى قريش، من جهة، و لأن حمزة كان يكبر النبى «صلى اللّه عليه و آله و سلم» بسنتين أو بأربع «۳» كما قيل من جهة اخرى.

هذا بالإضافة إلى مخالفة ذلك لما يذكره عامة المؤرخين فى المقام.

و قد اعتذر البعض عن ذلك: بأن من الممكن أن يكون حمزة قد حضر مع أبى طالب؛ فنسب ذلك إليه «۴».

و هو اعتذارواه؛ إذ لماذا لم ينسب ذلك إلى غير حمزة، ممن حضر مع أبى طالب من بنى هاشم و غيرهم من القرشيين؟!.

و يظهر: أن ثمة من يهتم بسلب هذه المكرمة عن أبى طالب «عليه السلام»، و اعطائها لأى كان من الناس سواه، حتى لحمزة. و لا ضير فى ذلك عنده ما دام أنه قد استشهد فى وقت مبكر.

---

(۱) راجع المصادر المتقدمة و الآتية.

(۲) راجع: سيرة ابن هشام ج ۱ ص ۲۰۱ و السيرة الحلبية ج ۱ ص ۱۳۸ و نقل أيضا عن المحب الطبرى.

(۳) تقدمت مصادر ذلك حين الحديث حول إرضاع ثويبة لرسول اللّه (ص).

(۴) السيرة الحلبية ج ۱ ص ۱۳۹.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۲،ص:۱۱۰

خطبة أبى طالب (رحمه اللّه):

و على كل حال فقد خطبها أبو طالب له «صلى اللّه عليه و آله و سلم» قبل بعثة النبى «صلى اللّه عليه و آله و سلم» بخمس عشرة سنة، على المشهور.

و قال فى خطبته- كما يروى المؤرخون-:

«الحمد لرب هذا البيت، الذى جعلنا من زرع ابراهيم، و ذرية اسماعيل، و انزلنا حرما آمنا، و جعلنا الحكام على الناس، و بارك لنا فى بلدنا الذى نحن فيه.

ثم إن ابن أخى هذا- يعنى رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله و سلم»- ممن لا يوزن برجل من قريش إلا رجح به، و لا يقاس به رجل الاعظم عنه، و لا عدل له فى الخلق، و إن كان مقلا فى المال؛ فإن المال رفد جار، و ظل زائل، و له فى خديجة رغبة، و قد جئناك لنخطبها إليك، برضاها و أمرها، و المهر على فى مالى الذى سألتموه عاجله و آجله.

و له- و ربّ هذا البيت- حظ عظيم، و دين شائع، و رأى كامل «۱»».

نظرة فى كلمات أبى طالب:

و خطبة أبى طالب المتقدمة تظهر مكانة الرسول الفضلى فى قلوب

---

(۱) الكافى ج ۵ ص ۳۷۴/ ۳۷۵، و البحار ج ۱۶ ص ۱۴ عنه و ص ۱۶ عمن لا يحضره الفقيه ص ۴۱۳، و فى ص ۵ عن شرف المصطفى، و الكشّاف، و ربيع الأبرار و الإبانة لابن بطة، و السيرة للجوينى، عن الحسن و الواقدى، و أبى صالح و العتبى، و المناقب ج ۱ ص ۴۲، و الحلبية ج ۱ ص ۱۳۹، و تاريخ اليعقوبى ج ۲ ص ۲۰، و الأوائل لأبى هلال ج ۱ ص ۱۶۲ و تاريخ الخميس ج ۱ ص ۲۶۴ و المواهب اللدنية ج ۱ ص ۳۹ و بهجة المحافل ج ۱ ص ۴۸ و السيرة النبوية لدحلان ج ۱ ص ۵۵.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۲،ص:۱۱۱

الناس. و هى صريحة فى أن الناس كانوا يجدون فى الرسول علامات النبوة و نور الهداية. و يتوقعون أن يكون هو الذى بشر به عيسى و موسى «عليهما السلام»، و أنه كان لا يوزن به أحد إلا رجح به، و لا يقاس به رجل الاعظم عنه.

ثم إن كلمات أبى طالب تدل دلالة واضحة على ما كان يتمتع به بنو هاشم، من شرف و سؤدد، حتى ليقول (رحمه اللّه) و جعلنا الحكام على الناس.

و تدل أيضا على أن العرب كانت تعتبر الحرم موضع أمن للقاصى و الدانى، و قد تقدم ما يدل على ذلك أيضا.

ثم إن حديثه عن فقر النبى «صلى اللّه عليه و آله و سلم»، و اعطاء الضابطة للتفضيل بين الرجال، يدل على واقعية أبى طالب، و أنه ينظر إلى الإنسان بمنظار سام و نبيل، كما أنه يتعامل مع الواقع بحنكة و وعى و أناة.

و بعد، فإن كلماته تلك تدل أيضا على أن قريشا كانت تعتبر انتسابها إلى ابراهيم و اسماعيل، و سدانتها للبيت، كل شىء بالنسبة لها، و قد أشرنا إلى هذا الأمر فى الفصل الأول.

و لتراجع خطبة أبى طالب (رحمه اللّه) حين موته، و التى يخاطب بها قريشا، فإنها خطبة جليلة، لا تبتعد عن هذه الخطبة فى مراميها و اهدافها.

و دين شائع:

و يتساءل بعض المحققين هنا: أنه كيف يمكن الجمع بين قوله:

«و دين شائع»، و بين قوله تعالى: «ما كُنْتَ تَدْرِى مَا الْكِتابُ وَ لَا الْإِيمانُ «۱»». و قوله: «وَ ما كُنْتَ تَرْجُوا أَنْ يُلْقى إِلَيْكَ الْكِتابُ «۲»».

---

(۱) الشورى، الآية: ۵۲.

(۲) القصص الآية، ۸۶.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۲،ص:۱۱۲

و جوابه:

أولا: إن الآيات ربما تكون ناظرة إلى المراحل الاولى من حياة النبى الاعظم «صلى اللّه عليه و آله و سلم» فهو لم يكن يعلم، ثم علم، و اما متى علم؛ فالآيات لا تحدد لنا ذلك؛ فلربما يكون قد علم حينما كان فى سن العشرين مثلا، أو قبل ذلك أو بعده.

و ثانيا: إن السيد الطباطبائى يقول: إن الآيات ناظرة إلى نفى العلم التفصيلى، أما العلم الاجمالى فقد كان موجودا؛ لأن عبد المطلب و أبا طالب و غيرهم كانوا مؤمنين باللّه، و كتبه اجمالا، و النبى أيضا كذلك «۱»، لا سيما إذا قوّينا أنه «صلى اللّه عليه و آله و سلم» كان

نبيا منذ صغره- كما ذهب إليه البعض- و لسوف يأتى ذلك ان شاء اللّه تعالى فى فصل بحوث تسبق السيرة.

و ثالثا: إن من معانى الدين: «السيرة، و التدبير، و الورع، و العادة، و الشأن»؛ فلعل القصد فى هذه العبارة، كان إلى احد هذه المعانى.

و رابعا: إن هذه الآيات بمثابة قضية شرطية مفادها: أنه (ص) لو لا لطف اللّه به لم يكن يدرى ما الكتاب و لا الإيمان، لأنك أنت بنفسك و بما لديك من قدرات ذاتية لست قادرا على شىء و كذلك هو (ص) لم يكن يرجو ذلك لو لا اللّه سبحانه.

مهر خديجة:

و على كل حال فإن أبا طالب قد ضمن المهر فى ماله، كما هو صريح خطبته، و لكن خديجة رضوان اللّه تعالى عليها عادت؛ فضمنت المهر فى مالها، فقال البعض: يا عجبا! المهر على النساء للرجال؟!

---

(۱) راجع: تفسير الميزان ج ۱۸ ص ۷۷.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۲،ص:۱۱۳

فغضب أبو طالب، و قال: إذا كانوا مثل ابن أخى هذا طلبت الرجال بأغلى الاثمان، و اعظم المهر، و إن كانوا أمثالكم لم يزوجوا إلّا بالمهر الغالى.

و لكن يبقى: أن بعض الروايات تفيد: أن رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله و سلم» نفسه قد أمهرها عشرين بكرة «۱» و ذلك ينافى أن يكون أبو طالب قد ضمن المهر، أو هى ضمنته دونه، أو هى لأبى طالب.

إلا أن يكون المراد: أنه «صلى اللّه عليه و آله و سلم» قد أمهرها بواسطة أبى طالب.

و قيل: إن عليا «عليه السلام» هو الذى ضمن المهر، قالوا: «و هو غلط؛ لأن عليا لم يكن ولد على جميع الأقوال فى مقدار عمره «۲»».

و يرد عليه: أن ثمة اقوالا- و إن كنا لا نشك فى عدم صحتها- تفيد:

أنه «عليه السلام» قد ولد قبل البعثة بعشرين، أو بثلاث و عشرين سنة.

و لذا قال مغلطاى: «و هو غلط، كان على إذ ذاك صغيرا لم يبلغ سبع سنين» «۳».

و نحن نغلط هذه الاقوال، و نستغربها، إذ أن ذلك معناه أنه «عليه السلام» قد استشهد و عمره ست و سبعون سنة. و هو ما لم يقل به أحد.

فنحن لا نقبل قول مغلطاى، و لا نقبل قول اولئك الذين يزعمون أنه قد ضمن المهر، و ذلك لما سيأتى فى تاريخ ميلاده عليه الصلاة و السلام.

---

(۱) السيرة الحلبية ج ۱ ص ۱۳۸ و راجع: تاريخ الخميس ج ۱ ص ۲۶۵ و السيرة النبوية لابن هشام ج ۱ ص ۲۰۱ و السيرة النبوية لابن كثير ج ۱ ص ۲۶۳ و السيرة النبوية لدحلان ج ۱ ص ۱۰۷.

(۲) السيرة الحلبية ج ۱ ص ۱۳۹ عن الفسوى فى كتاب: ما روى أهل الكوفة مخالفا لأهل المدينة، و سيرة مغلطاى ص ۱۲، و الأوائل ج ۱ ص ۱۶۱.

(۳) سيرة مغلطاى ص ۱۲.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۲،ص:۱۱۴

ثم نقول: إن أبا هلال العسكرى ذكر أنه لما قيل: من يضمن المهر؟ قال على و هو صغير: «أبى فلما بلغ الخبر أبا طالب جعل يقول: بأبى أنت و أمى» «۱».

و لرّبما يمكن تقريب هذا إذا أخذنا بعين الاعتبار ما يقال: من أن عليا «عليه السلام» قد ولد قبل البعثة بعشر أو بخمس عشرة سنة أو ست عشرة سنة، بل بثلاث و عشرين سنة، حسب بعض الاقوال النادرة. ثم قارنا بينها و بين الاقوال التى تقرر: أنه «صلى اللّه عليه و آله و سلم» قد تزوج خديجة و هو ابن ثلاثين سنة، أى قبل البعثة بعشر سنوات، أو و هو ابن سبع و ثلاثين سنة، كما عن ابن جريج «۲» أى قبل البعثة بثلاث سنوات، و قيل: تزوجها قبل البعثة بخمس سنين «۳». فلعله «عليه السلام» قد قال ذلك و هو طفل صغير فاستحسن ذلك منه عمه أبو طالب.

و عن مقدار المهر، قيل: إنه عشرون بكرة. و قيل: إثنا عشر أوقية و نش، أى ما يعادل خمس مئة درهم، و قيل غير ذلك «۴».

عمر خديجة حين الزواج:

و يلاحظ هنا: مدى الاختلاف و التفاوت فى عمر خديجة حين

---

(۱) الأوائل لأبى هلال العسكرى ج ۱ ص ۱۶۱.

(۲) راجع تاريخ الخميس ج ۱ ص ۲۶۴. و راجع: مجمع الزوائد ج ۹/ ۲۱۹. و ذكرت بعض الأقوال فى التبيين فى أنساب القرشيين ص ۶۲ و تاريخ اليعقوبى ج ۲ ص ۲۰ و مختصر تاريخ دمشق ج ۲ ص ۲۷۵ قيل: تزوجها و هو ابن ثلاثين سنة و كذا فى الاستيعاب (بهامش الإصابة) ج ۴ ص ۲۸۸ و سيرة مغلطاى ص ۱۲ و مثله فى المواهب اللدنية ج ۱ ص ۳۸ و ۲۰۲ و الروض الأنف ج ۱/ ۲۱۶.

(۳) الأوائل ج ۱ ص ۱۶۱.

(۴) راجع: السيرة الحلبية ج ۱ ص ۱۳۸ و ۱۳۹.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۲،ص:۱۱۵

اقترانها بالرسول الاكرم «صلى اللّه عليه و آله و سلم».

و هى تتراوح ما بين ال ۲۵ سنة إلى ال ۴۶ سنة و هى على النحو الآتى:

ألف- ۲۵ سنة و صححه البيهقى «۱».

ب- ۲۸ سنة. هو مارجحه كثيرون «۲».

ج- ۳۰ سنة «۳».

د- ۳۵ سنة «۴».

ه- ۴۰ سنة «۵».

---

(۱) دلائل النبوة للبيهقى ط دار الكتب العلمية ج ۲ ص ۷۱ و البداية و النهاية ج ۲ ص ۲۹۴ و ۲۹۵ و محمد رسول اللّه، سيرته و أثره فى الحضارة ص ۴۵ و راجع: السيرة النبوية لابن كثير ج ۱ ص ۲۶۵ و السيرة الحلبية ج ۱ ص ۱۴۰.

(۲) شذرات الذهب ج ۱ ص ۱۴ و اقتصر عليه فى بهجة المحافل ج ۱ ص ۴۸ و رواه عن ابن عباس كل من: أنساب الأشراف (قسم حياة النبى (ص)) ص ۹۸ و تهذيب تاريخ دمشق ج ۱ ص ۳۰۳ و سير اعلام النبلاء ج ۲ ص ۱۱۱ و مختصر تاريخ دمشق ج ۲ ص ۲۷۵. و البحار ج ۱۶ ص ۱۲ عن الجنابذى. كلهم عن ابن عباس. و رواه فى مستدرك الحاكم ج ۳ ص ۱۸۲ عن ابن إسحاق، دون أن يذكر له قولا آخر.

و راجع سيرة مغلطاى ص ۱۲ و المحبر ص ۷۹ و تهذيب الأسماء ج ۲ ص ۳۴۲ و تاريخ الخميس ج ۱ ص ۲۶۴ و السيرة الحلبية ج ۱ ص ۱۴۰.

(۳) راجع: السيرة الحلبية ج ۱ ص ۱۴۰ و تاريخ الخميس ج ۱ ص ۲۶۴ و سيرة مغلطاى ص ۱۲ و تهذيب تاريخ دمشق ج ۱ ص ۳۰۳.

(۴) البداية و النهاية ج ۲ ص ۲۹۵ و السيرة النبوية لابن كثير ج ۱ ص ۲۶۵ و راجع:

السيرة الحلبية ج ۱ ص ۱۴۰.

(۵) أنساب الأشراف (قسم حياة النبى) ص ۹۸ و سيرة مغلطاى ص ۱۲ و المحبر ص ۴۹ و المواهب اللدنية ج ۱ ص ۳۸ و ۲۰۲ و شذرات الذهب ج ۱ ص ۱۴ و تاريخ الخميس

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۲،ص:۱۱۶

و- ۴۴ سنة «۱».

ز- ۴۵ سنة «۲».

ح- ۴۶ سنة «۳».

و قد تقدم: أن الكثيرين قد رجحوا القول الثانى، كما ذكره إبن العماد. أما البيهقى فقد صحح القول الأول، حيث قال: «بلغت خديجة خمسا و ستين سنة، و يقال: خمسين سنة، و هو أصح» «۴»

فإذا كانت رحمها اللّه قد تزوجت برسول اللّه قبل البعثة بخمس عشرة سنة كما جزم به البيهقى نفسه «۵». فإن ذلك معناه: أن عمرها حين زواجها كان خمسا و عشرين سنة. و رجح هذا القول غير البيهقى أيضا «۶».

أما الحاكم، الذى روى لنا القول الثانى المتقدم عن ابن إسحاق،

ج ۱ ص ۲۶۴ و أسد الغابة (دار الشعب) ج ۷ ص ۸۰ و السيرة الحلبية ج ۱ ص ۱۴۰ و السيرة النبوية لدحلان ج ۱ ص ۵۵ ط دار المعرفة و راجع: تاريخ الإسلام للذهبى ج ۲ ص ۱۵۲ و مختصر تاريخ دمشق ج ۲ ص ۲۷۵ و تهذيب الأسماء ج ۲ ص ۳۴۲ و الطبقات الكبرى لابن سعد ط صادر- ج ۱ ص ۱۳۲، و البحار ج ۱۶ ص ۱۹ و ۱۲ و تهذيب تاريخ دمشق ج ۱ ص ۳۰۳، عن حكيم بن حزام.

(۱) تهذيب تاريخ دمشق ج ۱ ص ۳۰۳ عن الواقدى.

(۲) تهذيب الأسماء ج ۲ ص ۳۴۲ و مختصر تاريخ دمشق ج ۲ ص ۲۷۵ عن الواقدى و السيرة الحلبية ج ۱ ص ۱۴۰ و راجع: سيرة مغلطاى ص ۱۲ و تاريخ الخميس ج ۱ ص ۳۰۱.

(۳) راجع: أنساب الأشراف (قسم حياة النبى (ص)) ص ۹۸.

(۴) دلائل النبوة ج ۲ ص ۷۱.

(۵) دلائل النبوة ج ۲ ص ۷۲ ط دار الكتب العلمية و البداية و النهاية ج ۲ ص ۲۹۵.

و غير ذلك كثير.

(۶) محمد رسول اللّه: سيرته، و أثره فى الحضارة ص ۴۵.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۲،ص:۱۱۷

فإنه لم يوضح لنا حقيقة ما يذهب إليه، غير أنه حين روى عن هشام بن عروة قوله: إن خديجة قد توفيت و عمرها خمس و ستون سنة. قال: «هذا قول شاذ، فإن الذى عندى: أنها لم تبلغ ستين سنة» «۱».

فكلامه هذا يدل على أنه يعتبر القول بأنها قد تزوجت بالنبى و عمرها أربعون سنة، شاذ. و يرى: أن عمرها كان أقل من خمس و ثلاثين حينئذ، و لكنه لم يبين القول الذى يذهب إليه، هل هو ثلاثون؟ أو ثمان و عشرون؟

أو خمس و عشرون؟.

يتيم قريش، أكذوبة مفضوحة:

و عن ابن اسحاق: أن خديجة قالت له (ص): يا محمد، ألا تتزوج؟ قال: و من؟ قالت: أنا.

قال: و من لى بك؟ أنت أيّم قريش، و أنا يتيم قريش؟.

قالت: إخطب الخ. «۲».

بل يذكر البعض أن أبا طالب قال للنبى «صلى اللّه عليه و آله و سلم»: أخاف ألّا يفعلوا، أيّم قريش. و أنت يتيم قريش. ثم إن أبا طالب أرسل بدلا عنه حمزة؛ لأنه خاف إن ذهب بنفسه أن يردوه فتكون الفضيحة «۳».

و فى نص آخر: أن خديجة حين طلبت من أبى طالب أن يخطبها لمحمد من عمها، قال أبو طالب لها: «يا خديجة، لا تستهزئى» «۴».

---

(۱) مستدرك الحاكم ج ۳ ص ۱۸۲.

(۲) السيرة الحلبية ج ۱ ص ۱۳۸.

(۳) الأوائل لأبى هلال العسكرى ج ۱ ص ۱۶۰/ ۱۶۱.

(۴) السيرة الحلبية ج ۱ ص ۱۳۸.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۲،ص:۱۱۸

و نحن لا نشك فى كذب كل ذلك؛ إذ كيف يمكن أن يصدر ذلك من رجل يزيد عمره على الخمس و عشرين عاما: أن يصف نفسه بأنه:

يتيم. هذا مع العلم بأنه قد نشأ و تربى فى أعرق بيت فى العرب؛ فكيف لم يكن يعرف أن اليتيم لا يطلق فى لغة العرب إلا على غير البالغ؟!.

و أيضا، فإن صدور ذلك من رجل هو فى عقل و ادراك، و شخصية النبى «صلى اللّه عليه و آله و سلم»، و الذى هو من أعرق عائلة عربية، و أشرفها، و الذى كان فى إباؤه و سمو نفسه يفوق كل وصف، و يتجاوز كل حد- إن صدور ذلك منه- يكاد يلحق بالمستحيلات و الممتنعات.

ثم إنه لماذا اتصف محمد «صلى اللّه عليه و آله و سلم» فقط باليتم؟

مع أن عبد المطلب قد مات و ابناه العباس و حمزة صغيران لم يبلغا الحلم «۱»؟!

و الظاهر هو أن هذا من مجعولات اعداء الدين، أو من أهل الكتاب، أو من أذناب بنى أمية، الذين كانوا يحاولون الحط من شأن رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله و سلم» كما قدمناه فى الجزء الأول من هذا الكتاب.

و هكذا يقال تماما بالنسبة لما ينسب لأبى طالب «عليه السلام»، لا سيما و أنه هو نفسه يقرّض النبى بذلك التقريض العظيم المتقدم.

و لعل الاصح هو أن القائل لذلك هو نساء قريش، كما سيأتى حين الحديث عن عدم صحة ما يقال من زواجها من رجلين قبله «صلى اللّه عليه و آله و سلم».

و هكذا يقال تماما بالنسبة لما يقال: من أن عمها كان يأنف من أن

---

(۱) هذا ما ذكره المحقق البحاثة السيد مهدى الروحانى حفظه اللّه.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۲،ص:۱۱۹

يزوجها من محمد، يتيم أبى طالب «۱»؛ فاحتالت هى عليه حتى سقته الخمر، فزوجها فى حال سكره؛ فلما أفاق، و وجد نفسه أمام الامر

الواقع لم يجد بدا من القبول.

و كذا قولهم: إنه «صلى اللّه عليه و آله و سلم» قد دخل على خديجة قبل التزويج، فأخذت بيده فضمتها إلى صدرها «۲». إلى غير ذلك من كلام عجيب و غريب، يتناقض تماما مع كل اخلاق و سجايا النبى «صلى اللّه عليه و آله و سلم» و سيرته، فإن كل ذلك كذب، ليس الهدف منه إلا الحط من كرامة النبى «صلى اللّه عليه و آله و سلم» و تنقصه من قبل أعداء الاسلام، و مصائد الشيطان، نعوذ باللّه من الخذلان.

هل تزوج (ص) خديجة طمعا فى مالها؟!

هذا، و قد جاء فى كلمات بعض المتهمين على الاسلام كلام باطل، تكذبه كل الشواهد التاريخية، و هو أنه «صلى اللّه عليه و آله و سلم» إنما تزوج خديجة طمعا فى مالها «۳».

و لسنا نريد الاسهاب فى الاجابة على هذا الهذيان، فإن حياة النبى «صلى اللّه عليه و آله و سلم» من بدايتها إلى نهايتها لخير شاهد على أنه «صلى اللّه عليه و آله و سلم» ما كان يقيم للمال و زنا.

و قد انفقت خديجة سلام اللّه عليها كل أموالها طائعة راغبة، ليس على النبى «صلى اللّه عليه و آله و سلم» و ملذاته، و انما على الدعوة إلى

---

(۱) السيرة الحلبية ج ۱ ص ۱۳۸ و تاريخ الإسلام (السيرة النبوية) ص ۶۵ ط دار الكتاب العربى، و مسند أحمد ج ۱ ص ۳۱۲ و مجمع الزوائد ج ۹ ص ۲۲۰.

(۲) السيرة الحلبية ج ۱ ص ۱۴۰.

(۳) النبوة، تأليف الشيخ محمد حسن آل ياسين ص ۶۳.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۲،ص:۱۲۰

الاسلام، و فى سبيل هذا الدين.

و أيضا فإن خديجة هى التى عرضت نفسها على النبى «صلى اللّه عليه و آله و سلم» «۱» و لم يتقدم هو «صلى اللّه عليه و آله و سلم» بطلب يدها، ليقال: إنه إنما فعل ذلك طمعا فى مالها.

و يرى الشيخ محمد حسن آل ياسين أن حبه «صلى اللّه عليه و آله و سلم» و تقديره لها فى أيام حياتها بل و بعد مماتها، حتى لقد كان ذلك منه يثير بعض زوجاته اللواتى ما رأين، و لا عشن مع خديجة، دليل واضح على بطلان هذا الزعم «۲».

خديجة مثل أعلى:

و بالنسبة لعرض خديجة نفسها عليه «صلى اللّه عليه و آله و سلم» نقول:

هكذا، تفعل الحرة العاقلة اللبيبة، فلا تغرها زبارج الدنيا و بهارجها، و لا تبحث عن اللّذة لأجل اللّذة، و لا عن المال و الشهرة، و إنما تبحث عما يخدم هدفها الاسمى فى الحياة، فتفعل- كما فعلت خديجة- تردّ زعماء قريش، اصحاب المال و الجاه، و القدرة، و السلطان، و تبحث عن رجل فقير لا مال له، تبادر هى لعرض نفسها عليه؛ لأن كل ذلك لا يملأ عينها، لأنه كله ربما يكون سببا فى تدمير الحياة و الانسان، و حتى الانسانية جمعاء. و انما هى تنظر فقط إلى الاخلاق الفاضلة، و السجايا الكريمة، و إلى الواقعية فى التعامل، و السمو فى الهدف.

---

(۱) البداية و النهاية ج ۲ ص ۲۹۴ و السيرة الحلبية ج ۱ ص ۱۳۷ و السيرة النبوية لابن هشام ج ۱ ص ۲۰۰/ ۲۰۱ و تاريخ الخميس ج ۱ ص ۲۶۴.

(۲) كتاب النبوة ص ۶۳.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۲،ص:۱۲۱

لأن كل ذلك هو الذى يسخر المال، و الجاه، و القوة، و كل شيء لخدمة الانسان و الانسانية، و تكاملها فى الدرجات العلى.

خديجة بين نساء قريش:

و تجدر الاشارة هنا إلى أن عامة المؤرخين على اختلاف أذواقهم، و مشاربهم، و نحلهم، يقولون: إن خديجة كانت أجمل نساء قريش. كما أنه لا ريب فى أنها أفضل نسائه صلوات اللّه و سلامه عليها.

و لعل ذلك يفسر لنا السبب فى غيرة بعض نساء النبى «صلى اللّه عليه و آله و سلم» منها، حتى بعد وفاتها؛ بحيث كن يحاولن تنقصها، و الإزراء عليها باستمرار، مع أنهن لم يدركنها فى بيت الزوجية أصلا.

هذا، و لعل أم سلمة تأتى فى المرتبة الثانية بين أزواجه «صلى اللّه عليه و آله و سلم» بعد خديجة، فضلا و اخلاصا، و ولاء، و حتى جمالا، كما يظهر من كلام للامام الباقر «عليه السلام».

و على كل حال: فقد كان ذوات الجمال و الاخلاص من ازواجه «صلى اللّه عليه و آله و سلم» يواجهن الغيرة القاتلة، و التآمر المستمر من قبل البعض الآخر من نسائه «صلى اللّه عليه و آله و سلم»، ممن لم يكن لهن نصيب من جمال، و لا من التزام تام بالأدب النبوى الكريم. بل كن يؤذينه «صلى اللّه عليه و آله و سلم» بمواقفهن و تصرفاتهن «۱».

هل تزوجت خديجة بأحد قبل النبى (ص)؟!

ثم إنه قد قيل: انه «صلى اللّه عليه و آله و سلم» لم يتزوج بكرا غير

---

(۱) سيأتى لذلك مزيد توضيح فى فصل: حتى بيعة العقبة، فى الجزء الثانى من هذا الكتاب.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۲،ص:۱۲۲

عائشة، و أما خديجة، فيقولون: إنها قد تزوجت قبله «صلى اللّه عليه و آله و سلم» برجلين، و لها منهما بعض الأولاد. و هما عتيق بن عائذ بن عبد اللّه المخزومى، و أبو هالة التميمى.

أما نحن فنقول: اننا نشك فى دعواهم تلك، و نحتمل جدا أن يكون كثير مما يقال فى هذا الموضوع قد صنعته يد السياسة. و لا نريد أن نسهب فى الكلام عن اختلافهم فى إسم أبى هالة، هل هو النباش بن زرارة أو عكسه، أو هند، أو مالك، و هل هو صحابى أولا. و هل تزوجته قبل عتيق. أو تزوجت عتيقا قبله «۱».

و لا فى كون هند الذى ولدته خديجة هو ابن هذا الزوج أو ذاك، فإن كان ابن عتيق، فهو انثى «۲» و إلا فهو ذكر. و أنه هل قتل مع على فى حرب الجمل، أو مات بالطاعون بالبصرة «۳».

لا، لا نريد أن نطيل بذلك، و إنما نكتفى بتسجيل الملاحظات التالية:

أولا: قال ابن شهر آشوب: «و روى أحمد البلاذرى، و أبو القاسم الكوفى فى كتابيهما، و المرتضى فى الشافى، و أبو جعفر فى التلخيص:

أن النبى «صلى اللّه عليه و آله و سلم» تزوج بها، و كانت عذراء.

يؤكد ذلك ما ذكر فى كتابى الانوار و البدع: أن رقية و زينب كانتا

---

(۱) راجع الأوائل ج ۱ هامش ص ۱۵۹.

(۲) راجع: الأوائل ج ۱ ص ۱۵۹ و قال: إن هندا هذه قد تزوجت من صيفى بن عائذ فولدت محمد بن صيفى.

(۳) للإطلاع على هذه الاختلافات و غيرها راجع المصادر التالية، و قارن بينها: الإصابة ج ۳ ص ۶۱۱/ ۶۱۲، و نسب قريش لمصعب الزبيرى ص ۲۲، و السيرة الحلبية ج ۱ ص ۱۴۰، و قاموس الرجال ج ۱۰ ص ۴۳۱، و نقل عن البلاذرى و أسد الغابة ج ۵ ص ۱۲/ ۱۳ و ۷۱، و غير ذلك ..

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۲،ص:۱۲۳

ابنتى هالة أخت خديجة «۱»».

و ثانيا: قال أبو القاسم الكوفى: «إن الاجماع من الخاص و العام، من أهل الانال (الآثار ظ) و نقلة الاخبار، على أنه لم يبق من أشراف قريش، و من ساداتهم و ذوى النجدة منهم، إلا من خطب خديجة، و رام تزويجها، فامتنعت على جميعهم من ذلك؛ فلما تزوجها رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله و سلم» غضب عليها نساء قريش و هجرنها، و قلن لها:

خطبك أشراف قريش و أمراؤهم فلم تتزوجى أحدا منهم، و تزوجت محمدا يتيم أبى طالب، فقيرا، لا مال له؟!

فكيف يجوز فى نظر أهل الفهم أن تكون خديجة، يتزوجها اعرابى من تميم، و تمتنع من سادات قريش، و أشرافها على ما وصفناه؟!

ألا يعلم ذوو التمييز و النظر: أنه من أبين المحال، و افظع المقال؟!» «۲».

و أما الرد على ذلك بأنه لا يمكن أن تبقى امرأة شريفة و جميلة هذه المدة الطويلة بلا زواج.

فليس على ما يرام، لأن ذلك لا يبرر رفضها لعظماء قريش و قبولها باعرابى من بنى تميم.

و أما كيف يتركها أبوها أو وليها بلا تزويج.

فقد قلنا: أن أباها قد قتل فى حرب الفجار، و أما وليها، فلم يكن له سلطة الأب ليجبرها على الزواج ممن أراد.

و بقاء المرأة الشريفة و الجميلة مدة بلا زواج ليس بعزيز. إذا كانت تصبر إلى أن تجد الرجل الفاضل الكامل، الذى كان يعز وجوده فى تلك الفترة.

---

(۱) مناقب آل أبى طالب ج ۱ ص ۱۵۹، و البحار: و رجال المامقانى، و قاموس الرجال كلهم عن المناقب.

(۲) الاستغاثة ج ۱ ص ۷۰.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۲،ص:۱۲۴

و ثالثا: كيف لم يعيرها زعماء قريش الذين خطبوها فردتهم، بزواجها من اعرابى بوّال على عقبيه؟!

و رابعا: لقد ذكروا: أن أول شهيد فى الاسلام ابن لخديجة رحمها اللّه، اسمه الحارث بن أبى هالة، استشهد حينما جهر رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله و سلم» بالدعوة «۱».

و نقول: إن ذلك لا يمكن قبوله، حيث قد روى بسند صحيح عندهم، عن قتادة: أن أول شهيد فى الاسلام هو سمية و الدة عمار «۲»، و كذا روى عن مجاهد «۳». و عن ابن عباس: «قتل أبو عمار و أم عمار، و هما أول قتيلين قتلا من المسلمين» «۴».

إلا أن يدعى: أن سمية كانت أول من استشهد من النساء، و الحارث كان أول من استشهد من الرجال.

و لكنه احتمال بعيد، و مخالف لظاهر كلماتهم، لا سيما و أن كلمة شهيد تطلق على الذكر و الأنثى بلفظ واحد، مثل قتيل و جريح.

فإن معنى كلمة: «شهيد»: شخص، أو ذات ثبتت لها صفة الشهادة، لأن المشتقات تدل على ذات ثبت لها وصف مّا؛ فكلمة تقى معناها:

شخص له التقوى، و قائم أيضا كذلك.

و كلمة شخص أو ذات أو نحوها تصدق على الرجل على حدة،

---

(۱) الأوائل لأبى هلال العسكرى ج ۱ ص ۳۱۱- ۳۱۲ و الإصابة ج ۱ ص ۲۹۳ عنه و عن ابن الكلبى و ابن حزم و محاضرة الأوائل ص ۴۶.

(۲) الإصابة ج ۴ ص ۳۳۵ و طبقات ابن سعد ج ۸ ص ۱۹۳ ط ليدن.

(۳) الاستيعاب هامش الإصابة ج ۴ ص ۳۳۱.

(۴) صفين للمنقرى ص ۳۲۵

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۲،ص:۱۲۵

و على المرأة كذلك، و على كليهما معا. و على هذا الاساس نفسر كلمة:

طلب العلم فريضة على كل مسلم، بحيث يشمل الرجل و المرأة معا.

أما إذا كان المشتق فيه (أل) الموصولية، مثل القائم و المتقى، فإن الأمر يصبح أوضح و أجلى، و ذلك لأن (أل) بمنزلة (الذى) فالقائم معناه الشخص الذى له القيام. فيصح أن يراد بها الرجل، و المرأة، و هما معا أيضا.

و على هذا الأساس جرت التعابير القرآنية، مثل: المتقين، المؤمنين الشاكرين الخ .. فإنها تشمل الرجل و المرأة على حد سواء.

و ذلك واضح لا يخفى.

فتلخص مما تقدم: أن هذا النص لا يدل على وجود ابن لخديجة، مادام أنه قد ثبت حصول الكذب فى جزء منه.

و لعل هذا الكذب قد جاء لأجل الإيحاء بطريق غير مباشر بأن لخديجة ولدا من النبى «صلى اللّه عليه و آله و سلم»، و أن ذلك غير قابل للنقاش- و لكن- قد قيل: لا حافظة لكذوب.

و خامسا: لقد روى أنه كانت لخديجة أخت إسمها هالة «۱»، تزوجها رجل مخزومى، فولدت له بنتا اسمها هالة، ثم خلف عليها- أى على هالة الاولى- رجل تميمى يقال له: أبو هند؛ فأولدها ولدا اسمه هند.

و كان لهذا التميمى إمرأة أخرى قد ولدت له زينب و رقية، فماتت، و مات التميمى، فلحق ولده هند بقومه، و بقيت هالة أخت خديجة و الطفلتان اللتان من التميمى و زوجته الأخرى؛ فضمتهم خديجة إليها، و بعد أن تزوجت بالرسول «صلى اللّه عليه و آله و سلم» ماتت هالة، فبقيت الطفلتان فى حجر خديجة و الرسول «صلى اللّه عليه و آله و سلم».

---

(۱) لها ذكر فى كتب الأنساب، فراجع على سبيل المثال: نسب قريش لمصعب الزبيرى.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۲،ص:۱۲۶

و كان العرب يزعمون: أن الربيبة بنت، و لأجل ذلك نسبتا إليه «صلى اللّه عليه و آله و سلم»، مع أنهما ابنتا أبى هند زوج أختها و كذلك كان الحال بالنسبة لهند نفسه «۱».

و لربما يمكن تأييد هذه الروايات بما ورد من الاختلاف فى اسم والد هند، فلتراجع المصادر التى ذكرناها ثمة.

زوجتا عثمان، هل هما بنات النبى (ص)؟!

و اننا بالاضافة إلى ما قدمناه آنفا عن الاستغاثة نذكر:

أن مما يدل على عدم كون زوجتى عثمان بنات له «صلى اللّه عليه و آله و سلم»- عدا عن كون بعض الاقوال تنافى ذلك- ما ذكره

المقدسى، عن سعيد بن أبى عروة، عن قتادة، قال: ولدت خديجة لرسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله و سلم»: عبد مناف فى الجاهلية، و ولدت له فى الاسلام غلامين، و اربع بنات: القاسم، و به كان يكنى: أبا القاسم؛ فعاش حتى مشى، ثم مات، و عبد اللّه، مات صغيرا. و أم كلثوم. و زينب. و رقية.

و فاطمة «۲».

و قال القسطلانى بعد كلام له: «و قيل: ولد له ولد قبل المبعث، يقال له: عبد مناف، فيكونون على هذا اثنى عشر، و كلهم سوى هذا ولد فى الاسلام بعد المبعث» «۳».

كما أن بعضهم ينص على أنه قد صح عنده: أن رقية كانت أصغر

---

(۱) راجع: الاستغاثة ج ۱ ص ۶۸- ۶۹، و رسالة حول بنات النبى (ص) مطبوعة ط حجرية فى آخر مكارم الأخلاق ص ۶.

(۲) البدء و التاريخ ج ۵ ص ۱۶ و ج ۴ ص ۱۳۹.

(۳) المواهب اللدنية ج ۱ ص ۱۹۶.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۲،ص:۱۲۷

من الكل حتى من فاطمة عليها السلام «۱».

و بعد هذا، فكيف نصدق قول من يقول: انهما تزوجتا فى الجاهلية من ابنى أبى لهب، ثم جاء الاسلام ففارقاهما.

يقول المقدسى: «فزوّج رسول اللّه رقية عثمان بن عفان، و هاجرت معه فى الهجرتين إلى الحبشة، و أسقطت فى الهجرة الأولى علقة فى السفينة» «۲».

نعم، كيف نصدق هذا، و نحن نعلم: أن الهجرة الأولى إلى الحبشة كانت بعد البعثة بخمس سنين، فكيف تكون رقية قد تزوجت قبل البعثة بإبن أبى لهب، ثم فارقها ليتزوجها عثمان، ثم تحمل منه قبل الهجرة إلى الحبشة، و هى انما ولدت بعد البعثة؟! إن ذلك لعجيب!! و عجيب حقا!!.

و ثانيا: لقد ذكرت بعض الروايات: أن أبا لهب قد أمر ولديه بطلاق رقية و أم كلثوم بعد نزول سورة «تبت يدا أبى لهب» «۳». مع أنهم يقولون:

إن هذه السورة قد نزلت حينما كان النبى و المسلمون محصورين فى الشعب «۴». و قد كان ذلك بعد الهجرة الأولى إلى الحبشة.

---

(۱) راجع: الإصابة ج ۴ ص ۳۰۴ عن الجرجانى، و الاستيعاب بهامش الإصابة ج ۴ ص ۲۹۹، ۲۸۲. و فى ص ۲۸۱ عن الزبير بن بكار؛ أن عبد اللّه، ثم أم كلثوم، ثم فاطمة، ثم رقية كلهم ولدوا بعد الإسلام، و كذا فى البداية و النهاية ج ۲ ص ۲۹۴. و نسب قريش صفحة ۲۱.

(۲) البدء و التاريخ ج ۵ ص ۱۷ و تهذيب تاريخ دمشق ج ۱ ص ۲۹۸.

(۳) نسب قريش لمصعب الزبيرى ص ۲۲ و تهذيب تاريخ دمشق ج ۱ ص ۲۹۳ و ۲۹۸ و أسد الغابة ج ۵ ص ۴۵۶ و الاستيعاب (مطبوع بهامش الإصابة) ج ۴ ص ۲۹۹ و الدر المنثور ج ۶ ص ۴۰۹ عن الطبرانى.

(۴) الدر المنثور ج ۶ ص ۴۰۸ عن أبى نعيم فى الدلائل.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۲،ص:۱۲۸

و ثالثا: لقد روى: أن خديجة ولدت للنبى عبد اللّه، ثم أبطأ عليها الولد، فبينما رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله و سلم» يكلّم رجلا، و العاص بن وائل ينظر إليه، إذ مرّ رجل فسأل العاص عن النبى «صلى اللّه عليه و آله و سلم» و قال: من هذا؟

قال: هذا الأبتر.

فأنزل اللّه: (إِنَّ شانِئَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ) «۱».

فظاهر الروايـة: أنها حين ولـدت عبد اللّه لم تكن قد ولدت غيره، أو أن من ولدتهم ماتوا جميعا حتى لم يعد للنبى أولاد أصـلا. مع أن رقيـة كانت عند عثمان قبل ولادة فاطمة، فلا يصح وصف العاص للنبى «صلى اللّه عليه و آله و سلم» بالأبتر فتنزل الآية.

إلا أن يقال: إن العرب لم تكن تهتم بالبنات، بل الميزان عندهم هو خصوص الذكور، و لأجل ذلك وصفه العاص بالأبتر.

و رابعا: قـد تقدم أن هناك من يقول: إن خديجة إنما تزوجت رسول اللّه «صـلى اللّه عليه و آله و سـلم» قبل البعثة بعشـر أو بثلاث، أو بخمس سنوات، فكيف تكون رقية و زينب قد ولدتا من خديجة، و تزوجتا قبل البعثة؟!.

خامسا: ان الدولابى يقول: إن عثمان كان قد تزوج رقية فى الجاهلية «۲».

و ذلك كله يؤكد و يؤيد: أن رقية التى تزوجها عثمان هى غير رقية التى يدعى أنها بنت الرسول «صـلى اللّه عليه و آله و سلم»، و التى يقال:

---

(۱) راجع تهذيب تاريخ دمشق ج ۱ ص ۲۹۴ و الدر المنثور ج ۶ ص ۴۰۴.

(۲) راجع: المواهب اللدنية ج ۱ ص ۱۹۷.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۲،ص:۱۲۹

إنها ولـدت بعـد البعثـة، و أن التى تزوجها عثمان هى ربيبـة النبى «صـلى اللّه عليه و آله و سـلم»، لا إبنته. و قد كانت العرب تطلق على ربيبة الرجل أنها ابنته كما قلنا: و كذلك يقال بالنسبة لأم كلثوم، لأن الفرض أنها قد ولدت بعد البعثة أيضا.

هل زينب بنت الرسول (ص) أم ربيبته؟:

و أمـا عن زينب فلا نستطيع أن نطمئن إلى أنهـا كـانت بنت رسول اللّه «صـلى اللّه عليه و آله و سـلم» أيضا، لأننا بالاضافـة إلى أن ما قدمناه آنفا حول زوجتى عثمان، كله بعينه جار هنا إذا كان أبو العاص بن الربيع قد تزوجها قبل البعثة- نشير إلى ما يلى:

۱- قال مغلطاى عن خديجـة: «ثم خلف عليها أبو هالـة النباش بن زرارة فولـدت له هندا، و الحرث، و زينب، و كانت تكنى أم هند، و تدعى الطاهرة» «۱».

۲- و عن عمرو بن دينار: أن حسن بن محمـد بن على أخبره: أن أبا العاص بن الربيع بن عبـد العزى بن عبـد شـمس بن عبـد مناف، و كان زوجا لبنت خديجة فجىء به للنبى «صـلى اللّه عليه و آله و سـلم» فى قدّ، فحلّته زينب بنت النبى «صلى اللّه عليه و آله و سلم» الخ «۲».

فالتعبير أولا ببنت خديجـة يشـير أنها لم تكن ابنته «صـلى اللّه عليه و آله و سـلم» و إن كان عاد فذكر أنها بنت النبى؛ فلا يبعد أنه يريد بنوتها له بالتربيـة، و إلا فلماذا خصـها أولا بأنها بنت خديجـة؟! فنسـبتها إلى خديجة أولا يكون قرينة على ارادة بنوتها للنبى «صـلى اللّه عليه و آله و سلم» بالتربية.

---

(۱) سيرة مغلطاى ص ۱۲.

(۲) المصنف للحافظ عبد الرزاق ج ۵ ص ۲۲۴.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۲،ص:۱۳۰

۳- و يذكر الشـيخ محمد حسن آل ياسين عن زينب أن: بعض المصادر تقول: إنها ولدت و عمره «صلى اللّه عليه و آله و سلم» ثلاثين

سنة «۱»، و تزوجها أبو العاص بن الربيع قبل البعثة، و ولدت له عليا مات صغيرا، و امامة، اسلمت حين اسلمت أمها أول البعثة النبوية «۲».

و ذلك غير معقول، فإنه لا يمكن لبنت فى العاشرة أن تتزوج، و يولد لها بنت، و تكبر تلك البنت حتى تسلم مع أمها فى أول البعثة؛ و هذا حيث لا تزال أمها فى العاشرة من عمرها «۳».

و لكن كلام هذا الباحث غير متين، لأن المقصود بالتى أسلمت هى و أمها هو زينب و خديجة، و ليس المقصود هو أمامة و زينب و ذلك ظاهر لا يخفى.

و بالنسبة لأم كلثوم فإن الروايات تذكر: أن عليا حين هاجر اصطحب معه خصوص الفواطم، و أم أيمن، و جماعة من ضعفاء المؤمنين «۴».

و ليست أم كلثوم بينهم؛ فهل هاجرت قبل ذلك، أو بعده وحدها؟ و كيف لم يصطحبها على «عليه السلام» معه ليحميها من كيد قريش؟ و لماذا؟

و لماذا؟!.

و بعد ما تقدم نستطيع أن نقول: إننا لا يمكن أن نطمئن بشكل نهائى إلى ما يقال: من أن عثمان قد تزوج ابنتى رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله و سلم» للاحتمال القوى بأن تكونا ربيبتيه. و كذا بالنسبة لزينب زوجة أبى العاص.

---

(۱) أسد الغابة ج ۵ ص ۴۶۷، و نهاية الارب ج ۱۸ ص ۲۱۱، و الاستيعاب هامش الإصابة ج ۴ ص ۳۱۱.

(۲) راجع: كتاب النبوة هامش ص ۶۵.

(۳) راجع هامش كتاب النبوة للشيخ محمد حسن آل ياسين ص ۶۵.

(۴) سيرة المصطفى ص ۲۵۹. و السيرة الحلبية ج ۲ ص ۵۳.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۲،ص:۱۳۱

و على هذا فيصح أن يقال: لمن تزوج ربيبة لشخص: أن ذلك الشخص قد صاهره، و نال درجة من القرب منه، و على هذا فلا منافاة بين ما ذكرنا، و بين قول أمير المؤمنين «عليه السلام» لعثمان: «و قد نلت من صهره ما لم ينالا» «۱».

لكن يبقى: أن ذلك الصهر هل قام بواجباته تجاه ذلك الذى أكرمه بتزويج ربيبته له؟! فهذا بحث آخر، و له مجال آخر، و ستأتى بعض الاشارات لما كان من عثمان فى حق زوجتيه ربيبتى النبى الاكرم «صلى اللّه عليه و آله و سلم».

و مهما يكن من أمر فقد طبع لنا كتاب باسم بنات النبى «صلى اللّه عليه و آله و سلم» أم ربائبه، فليرجع اليه من أراد التفصيل.

منافسون لعلى:

و لعل اصرار الآخرين على بنوتهن له «صلى اللّه عليه و آله و سلم»، و ارسالهم له إرسال المسلمات، يهدف إلى إيجاد منافسين لعلى فى فضائله الخارجية، و لذلك أطلقوا على عثمان لقب «ذى النورين»!! هذا، مع العلم بأن سيرته لم تكن مع هاتين البنتين على ما يرام، كما سوف نشير إليه حين الحديث عن وفاتهما فى الجزء الرابع من هذا الكتاب إن شاء اللّه تعالى.

و يلاحظ أيضا: روايتهم الموضوعة حول زواج على ببنت أبى جهل، و التى مدح فيها رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله و سلم» صهر أبى

---

(۱) نهج البلاغة ج ۲ ص ۸۵ و أنساب الأشراف ج ۵ ص ۶۰ و العقد الفريد ج ۳ ص ۳۷۶ و الجمل ص ۱۰۰ عن المدائنى و الغدير ج

۹ ص ۷۴. عن بعض من تقدم و عن تاريخ الأمم و الملوك ج ۵ ص ۹۶ و عن الكامل فى التاريخ ج ۳ ص ۶۳ و عن البداية و النهاية ج ۷ ص ۱۶۸.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۲،ص:۱۳۲

العاص لرسول اللّه، تعريضا بعلى «عليه السلام» حيث كان فى مقام تحذيره، و الإزراء عليه. و سيأتى أيضا فى الجزء الرابع من هذا الكتاب بعض الكلام عن هذا الموضوع إن شاء اللّه تعالى.

خؤولة هند بن أبى هالة للامام الحسن (ع):

و قبل أن نترك الحديث حول هذا الموضوع إلى غيره، نسجل هنا تحفظا على ما يقال من أن الامام الحسن «عليه السلام» قال: «سألت خالى هند بن أبى هالة عن حلية رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله و سلم»، و كان وصافا، و أنا أرجو أن يصف لى منها شيئا أتعلق به، قال: كان رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله و سلم» فخما مفخما الخ».

قال الحسن فكتمها (فكتمتها. صح) الحسين بن على زمانا، ثم حدثته، فوجدته قد سبقنى إليه، فسأل أباه عن مدخل رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله و سلم» و مخرجه، و مجلسه، و شكله، فلم يدع منه شيئا، قال الحسين سألت أبى الخ «۱».

أقول:

أولا: سند هذا الحديث هو جميع العجلى، عن رجل من بنى تميم، من ولد أبى هالة، زوج خديجة أم المؤمنين رضى اللّه عنها، يكنى أبا عبد اللّه، عن ابن لأبى هالة، عن الحسن بن على الخ «۲».

و نحن فى غنى عن التكلم حول هذا السند، فإن الأمر فيه بيّن.

و ثانيا: قد تقدم الإختلاف فى كون هند المتولد من خديجة، هل هو

---

(۱) راجع التراتيب الإدارية ج ۲ ص ۴۴۸ و ۴۴۹ فما بعدها و دلائل النبوة ج ۲ ص ۲۸۶ ط دار الكتب العلمية.

(۲) المصدر السابق ص ۴۴۷.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۲،ص:۱۳۳

ذكر أم انثى، و أشرنا إلى اختلافهم فى أبيه من هو فيما تقدم؟!.

و ثالثا: إن الامام الحسن «عليه السلام» نفسه قد رأى النبى «صلى اللّه عليه و آله و سلم» بنفسه، و عاش معه عدة سنوات، و قد بايعه و شهد له على بعض عهوده، و خرج معه إلى مباهلة النجرانيين و والخ.

فلماذا يشتهى أن يصف هند من رسول اللّه شيئا يتعلق به. فهل هو قد نسى جده يا ترى؟. و إذا كان قد نسى حقا، فلماذا لا يسأل أباه و هو أفصح العرب؟ و أعلم الأمة، الذى رباه النبى «صلى اللّه عليه و آله و سلم» فى حجره، و كان يعرف عنه كل شىء، مما دق و جلّ.

أم يعقل أن يكون هند مطلعا على أحوال النبى «صلى اللّه عليه و آله و سلم» أكثر من على أمير المؤمنين عليه الصلاة و السلام؟!.

على أننا لم نجد فيما بين أيدينا من نصوص، حتى المكذوب منها ما يشير إلى أن هندا كان يعيش مع رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله و سلم»، أو بالقرب منه، أو أنه كان يحضر مجالسه، أو نحو ذلك، رغم أننا نسمع الكثير عن غيره ممن كانوا يأتون إلى مجلس النبى «صلى اللّه عليه و آله و سلم» بين حين و آخر.

و رابعا: لا ندرى لماذا كتم الحسن «عليه السلام» أخاه هذا الأمر.

مع أننا لا نعرف عنه أنه كان يستأثر لنفسه على أخيه فى أمور كهذه.

خامسا: إن ما تقدم كله يدفع هذا الحديث و يلقى عليه ظلالا من الريبة و الشك.

سادسا: لا ندرى، من هو ابن أبى هالة الراوى عن الامام الحسن «عليه السلام»؛ فهل هو من أبناء خديجة أيضا؟! فإن كان الجواب بالإيجاب، فلماذا لم يحدثنا عنه التاريخ.

و إن كان هو ابن لأبى هالة من إمرأة أخرى غير خديجة. فهذا ما لم

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۲،ص:۱۳۴

يذكره التاريخ لنا أيضا، و لا أشارت إليه كتب الأنساب، و لا ذكر فى عداد الرواة، و لا فى كتب الرجال!!

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۲،ص:۱۳۵

الفصل الرابع: حتى البعثة

اشارة

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۲،ص:۱۳۷

حضور النبى (ص) حرب الفجار:

و يذكر المؤرخون: أن حربا قد هاجت بين قيس من جهة، و قريش و كنانة من جهة أخرى. فى الأشهر الحرم- و هى أشهر الحج، و رجب معها- و لذلك سميت حرب الفجار.

و يقال إنه «صلى اللّه عليه و آله و سلم» قد حضر بعض أيامها، و شارك فيها فعلا، بنحو من المشاركة.

و لكننا بدورنا لا نستطيع أن نؤكد صحة ذلك، بل و نشك كثيرا؛ فيه و ذلك لأمور:

الأول: لقد وقعت حرب الفجار فى الأشهر الحرم، فى رجب. و لا نرى مبررا لأن ينتهك أبو طالب و معه الرسول «صلى اللّه عليه و آله و سلم» حرمة الأشهر الحرم، كما يظهر لمن راجع سيرتهما و حياتهما، و مدى تقيدهما بمثل هذه الأمور؛ فإنهما كانا مسلمين «۱»، بل لقد كان أبو طالب مستودعا للوصايا «۲»، كما ورد فى بعض الأخبار فى الكافى، بالإضافة إلى

---

(۱) راجع: البحار: ج ۱۵ ص ۱۱۷، و ستأتى مصادر أخرى فى فصل: بحوث تسبق السيرة، حين الكلام حول إيمان آباء النبى صلى اللّه عليه و آله و سلم.

(۲) الغدير: ج ۷ ص ۳۹۴، و الكافى: ج ۱ ص ۴۴۵، و الدر المنثور للعاملى: ج ۱ ص ۴۹.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۲،ص:۱۳۸

نصوص أخرى تدل على عظمته و ثبات قدمه فى الدين، فراجع ما ذكر فى الغدير، و غيره من الكتب المعدة للحديث عن أبى طالب «عليه السلام».

إلا إذا وجّهت المشاركة: بأن حرب الفجار قد وقعت فى أشهر النسيء، أو فى شعبان أو شوال، و كان سببها فى الأشهر الحرم «۱».

و لكنه توجيه لا يعتمد على أى سند تاريخى؛ فلا مجال للتعويل عليه. بالإضافة إلى ما سيأتى.

الثانى: قال ابن واضح المعروف باليعقوبى: «و قد روى أن أبا طالب منع أن يكون فيها (أى فى حرب الفجار) أحد من بنى هاشم، و قال: هذا ظلم، و عدوان، و قطيعة رحم، و استحلال للشهر الحرام، و لا أحضره، و لا أحد من أهلى؛ فأخرج الزبير بن عبد المطلب مستكرها.

و قال عبد اللّه بن جدعان التيمى، و حرب بن أمية: لا نحضر أمرا تغيب عنه بنو هاشم» «۲».

الثالث: إختلاف الروايات حول الدور الذى أداه النبى «صلى اللّه عليه و آله و سلم» فى هذه الحرب؛ فبعضهم يروى: أن عمله «صلى اللّه عليه و آله و سلم» قد اقتصر على مناولة أعمامه النبل، و ردّ نبل عدوهم عليهم، و حفظ متاعهم «۳».

و آخر يروى: أنه قد رمى فيها برميات، ما يحب أنه لم يكن قد

---

(۱) راجع السيرة الحلبية ج ۱ ص ۱۲۸، فإنه قد ذكر أن سبب الفجار قد كان فى الأشهر الحرم أما نفس الحرب فكانت فى شعبان. و أقول: و لكن ما معنى تسميتها حينئذ بحرب الفجار؟ .. هذا بالإضافة إلى تصريح اليعقوبى فى تاريخه بأن حرب الفجار كانت فى رجب فراجع.

(۲) تاريخ اليعقوبى ط صادر ج ۲ ص ۱۵.

(۳) سيرة ابن هشام ج ۱ ص ۱۹۸، و تاريخ الخميس ج ۱ ص ۲۵۹.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۲،ص:۱۳۹

رماها «۱».

و ثالث يروى: أنه طعن أبا براء ملاعب الأسنة فصرعه «۲» مع أنهم يقولون: إن عمره حينئذ كان أربع عشرة سنة! «۳»، أو أنه كان حينئذ غلاما «۴». و لا ندرى إن كانت العرب تسمح للغلام بخوض المعارك و الحروب، أولا. و لا سيما بالنسبة إلى محمد «صلى اللّه عليه و آله و سلم»، الولد المتميز و العزيز جدا على عمه أبى طالب.

بل نجد البعض يناقض نفسه، فيقول: إن النبى «صلى اللّه عليه و آله و سلم» قد ولد عام الفيل، و أنه حضر الفجار و عمره أربع عشرة سنة، ثم يقول فى آخر كلامه: إن حرب الفجار كانت بعد عام الفيل بعشرين سنة «۵».

و نشير إلى تناقض آخر هنا، و هو أن الكلام الذى نقلناه فى الأمر الثانى، عن اليعقوبى ينص على أن حرب بن أمية قد تغيب عن هذه الحرب، بينما نجد الروايات الأخرى تنص على أنه كان قد حضرها، و كان هو قائد قريش و كنانة.

سرّ التلاعب فى الروايات هنا:

و قد لفت نظرنا هذا التناقض الأخير، إذ لو كان الإختلاف فى رجل عادى من سائر أفراد الجيش، هذا يقول: حضر، و ذاك يقول: لم يحضر؛

---

(۱) السيرة النبوية لدحلان ج ۱ ص ۵۱، و السيرة الحلبية ج ۱ ص ۱۲۷.

(۲) المصدران المتقدمان.

(۳) المصادر الأربعة المتقدمة إلا أن صفحة ابن هشام هى ۱۹۵.

(۴) تاريخ اليعقوبى ج ۲ ص ۱۶ ط صادر.

(۵) تاريخ الخميس ج ۱ ص ۲۵۹، و سيرة ابن هشام ج ۱ ص ۱۹۵ و ۱۹۸.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۲،ص:۱۴۰

لكان يمكن أن تلتمس بعض المبررات لاختلاف كهذا!! و أنه ربما يقال لا تعمد فى المقام!!.

ولكن إذا كان هذا يقول: كان فلان على رأس الجيش، و ذاك يقول: لم يحضر أصلا؛ فلا يمكن إلا أن يكون ثمة تعمد للكذب فى قضية كهذه.

و لعل الهدف هو ابعاد حرب بن أمية عن حرب فيها ظلم، و عدوان، و قطيعة رحم، و فى الأشهر الحرم، و لو بالمخالفة لكل

المؤرخين، لأن حرب بن أمية هو من تهتم الدولة برفعة شأنه، و تنزيه مقامه، و لو عن طريق الدجل و التزوير!!.

أما النبى «صلى اللّه عليه و آله و سلم»؛ فقد تقدم أن الخطة الملعونة كانت تهدف إلى عكس ذلك؛ و لذلك يلاحظ هنا: تعمد جعل النبى «صلى اللّه عليه و آله و سلم» حتى بعد نبوته يظهر على أنه منسجم مع مشاركته فى حرب الفجار فى الأشهر الحرم، و التى فيها ظلم و عدوان، و قطيعة رحم، و استحلال للشهر الحرام، حتى ليقول: إنه رمى فيها برميات، ما يجب أنه لم يكن قد رماها!!.

حلف الفضول:

و بعد منصرف قريش من حرب الفجار دعا الزبير بن عبد المطلب «۱» إلى حلف الفضول، و عقد الإجتماع فى دار عبد اللّه بن جدعان، و غمسوا أيديهم فى ماء زمزم، و تحالفوا و تعاقدوا على نصرة المظلوم، و التأسى بالمعاش، و النهى عن المنكر، و كان أشرف حلف.

---

(۱) هو غير الزبير بن العوام، الذى حارب أمير المؤمنين عليه السلام فى وقعه الجمل، و قتل و هو منهزم.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۲،ص:۱۴۱

و المتحالفون على ذلك هم: بنو هاشم، و بنو المطلب، و بنو أسد بن عبد العزى، و زهرة، و تيم «۱».

و أنكر البعض أن يكون بنو أسد بن عبد العزى فى حلف الفضول «۲»، و قالوا: إن عبد اللّه بن الزبير قد ادّعى ذلك لهم فى الإسلام «۳».

و قد حضر هذا الحلف نبينا الأعظم «صلى اللّه عليه و آله و سلم»، و أثنى عليه بعد نبوته، و أمضاه؛ فقد روى أنه «صلى اللّه عليه و آله و سلم» قال: ما أحبّ أن لى بحلف حضرته فى دار ابن جدعان حمر النعم، و لو دعيت به لأجبت «۴». أو ما هو قريب من هذا.

سبب هذا الحلف:

و سبب هذا الحلف: أن رجلا من زبيد قدم مكة ببضاعة، فاشتراها منه العاص بن وائل؛ فحبس عنه حقه؛ فاستعدى عليه الزبيدى الأحلاف، الذين كانوا يسمون: لعقة الدم، لأنهم حين تحالفوا غمسوا أيديهم بالدم على خلاف المطيبين المشار إليهم آنفا، الذين هم اصحاب حلف الفضول أيضا. و الأحلاف هم: عبد الدار، و مخزوم، و جمح، و سهم،

---

(۱) راجع: شرح نهج البلاغة للمعتزلى ج ۱۴ ص ۱۲۹، و نسب قريش لمصعب ص ۳۸۳ فإنه قد شرح كلا الحلفين: حلف الأحلاف، لعقة الدم، و حلف المطيبين.

و البداية و النهاية ج ۲ ص ۲۹۳، و الأغانى: ج ۱۶ ص ۶۶ و ۶۵.

(۲) الأغانى: ج ۱۶ ص ۶۶.

(۳) الأغانى: ج ۱۶ ص ۷۰.

(۴) أعيان الشيعة ج ۲ ص ۱۳، و سيرة ابن هشام ج ۱ ص ۱۴۲، و البداية و النهاية ج ۲ ص ۲۹۳ و ۲۹۱، و تاريخ الخميس ج ۱ ص ۲۶۱، و السيرة الحلبية ج ۱ ص ۱۳۱، و السيرة النبوية لدحلان ج ۱ ص ۵۳ و الأغانى: ج ۱۶ ص ۶۶ و ۶۷.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۲،ص:۱۴۲

و عدى بن كعب.

فأبى الأحلاف معونة الزبيدى على العاص بن وائل، و انتهروه، و ذلك لما كان يتمتع به العاص هذا من نفوذ، و سيأتى أنه قد أنقذ

عمر من براثن أهل مكة.

فلما رأى الزبيدى الشر، صعد على أبى قبيس، و استغاث. فقام الزبير بن عبد المطلب، و دعا إلى الحلف المذكور؛ فعقد؛ ثم مشوا إلى العاص، و انتزعوا منه سلعة الزبيدى؛ فدفعوها إليه «۱».

بنو أمية و حلف الفضول:

و أمّا ما ذكره أبو هريرة من أن بنى أمية قد كانوا فى حلف الفضول؛ فهو ما لم يتابعه عليه أحد، و أنكره غير واحد من المؤرخين «۲».

و كذا قول البعض: إن أبا سفيان، و العباس بن عبد المطلب، هما اللذان دعيا إلى هذا الحلف «۳».

لكن رواية الأغانى ليست صريحة فى العباس بن عبد المطلب، فلعل المراد: العباس بن مرداس السّلمى، حيث إنه كان يتحدث عنه أولا؛ ثم جاء بهذه الرواية بعده ..

و لكن يرد عليه: أن العباس بن مرداس لا شأن له فى هذا الأمر.

---

(۱) البداية و النهاية ج ۲ ص ۲۹۱، ۲۹۲ و السيرة الحلبية ج ۱ ص ۱۳۲، و السيرة النبوية لدحلان ج ۱ ص ۵۳.

(۲) البداية و النهاية ج ۲ ص ۲۹۱، و السيرة الحلبية ج ۱ ص ۱۳۱ و السيرة النبوية لدحلان ج ۱ ص ۵۳، و السنن الكبرى للبيهقى.

(۳) السيرة الحلبية ج ۱ ص ۱۳۲ و السيرة النبوية لدحلان ج ۱ ص ۵۳، و كان سن العباس حينئذ يساعد على دعوة كهذه لأن عمره حينئذ كان لا يزيد على ثمانية عشر عاما، كما يفهم من تاريخ عقد حلف الفضول ..

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۲،ص:۱۴۳

و أما إرادة العباس بن عبد المطلب و أبى سفيان فلا يمكن قبولها، و ذلك لأمور:

أولا: إن هذا الحلف إنما كان ضد الأمويين، و كان سببه العاص بن وائل السهمى، حليف الأمويين، و والد عمرو بن العاص. فكيف يشارك أبو سفيان فيه، فضلا عن يكون هو الداعى له؟!.

لا سيما و أنه قد تقدم: أن الأحلاف و منهم بنو أمية قد طردوا الزبيدى حينما استجار بهم، و تاريخ أبى سفيان و أخلاقياته لا تساعد على موقف كهذا منه. الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ج۲ ۱۴۳ بنو أمية و حلف الفضول: ..... ص : ۱۴۲

أضف إلى ذلك: أن أبا سفيان و العباس، لم يكونا مؤهلين من حيث السنّ و النفوذ و الإعتبار للقيام بأمر كهذا، كما أشير إليه فى الهامش.

ثانيا: ورد أن محمد بن جبير بن مطعم، قدم على عبد الملك، حين قتل ابن الزبير، فقال له عبد الملك: يا أبا سعيد، ألم نكن نحن و أنتم- يعنى عبد شمس بن عبد مناف، و بنى نوفل بن عبد مناف- فى حلف الفضول؟! قال: أنت أعلم. قال: لتخبرنّى يا أبا سعيد بالحق من ذلك.

فقال: لا و اللّه، لقد خرجنا نحن و أنتم منه. قال: صدقت. و زاد البعض (و هو المعتزلى فى جواب ابن جبير: و ما كانت يدنا و يدكم إلا جميعا فى الجاهلية و الإسلام) «۱».

و ثالثا: كان عتبة بن ربيعة بن عبد شمس يقول: لو أن رجلا وحده خرج من قومه لخرجت من عبد شمس حتى أدخل فى حلف الفضول،

---

(۱) سيرة ابن هشام ج ۱ ص ۱۴۳، و شرح النهج للمعتزلى ج ۱۵ ص ۲۲۶ عن الزبير بن بكار، و الأغانى: ج ۱۶ ص ۶۸ و ۷۰، لكن فى ص ۶۹: أن ذلك قد كان بين معاوية و جبير بن مطعم.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۲،ص:۱۴۴

و ليس عبد شمس فى حلف الفضول «۱».

و رابعا: مجموعة قضايا تدل على أن الأمويين ما كانوا فى حلف الفضول، و على أن الإسلام قد اعترف بهذا الحلف و أمضاه. و نذكر منها:

ألف: أنه كان الحسين «عليه السلام»، و الوليد بن عتبة الأموى أمير المدينة من قبل عمه معاوية منازعة فى مال متعلق بالحسين، فكأنّ الوليد تحامل على الحسين فى حقه لسلطانه، فقال الحسين: أحلف باللّه، لتنصفنى من حقى، أو لآخذن سيفى، ثم لأقومنّ فى مسجد رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله و سلم»، ثم لأدعونّ بحلف الفضول.

فاستجاب للحسين جماعة، منهم: عبد اللّه بن الزبير، و هو من أسد بن عبد العزى، و المسور بن مخرمة الزهرى، و عبد الرحمان بن عثمان التيمى؛ فلما بلغ الوليد ذلك أنصف الحسين من حقه حتى رضى «۲».

ب: و حسب نص أبى هلال العسكرى: «كان بين الحسين «عليه السلام» و بين معاوية كلام فى أرض للحسين. فقال الحسين لإبن الزبير:

خيّره فى ثلاثة، و الرابعة الصيلم: أن يجعلك أو ابن عمر بينى و بينه. أو يقر بحقى، ثم يسألنى أن أهبه له. أو يشتريه منى؛ فإن أبى- فو الذى نفسى بيده- لأهتفن بحلف الفضول الخ «۳».

ج: و عند أبى الفرج رواية جاء فى آخرها: أنه حينما أظهر معاوية إنزعاجه من عدم زيارة الإمام الحسن المجتبى «عليه السلام» له، و هو فى

---

(۱) الأغانى: ج ۱۶ ص ۶۶ و ۷۰.

(۲) سيرة ابن هشام ج ۱ ص ۱۴۲ و السيرة الحلبية ج ۱ ص ۱۳۲، و الكامل لابن الأثير ط صادر ج ۲ ص ۴۲، و البداية و النهاية ج ۲ ص ۲۹۳ و السيرة النبوية لدحلان ج ۱ ص ۵۳ عن سيرة الحافظ الدمياطى و أنساب الأشراف ج ۲ ص ۱۴، و الأغانى:

ج ۱۶ ص ۶۸.

(۳) الأوائل ج ۱ ص ۷۳/ ۷۴. و الأغانى: ج ۱۶ ص ۶۸.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۲،ص:۱۴۵

المدينة، أغراه به ابن الزبير، فلم يستجب له معاوية.

فقال له إبن الزبير: «أما و اللّه إنى و إياه ليد عليك بحلف الفضول.

فقال معاوية: من أنت؟! لا أعرض لك، و حلف الفضول و اللّه إما الخ» «۱».

فهذه النصوص تدل على قبول الأئمة «عليه السلام» بحلف الفضول و إمضائهم له، تبعا لرسول اللّه فى إمضائه له حسبما تقدم.

كما و تدل و لا سيما النص الأخير منها على أن معاوية و قومه ما كانوا فى حلف الفضول، الذى يعرّض له به إبن الزبير. كما أن مناداة الحسين «عليه السلام» بهذا الحلف، و استجابة الزبيريين، و غيرهم له ضد الأمويين، يشير إلى ذلك أيضا.

و بعد كل ما تقدم، فإن ما يريد أبو هريرة، و من هم على شاكلته إثباته، تزلّفا و تقربا لأسيادهم من الحكام الظالمين، مما يكذبه كل أقوال المؤرخين، و كل الوقائع التاريخية.

و لكن حرص أبى هريرة على أن لا تفوت بنى أمية فضيلة كهذه، هو الذى دفعه إلى إدخال الأمويين فى أشرف حلف فى العرب، و الذى يوافق مبادىء الاسلام و شرائعه، و ينسجم مع الفطرة السليمة و العقل القويم.

ملاحظة:

و يلاحظ اخيرا. أننا نجدهم يروون عن النبى «صلى اللّه عليه و آله و سلم» ما يدل على لزوم التمسك بأحلاف الجاهلية «۲».

---

(۱) الأغانى ط ساسى ج ۸ ص ۱۰۸.

(۲) المصنف للحافظ عبد الرزاق ج ۱۰ ص ۳۰۶/ ۳۷۰ و فى هامشه عن مسلم و الترمذى ج ۴ ص ۱۴۶ ط المكتبة الإسلامية و عن سعيد بن منصور و عن فتح البارى ج ۸ ص ۱۷۳ و الدارمى.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۲،ص:۱۴۶

و هى دعوة مغرضة و خبيثة، إلا- إذا أريد منها خصوص حلف الفضول، الذى امضاه الاسلام. أو أى حلف آخر تنسجم اهدافه مع الاسلام، كالحلف الذى عقده عبد المطلب مع جماعة خزاعة، فلما قتلت قريش جماعة من خزاعة، استنصروا النبى «صلى اللّه عليه و آله و سلم» استنادا إلى ذلك الحلف، و كان فتح مكة لذلك «۱».

ملاحظات هامة على حلف الفضول:

۱- إن دعوة الحسين «عليه السلام» بحلف الفضول، انما كانت منه «عليه السلام» لأنه كان يعلم من خلال دراسته للاوضاع و للنفسيات أن هذه الدعوة سوف لن تنتهى إلى حد الخطر الاقصى. و قد كان يهدف منها إلى تعريف الناس على واقع و حقيقة بنى أمية، و انهم ظالمون عتاة، لا- يهمهم إلا- الدنيا و حطامها و أن الهاشميين، و أهل البيت هم الذين يهتمون بالحفاظ على العهود و المواثيق التى تهدف إلى نصرة المظلوم، و الدفاع عن الحق.

و قد خاف معاوية من هذا الأمر بالذات، فاستسلم للحسين «عليه السلام»، و ارجع الحق إلى أصحابه.

كما أن هذه الدعوة قد كانت فى ظرف حرج، لا يمكن اللجوء فيه إلى أية وسيلة أخرى غيرها، حتى و لا وسيلة الثورة العامة ضد تلك الطغمة الفاسدة، إذ أن إعلانه للثورة العامة حينئذ، و فى مناسبة كهذه، لسوف يفسر على أنه لدوافع شخصية، و لا علاقة له بالدفاع عن الدين و الأمة لا من قريب و لا من بعيد.

و عليه فلو استشهد الامام الحسين «عليه السلام» و الحالة هذه فى

---

(۱) سيأتى الحديث عن ذلك فى فتح مكة إن شاء اللّه تعالى.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۲،ص:۱۴۷

هذه المناسبة، فسوف لا يكون لقتله أية فائدة تعود على الدين و الأمة. بل ربما يكون ضرر ذلك اكثر من نفعه؛ و ذلك عندما يلاحق ذلك معاوية الداهية بحملة دعائية مغرضة، يقضى فيها على الأمل الوحيد للأمة، و يفصل المجتمع المسلم نفسيا و فكريا عن أهل البيت «عليه السلام» بشكل عام، و عن أئمتهم بصورة خاصّة.

و ذلك لأن الظروف التى أوصلت معاوية إلى الحكم، و إن كانت واضحة لدى كثيرين من أهل العراق و الحجاز، إلا أن أهل الشام، الذين لم يعرفوا إلا الاسلام السفيانى، إسلام المصالح و الأهواء، الاسلام الذى يستحل كل شىء فى سبيل الوصول إلى الأهداف الشخصية، و اللذات الفردية- نعم- إن أهل الشام الذين لم يتربوا تربية اسلامية صحيحة، و لا عرفوا عليا و أهل البيت على حقيقتهم، و لا عرفوا إسلام على، و لا مبادىء على، و لا اهداف على «عليه السلام»، بل كان الأمويون يظهرون لهم:

أنهم هم قرابة النبى «صلى اللّه عليه و آله و سلم» و هم أهل بيته، حتى ليدعى عشرة من أمرائهم و قوادهم: أنهم ما كانوا يعرفون للنبى «صلى اللّه عليه و آله و سلم» أهل بيت غير بنى أمية «۱».

بل إن معاوية ليتجرأ و يقول لأهل الشام: إن عليا «عليه السلام» لا يصلى!! «۲».

---

(۱) النزاع و التخاصم للمقريزى ص ۲۸، و شرح النهج للمعتزلى ج ۷ ص ۱۵۹، و مروج الذهب ج ۳ ص ۳۳، و عن دعواهم الخلافة بالقرابة من رسول اللّه (ص) راجع: العقد الفريد ط دار الكتاب العربى ج ۲ ص ۱۲۰؛ و حياة الإمام الرضا السياسية للمؤلف ص ۵۴/ ۵۵.

(۲) الفتوح لابن اعثم ج ۳ ص ۱۹۶ و وقعة صفين لنصر بن مزاحم ص ۳۵۴ و شرح النهج للمعتزلى ج ۸ ص ۳۶ و الكامل لابن الأثير ج ۳ ص ۳۱۳، و تاريخ الطبرى ج ۴ ص ۳۰، و الغدير ج ۹ ص ۱۲۲ عن بعضهم.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۲،ص:۱۴۸

إن أهل الشام و الحالة هذه لا يمكنهم أن يدركوا واقع ما يجرى و ما يحدث. بل إن باستطاعة معاوية أن يموّه و يشبه الامر على غير أهل الشام أيضا؛ لمكره وشيطنته؛ فإنه قد تأمر على الشام من قبل عمر بن الخطاب، الذى احبه العرب، و اخلصوا له؛ لأنه أرضى غرورهم، و رفع معنوياتهم، بتفضيلهم على غيرهم، من أهل الامم الأخرى فى العطاء، و فى مختلف الشؤون. مع أنهم الذين كانوا إلى الأمس القريب لا قيمة لهم، يتيهون فى صحرائهم القاحلة، يأكلون الجشب، و يشربون الكدر، إلى آخر ما تقدم فى أوائل الفصل الأول؛ ثم جاء الاسلام، فساواهم بغيرهم، و رفع من شأنهم، و قرّر: أن لا فضل لأحد على أحد إلا بالتقوى.

و لكن سياسة عمر بن الخطاب قد اقتضت إعطاء كل الإمتيازات، و فى مختلف الشؤون لخصوص العرب، و حرمان غيرهم من كل الإمتيازات، و من كل شىء «۱».

فأحب العرب عمر بن الخطاب أعظم الحب، و قدّروه أجل تقدير، و صارت افعاله و أقواله عندهم قانونا متبعا، لا يمكن مخالفته، و لا الخروج عليه، و يكفى أن نذكر: أن مجرد توليته لأحدهم قد أوجبت لذلك الرجل عظمة و منزلة خاصة «۲».

بل إن عليا الذى لم يكن يرى لبنى اسماعيل فضلا على بنى اسحاق «۳» لم يستطع أن يعزل شريحا عن القضاء؛ و قد أبى ذلك عليه أهل

---

(۱) راجع كتابنا: سلمان الفارسى فى مواجهة التحدى.

(۲) الثقات: ج ۲ ص ۲۹۵.

(۳) سنن البيهقى ج ۶ ص ۳۴۹ و الغدير ج ۸ ص ۲۴۰ عنه. و أنساب الأشراف، بتحقيق المحمودى: ج ۲ ص ۱۴۱. و الغارات: ج ۱ ص ۷۴- ۷۷، و حياة الصحابة: ج ۲ ص ۱۱۲ عن البيهقى، و تاريخ اليعقوبى: ج ۲ ص ۱۸۳، و البحار ج ۴۱ ص ۱۳۷.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۲،ص:۱۴۹

الكوفة، و قالوا له: لا تعزله؛ لأنه منصوب من قبل عمر، و بايعناك على أن لا تغير شيئا مما قرره أبو بكر و عمر «۱».

كما أنه لم يستطع أن يمنع جيشه من صلاة التراويح؛ لأن عمر هو الذى شرّعها. و صاحوا و اسنّة عمراه «۲». و لعل أول من صاح فى هذه المناسبة ب «وا عمراه» هو قاضيه شريح «۳».

بل لقد نادوا بعلى «عليه السلام» فى حرب الجمل: «اعطنا سنة العمرين «۴»».

و سمع رجل النبى «صلى اللّه عليه و آله و سلم» يقول عن معاوية:

من أدرك هذا أميرا فليقرنّ خاصرته بالسيف؛ فرآه يخطب فى الشام؛ فأراد تنفيذ أمر رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله و سلم»، فقالوا له: أتدرى من استعمله؟.

قال: و من قالوا: أمير المؤمنين عمر.

(۱) كشف القناع عن حجية الإجماع: ۶۴، و راجع: تنقيح المقال: ج ۲ ص ۸۳، و قاموس الرجال: ج ۵ ص ۶۷.

(۲) راجع: شرح النهج للمعتزلى: ج ۲ ص ۲۸۳ و ج ۱ ص ۲۶۹، و الصراط المستقيم:

ج ۳ ص ۲۶، و الكافى ج ۸ ص ۶۳ و تلخيص الشافى: ج ۴ ص ۵۸، و البحار ط حجرية: ج ۸ ص ۲۸۴، و راجع: الجواهر: ج ۲۱ ص ۳۳۷، و الوسائل: باب (۱۰) من أبواب نوافل شهر رمضان، كتاب الصلاة، و كشف القناع: ص ۶۵/ ۶۶ و سليم بن قيس ص ۱۲۶ ط مؤسسة البعثة.

(۳) راجع: قاموس الرجال: ج ۵ ص ۶۷.

(۴) الكامل للمبرد ج ۱ ص ۱۴۴ ط دار نهضة مصر. و راجع الكافى: ج ۸ ص ۵۹، و شرح النهج: ج ۱ ص ۲۶۹، و الكامل فى التاريخ: ج ۳ ص ۳۴۳، و الأخبار الطوال: ص ۲۰۷، و أنساب الأشراف، بتحقيق المحمودى: ج ۲ ص ۳۷۰/ ۳۷۱، و تنقيح المقال: ج ۲ ص ۸۳.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۲،ص:۱۵۰

قال: سمعا و طاعة لأمير المؤمنين «۱».

و قدّ صرح أمير المؤمنين فى خطبة له بأعمال كثيرة لمن سبقوه. لم يستطع تغييرها، و لو أنه حاول ذلك لتفرق عنه جنده، حتى يبقى وحده، و قليل من شيعته. و هى أمور كثيرة فلتراجع «۲». و لتراجع أيضا الشواهد الكثيرة التى تؤيد ذلك فى مصادرها.

ثم جاءت الدولة الأموية، فاستنت بسنة عمر، و سارت بسيرته، و انتهجت نهجه.

و إذا كان معاوية قد تولّى الشام من قبل عمر، و إذا كان قدموّه على الناس فى قضية قتل عثمان، و ألقى فى الناس الشبهات الكثيرة حولها، حتى استطاع أن يقود جيشا ليحارب فى صفين اعظم رجل بعد الرسول الأعظم «صلى اللّه عليه و آله و سلم».

و إذا كان قد استغل قضية التحكيم، و اضفى على خلافته نوعا من الشرعية المزوّرة، التى يمكن تضليل العوام و السذج بواستطها.- إذا كان كل ذلك- فإن من الطبيعى أن يستطيع معاوية الذى وصل إلى الحكم فى مثل تلك الظروف الغامضة، أن يصوّر الحسين بن على «عليه السلام»، بعد قتله على أنه باغ و طاغ و طامع، تحركه المصالح الشخصية، بل و حتى خارج عن الاسلام، و العياذ باللّه.

و لسوف يتمكن عن طريق الاخطبوط الأموى المتغلغل فى مختلف البلاد، و الذى استطاع أن يضع العراقيل فى طريق على «عليه السلام»، و غيره من الأئمة الطاهرين، لسوف يتمكن من استغلال تلك الظروف

(۱) البحار ج ۹۲ ص ۳۶ عن معانى الأخبار.

(۲) الكافى ج ۸ ص ۵۹- ۶۳ و سليم بن قيس ص ۱۲۵/ ۱۲۶.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۲،ص:۱۵۱

الخاصة، فى الحجاز، و العراق، و فى الشام، ابشع استغلال، و لا سيما بالنسبة لأهل الشام، الذين ما كان يمكنهم! إدراك واقع ما يجرى و ما يحدث إلا عن طريق الجهاز الأموى نفسه.

يضاف إلى ذلك كله: أنه قد كان فى عهد الخلفاء قبل على «عليه السلام»، و لأهداف سياسية معينة، ثمة حصار مضروب على كبار الصحابة؛ فلم تتح لهم الفرصة ليتفرقوا فى البلاد، و ينشروا تعاليم النبى الاعظم «صلى اللّه عليه و آله و سلم» على حقيقتها. بل حصروهم فى المدينة مدة طويلة. و من استطاع منهم الافلات منها قليل، و من كان يصر على الجهر بالحقيقة، فإنه يتعرض لمختلف انواع القهر و الاضطهاد، كما كان الحال بالنسبة لأبى ذر (رحمه اللّه) «۱».

و هكذا .. فإن الصحابة لم يتمكنوا من الجهر بما تجيش، أو بكل ما تجيش به صدورهم، حتى أشرف هذا الجيل على الفناء و الزوال، مما كان من شأنه أن يفسح المجال أمام الجهاز الحاكم لكل افتراء ضد أهل البيت «عليه السلام»، و ضد النبى «صلى اللّه عليه و آله و

سلم» نفسه، ثم ضد الاسلام بشكل عام.

و خلاصة الامر: إن قتل الحسين «عليه السلام» فى زمن معاوية ليس فقط لا يجدى و لا ينفع، و إنما يكون فيه قضاء تام على الامل الوحيد للدين، و الأمة، و للحق. و فى هذا خيانة حقيقية ظاهرة لكل ذلك، بمقدار ما كان استشهاد الحسين «عليه السلام» بعد ذلك وفاء للدين، و للأمة و للحق، عند ما لم يعد انحراف الحكم و لا دينيته، بل وعداؤه للدين خافيا على أحد، و لم يكن بعد للدهاء و المكر، و للسياسات المنحرفة: أن تتستر عليه، و لا أن تقلّل من وضوحه. و أصبح السكوت عليه فى تلك الظروف

---

(۱) راجع مقالنا عن أبى ذر فى الجزء الأول من كتابنا: دراسات و بحوث فى التاريخ و الإسلام ..

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۲،ص:۱۵۲

هو الخيانة للدين، و للامة، و للحق.

و إلا فإن الحسين «عليه السلام» قد عاش فى حكم معاوية بعد استشهاد أخيه الحسن (ع) عشر سنوات، و لم يقم بالثورة ضده، مع أن الحسين «عليه السلام» الذى سكت فى زمن معاوية هو نفسه الحسين الذى ثار فى زمان يزيد. كما أن الانحراف و الظلم الذى كان فى زمان هذا قد كان فى زمان ذاك. و ما ذكرناه هو المبرر لسكوته هناك، و ثورته هنا.

هذا، و قد تمدّح الإمام الحسين «عليه السلام» أخاه الإمام الحسن «عليه السلام» على صلحه مع معاوية، و اعتبره إيثارا للّه عند مداحض الباطل، فى مكان التقية بحسن الرواية. كما قاله «عليه السلام» و هو يؤبن أخاه الإمام الحسن «عليه السلام» حينما استشهد بسمّ معاوية «۱».

و كتب أهل الكوفة أكثر من مرة إلى الإمام الحسين «عليه السلام» يدعونه إلى الخروج إليهم فى خلافة معاوية، و فى كل ذلك يأبى عليهم «۲»، و قد أمرهم بلزوم بيوتهم ما دام معاوية حيّا «۳».

فالقول بأن سبب عدم ثورته على معاوية إنما هو عدم بيعة الناس له فى زمنه، لا يصح.

كما أن الناس كانوا قد بايعوا الإمام الحسن «عليه السلام»، فلماذا سكت؟ و لماذا لم يطالبه الحسين بالقيام؟! و لماذا يمدحه على صلحه لمعاوية؟

---

(۱) راجع: تهذيب تاريخ دمشق: ج ۴ ص ۲۳۰، و عيون الأخبار لابن قتيبة: ج ۲ ص ۳۱۴.

(۲) ترجمة الإمام الحسين (ع) من تاريخ دمشق (بتحقيق المحمودى): ص ۱۹۷.

(۳) الأخبار الطوال: ص ۲۲۱/ ۲۲۲.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۲،ص:۱۵۳

هذا ما أردنا الاشارة إليه هنا، و لهذا البحث مجال آخر.

۲- و يلاحظ أيضا: أنه حين دعا الحسين «عليه السلام» بحلف الفضول قد استجاب له حتى أعداؤه، كابن الزبير، الذى لم يكن ليخفى على أحد، كيف كان موقفه من الهاشميين أيام خلافته حتى لقد كان يريد أن يحرقهم بالنار فى مكة، لولا وصول النجدة لهم من العراق.

كما أنه قد قرت عينه- على حد تعبير ابن عباس- حين توجه الحسين «عليه السلام» إلى العراق.

أضف إلى ذلك: أنه قد قطع الصلاة على النبى «صلى اللّه عليه و آله و سلم» فى خطبه، و لما عوتب على ذلك ادعى: أن هذا الحى من بنى هاشم إذا سمعوا ذكره «صلى اللّه عليه و آله و سلم» أشرأبت أعناقهم، و أبغض الاشياء إليه ما يسرهم. و فى رواية: إن له أهيل سوء الخ «۱».

نعم، لقد استجاب للإمام الحسين صلوات اللّه و سلامه عليه حتى اعداؤه حين دعاهم بحلف الفضول، و لكنهم لا يستجيبون لداعى اللّه و الرسول الذى يأمرهم بقبول إمامة الحسنين «عليهما السلام» قاما أو قعدا و لا يدافعون عن إمامهم الذى خرج فى طلب الاصلاح فى أمة جده، بل و ينصبون العداء له و لأهل بيته عموما كما أشرنا إليه.

فما هو سر استجابتهم للنداء بحلف الفضول، ثم عدم استجابتهم للحسين، حين دعاهم للجهاد ضد أعداء الدين، فلم يخرج منهم أحد إلى كربلاء لمحاربة الظلم و الطغيان، و الانحراف عن الدين و الحق؟!.

مع أن القضية الأولى و إن كانت تمثل مكافحة للظلم و التجبر، إلا أنها فى

---

(۱) راجع: العقد الفريد ج ۴ ص ۴۱۳ ط دار الكتاب العربى، و شرح النهج للمعتزلى ج ۲۰ ص ۱۲۷ و غير ذلك، و أنساب الأشراف ج ۴ ص ۲۸ و قاموس الرجال ج ۵ ص ۴۵۲، و مقاتل الطالبيين ص ۴۷۴.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۲،ص:۱۵۴

الحقيقة تنتهى إلى مسألة خاصة، محدودة الزمان و المكان، و الأشخاص، كما سوف تفسرها ابواق الدعاية الأموية المغرضة.

أما فى قضية كربلاء، فقد كان واضحا لدى كل أحد حقيقة أهداف الثورة. و قد أوضحها الامام الحسين «عليه السلام» أكثر من مرة، و لم يبق مجالا للشك فى أنها ذات أهداف اسلامية جامعة، بعيدة كل البعد عن المكاسب الشخصية و النفعية المحدودة.

فلماذا السكوت؟، و ربما السرور من بعضهم بالمصير الذى لاقاه الامام الحسين «عليه السلام» هنا؟ ثم هم يهبون لنصرته، و القيام دونه، أو على الاقل يظهرون استعدادهم لذلك هناك؟! مع أن الأهداف إن لم تكن فى المآل واحدة؛ فإنها فى قضية كربلا أهم و اكثر مساسا بهم و بدينهم و كرامتهم .. فهل كانوا يهدفون إلى إضعاف عدوهم الأقوى أوّلا؟! أم أنهم أمنوا معاوية، و خافوا يزيد الخمور؟ ربما يكون ذلك، و ربما لأن حلف الفضول كان جاهليا، و هم إلى الجاهلية فى حقها و فى باطلها أقرب منهم إلى الاسلام، حتى حينما تكون القضية مصيرية، و حتى و لو كانت مصيرية بالنسبة للأمة بأسرها، و بالنسبة للدين نفسه.

و لو أنهم التفتوا إلى أن حلف الفضول قد امضاه الاسلام، و صار اسلاميا فلربما يكون لهم حينئذ موقف آخر.

إن ذلك لعجيب حقا! و أى عجيب!!.

۳- إن موقف الحسين هذا، و كذلك إمضاء النبى «صلى اللّه عليه و آله و سلم» لهذا الحلف فى كلامه المتقدم، ليدل على أن الاسلام قد أمضى هذا الحلف؛ لأنه قائم على أساس الحق و العدل و الخير. و هل الاسلام إلا ذلك؟- إنه يمضيه- مع أن الذين قاموا به كانوا وقتها على الشرك و الكفر. و لكنه يهدم مسجد الضرار، مع أن الذين بنوه كانوا يتظاهرون بالاسلام، و يتعاملون على اساسه، بحسب الظاهر.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۲،ص:۱۵۵

و هذا ما يؤكد واقعية الاسلام، و أنه إنما ينظر إلى عمل يدى الصياد لا إلى دموع عينيه، و أنه لا يغتر بالمظاهر، و لا تخدعه الشعارات مهما كانت براقة، إذا كانت تخفى وراءها الوصولية، و الخيانة و التآمر، فالحق حق، و مقبول، و لا بد من الالتزام به، و التعامل على أساسه، و لو صدر من مشرك، و الباطل باطل و مرفوض، و لا يجوز الالتزام به، و لا التعامل على أساسه، مهما كانت الشعارات براقة و مغرية.

و لهذا نفسه نجد أمير المؤمنين أيضا يرفض خدعة رفع المصاحف على الرماح فى صفين و يحذر منها. و لقد كان هو المصيب فى رفضه.

و غيره، ممن كان يتظاهر بالتقى و العبادة كان هو المخطئ.

وفقنا اللّه للسير على هدى أمير المؤمنين على «عليه السلام»، و تأثّر خطاه، و العمل بمنهاجه، الذى هو نهج الايمان و الإسلام، إنه ولى

قدير.

۴- إن اهتمام النبى «صلى اللّه عليه و آله و سلم»، و الأئمة «عليهم السلام» بحلف الفضول إنما يدل على أن الاسلام ليس منغلقا على نفسه، و إنما هو يستجيب لكل عمل إيجابى فيه خير الانسان، و يشارك فيه على أعلى المستويات، انطلاقا من الشعور بالمسؤولية، و انسجاما مع أهدافه العليا، و مع المقتضيات الفطرية، و احكام العقل السليم.

۵- أما استجابة الذين استجابوا للزبير بن عبد المطلب حينما دعا لعقد هذا الحلف، فلعل لهم دوافع مختلفة باختلاف الأشخاص، و البيوتات، و القبائل، و نذكر من هذه الدوافع:

ألف: الدافع الفطرى الإنسانى؛ لأن هذا هو ما تحكم به الفطرة، و العقل السليم، ثم هو ينسجم مع الشعور الإنسانى، و الأخلاقى.

ب: الدافع المصلحى، و ذلك لأن عدم الأمن فى مكة لسوف يقلل من رغبة التجار فى الوفود عليها، و التعامل مع أهلها.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۲،ص:۱۵۶

ج: وثمة دوافع أخرى ربما تكون لدى بعضهم، كالحفاظ على قدسية مكة و أهلها فى نفوس العرب؛ و غير ذلك. و قد تقدم فى الفصل الأول ما يفيد هنا؛ فراجع إن شئت.

تاريخ ولادة أمير المؤمنين (ع):

أما عن تاريخ ولادة أمير المؤمنين «عليه السلام» ففيه إثنا عشر قولا على وجه التقريب، تبدأ من سبع، حتى ست عشرة سنة قبل البعثة، و قال آخرون: ولد قبل البعثة بعشرين، و غيرهم بثلاث و عشرين سنة «۱».

---

(۱) راجع الأقوال المذكورة كلا أو بعضا فى الكتب التالية:

المصنف لعبد الرزاق ج ۵ و العقد الفريد ج ۴ ص ۳۱۱، و أنساب الأشراف، و مقاتل الطالبيين ص ۲۶، و الأنس الجليل ج ۱ ص ۱۷۸، و التهذيب ج ۷ ص ۳۳۶، و الأوائل، و تاريخ الخميس ج ۱ ص ۲۷۹ عن شواهد النبوة، و طبقات ابن سعد ط ليدن ج ۳ ص ۱۳، و المعارف لابن قتيبة ص ۵۱، و حياة الحيوان ج ۱ ص ۵۴، و البحار، و ينابيع المودة، و تاريخ بغداد ج ۱ ص ۱۳۴، و ذخائر العقبى ص ۵۸، و الاستيعاب، و سنن البيهقى ج ۶ ص ۲۰۶، و نزهة المجالس، و مناقب الخوارزمى و أسد الغابة ج ۴ ص ۱۶- ۱۸، و البداية و النهاية، و مجمع الزوائد ج ۹ ص ۱۰۲، و فتح البارى ج ۷ ص ۵۷، و إحقاق الحق ج ۷ ص ۵۳۸- ۵۵۴.

و القول بالعشر موجود فى: الفصول المهمة لابن الصباغ ص ۱۲ و الاستيعاب ج ۳ ص ۳۰ ط صادر، و طبقات ابن سعد ط مصر ج ۳ ص ۲۱، و سيرة ابن هشام ج ۱ ص ۲۶۲، و الكافى ج ۱ ص ۳۷۶، و إرشاد المفيد ص ۹، و إعلام الورى ص ۱۵۳، و مناقب آل أبى طالب ج ۲ ص ۷۸، و تاريخ الخميس ج ۱ ص ۲۸۶، و مستدرك الحاكم ج ۳ ص ۱۱۱، و تلخيصه بهامشه للذهبى، و مناقب الخوارزمى ص ۱۷، و تاريخ الخلفاء ص ۱۶۶ و البداية و النهاية ج ۳ ص ۲۶، و ذخائر العقبى، و أنساب الأشراف، و ملحقات إحقاق الحق ج ۷ عن بعض من تقدم.

و للقول بالإثنى عشر راجع: البحار ج ۳۵ ص ۷ و إحقاق الحق ج ۷ ص ۵۴۹، عن نهاية الإرب ج ۸ ص ۱۸۱ و الاستيعاب ج ۳ ص ۳۰.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۲،ص:۱۵۷

و يمكن أن تقلّ الأقوال عن ذلك، إذا قلنا: إنه لا منافاة بين القول:

بأنه ولد قبل البعثة باثنى عشرة سنة، و بين القول بأنه ولد قبلها بخمس عشرة سنة، إذا كان القائل بالثانى لا يسقط السنوات الثلاث الأولى من بعثته (ص) من الحساب، لأن النبى «صلى اللّه عليه و آله و سلم» لم يكن يجهر فيها بالدعوة.

و لعل اختلافهم فى مدة نبوته (ص) فى مكة على قولين: عشر سنوات، و ثلاث عشرة سنة سببه ذلك أيضا.

بل نجد البعض يقول إن سرّية الدعوة قد استمرت خمس سنوات، فيمكن بملاحظة هذا و ما تقدم فى سائر الاقوال: أن تقلّ الأقوال عن ذلك كثيرا. ولكن هذا على أى حال يبقى مجرد احتمال.

و على كل حال، فإن القول بالإثنى عشر، و إن كان مرويا عن أهل البيت، إلا أن القول الآخر، و هو أن ولادته كانت قبل البعثة بعشر سنوات مروى أيضا، و هو المشهور عند علمائنا، و عند غيرهم، كما يظهر من ملاحظة المصادر المتقدمة.

و لذا، نقول: إن هذا القول المعتضد بالشهرة هو الأولى بالاعتماد و الإعتبار. لا سيما و أنه مروى عن أهل البيت الذين هم أدرى من كل أحد بما فيه.

و أما محاولات البعض الاستفادة من ذلك، و استنتاج نتيجة معينة

و نقلت كثير من الأقوال عن المصادر التالية: إكمال الرجال ص ۶۸۷ و الروضة الندية ص ۱۳، و احكام الأحكام ج ۱ ص ۱۹۰، و أنباه الرواة فى أنباء النحاة ج ۱ ص ۱۱، و نهاية الارب ج ۸ ص ۱۸۱، و المختصر فى أخبار البشر ج ۱ ص ۱۱۵، و نظم درر السمطين ص ۸۱ و ۸۲، و الرياض النضرة ج ۲ ص ۱۵۶ و الغرة المنيفة ص ۱۷۶ و شرح المواهب للزرقانى ج ۱ ص ۲۴۲، و الطبقات المالكية ج ۲ ص ۷۱، و المصباح الكبير ج ۵۶۰.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۲،ص:۱۵۸

لتأكيد فكرة معينة، من قبيل ادعاء أن عليا هو أول من اسلم من الصبيان؛ ليكون أبوبكر أول من أسلم من الرجال. فسيأتى عند الحديث عن اسلام أمير المؤمنين «عليه السلام»: أن هذا لا يمكن أن يصح بأى وجه.

أول هاشمى ولد من هاشميين:

لقد ولد أمير المؤمنين «عليه السلام» و هو الشخصية الأولى بعد الرسول، و الذى تربّى فى حجر الوحى، و ارتضع لبان النبوة من أبوين قرشيين هاشميين، هما: أبو طالب، شيخ الابطح. و فاطمة بنت أسد بن هاشم بن عبد مناف.

و قال الكلينى و غيره: «و هو أول هاشمى ولد هاشم مرتين» و قريب منه غيره «۱».

و علق المجلسى: بأن اخوته طالبا، و عقيلا، و جعفرا قد ولدوا قبله من هذين الهاشميين. و قول التهذيب و غيره: «فى الاسلام»، لا يصحّح ذلك؛ إذ لو كان مرادهم أنه ولد بعد البعثة فهو لا يصح، للاتفاق على أنه قد ولد قبلها.

و لو كان المراد: أنه الوحيد الذى ولد بعد ولادة الرسول، فهو كذلك لا يصح، لأن أكثر إخوته قد ولدوا بعد ولادة النبى «صلى اللّه عليه و آله و سلم»، مع أنه اصطلاح غريب غير معهود «۲».

و الصحيح: أن يقال كما قال المعتزلى، و الشهيد، و غيرهما: «و أمه

---

(۱) الكافى ج ۱ ص ۳۷۶، و نسب قريش لمصعب الزبيرى ص ۱۷، و التهذيب للشيخ ج ۶ ص ۱۹ و البحار ج ۳۵ ص ۵ عنه و عن الكافى، و أسد الغابة ج ۴ ص ۱۶ و ج ۵ ص ۵۱۷ و الفصول المهمة لابن الصباغ ص ۱۳.

(۲) راجع: البحار ج ۳۵ ص ۶.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۲،ص:۱۵۹

أول هاشمية ولدت لهاشمى» «۱».

ولادة أمير المؤمنين (ع) فى الكعبة:

لقد ورد أنه عليه الصلاة و السلام قد ولد فى جوف الكعبة أعزها اللّه، فى يوم الجمعة فى الثالث عشر من شهر رجب. و أن هذه فضيلة اختصه اللّه بها، لم تكن لأحد قبله، و لا بعده، و قد صرح بذلك عدد كبير من العلماء، و رواة الأثر، و نظمها الشعراء و الادباء. و ذلك مستفيض عند شيعة أهل البيت «عليهم السلام»، كما أنه كذلك فى كتب غيرهم، حتى لقد قال الحاكم و غيره:

«تواترت الأخبار: أن فاطمة بنت أسد، ولدت أمير المؤمنين على بن أبى طالب كرم اللّه وجهه فى جوف الكعبة ...».

و صرح بأنه لم يولد فيها أحد سواه عدد من العلماء و المؤرخين «۲».

---

(۱) البحار ج ۳۵ ص ۶ عن الدروس للشهيد، و شرح النهج للمعتزلى ج ۱ ص ۱۳ و ج ۱۵ ص ۲۷۸ و البدء و التاريخ ج ۵ ص ۷۱، و نسب قريش لمصعب ص ۴۰، و نزهة المجالس ج ۲ ص ۱۶۵، و معرفة الصحابة لأبى نعيم مخطوط فى مكتبة طوپ قپوسراى رقم ۱/ ۴۹۷ أ الورقة ۱۹ و ذخائر العقبى ص ۵۵ و المعارف لابن قتيبة ص ۸۸.

(۲) راجع مستدرك الحاكم ج ۳ ص ۴۸۳، و تلخيصه للذهبى هامش نفس الصفحة، و نور الأبصار ص ۷۶، و الفصول المهمة لابن الصباغ ص ۱۲، و كفاية الطالب للكنجى الشافعى ص ۴۰۶ و ۴۰۷ و مناقب الإمام أمير المؤمنين لابن المغازلى ص ۷ و ذكر ولادته فيها أيضا: أسد الغابة ج ۴ ص ۳۱ و السيرة الحلبية ج ۱ ص ۱۳۹ و نزهة المجالس ج ۲ ص ۲۰۴. و تذكرة الخواص ص ۱۰ و نقله صاحب الغدير ج ۶ ص ۲۲- ۳۸ عن عشرات المصادر مثل: إزالة الخفاء للدهلوى، و الآلوسى فى شرح الخريدة الغيبية، ص ۱۵ و مروج الذهب ج ۲ ص ۲ و شرح الشفا ج ۱ ص ۱۵۱، و المناقب لمحمد صالح الترمذى، و آئينه تصوف ص ۱۳۱۱ و روائح المصطفى ص ۱۰ و كتاب الحسين للسيد على جلال الدين ج ۱ ص ۱۶، و نقله أيضا عن عشرات

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۲،ص:۱۶۰

و يقول السيد الحميرى، المتوفى فى سنة ۱۷۳ ه:

ولدته فى حرم الاله و أمنهو البيت حيث فناؤه و المسجد

بيضاء طاهرة الثياب كريمةطابت و طاب وليدها و المولد

فى ليلة غابت نحوس نجومهاو بدا مع القمر المنير الاسعد

ما لف فى خرق القوابل مثلهإلا أبن آمنة النبى محمد

و يقول عبد الباقى العمرى:

أنت العلى الذى فوق العلى رفعابيطن مكة وسط البيت إذ وضعا و لكن نفوس شانئى على «عليه السلام»، قد نفست عليه هذه الفضيلة التى اختصه اللّه بها، فحاولت تجاهل كل أقوال العلماء و المؤرخين، و رواة الحديث و الأثر، و الضرب بها عرض الجدار، حيث نجدهم- و بكل جرأة و لا مبالاة- يثبتون ذلك لرجل آخر غير على «عليه السلام»، بل و يحاولون التشكيك فى ما ثبت لعلى أيضا، حتى لقد قال فى كتاب النور:

«حكيم بن حزام ولد فى جوف الكعبة، و لا يعرف ذلك لغيره. و أما ما روى من أن عليا ولد فيها فضعيف عند العلماء «۱»».

المؤلفات للإمامية فليراجع. و حياة أمير المؤمنين لمحمد صادق الصدر ص ۳۰ عن غاية الاختصار ص ۹۷ و عن مصادر أخرى.

و ليراجع إحقاق الحق بتعليقات السيد النجفى ج ۷ ص ۴۸۶- ۴۹۰ عن أرجح المطالب ص ۳۸۸، و محاضرة الأوائل ص ۷۹، و البلخى فى كتابه على ما فى تلخيصه ص ۱۱ طبع بمبئى، و عن مطالب السؤل لابن طلحة ص ۱۱، و فضائل أمير المؤمنين للقفال الشافعى، مخطوط، و مفتاح النجا ص ۲۰ مخطوط و اعلام الورى ص ۹۳، و نقل أيضا عن الاستيعاب و شواهد النبوة و كنوز الحقائق.

و استقصاء مصادر هذه القضية متعذر و ما ذكرناه كاف لمن ألقى السمع و هو شهيد.

(۱) راجع: السيرة الحلبية ج ۱ ص ۱۳۹، و ذكر ولادتها فيها فى أسد الغابة ج ۲ ص ۴۰

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۲،ص:۱۶۱

و قال المعتزلى: «كثير من الشيعة يزعمون: أنه ولد فى الكعبة، و المحدّثون لا يعترفون بذلك، و يزعمون: أن المولود فى الكعبة حكيم بن حزام «۱».

ثم حاول الحلبى و الديار بكرى الجمع و الصلح بين الفريقين، باحتمال ولادة كليهما فيها «۲».

و لكن كيف يصح هذا الجمع، و نحن نجد عددا ممن قدمنا أسماءهم، و غيرهم ممن ذكرهم العلامة الأمينى فى كتاب الغدير، و غيره، يصرّون على أنه لم يولد فى جوف الكعبة سوى على، لا- قبله و لا- بعده؟! و أن تلك فضيلة اختصه اللّه بها دون غيره من العالمين؟!

و كيف يقبل ذلك الجمع، و نحن نجد الحاكم يصرح بتواتر الأخبار فى ولادة أمير المؤمنين «عليه السلام» فى جوف الكعبة؟!. فهل الحاكم بنظر المعتزلى جاهل بالحديث؟!

و من أين لحديث ولادة حكيم بن حزام حتى خصوصية صحة سنده.

فضلا عن أن يكون متواترا و مقطوعا به؟!.

لماذا حكيم بن حزام؟!

و إنما اثبتت هذه الفضيلة لحكيم بن حزام؛ لأنه كان للزبيريين فيه هوى؛ فإنه ابن عم الزبير، و ابن عم اولاده؛ فهو حكيم بن حزام بن خويلد بن أسد بن عبد العزى، و الزبيريون ينتهون أيضا إلى أسد بن عبد العزى.

و الإصابة ج ۱ ص ۳۴۹ و الاستيعاب هامش الإصابة ج ۱ ص ۳۲۰.

(۱) شرح النهج ج ۱ ص ۱۴.

(۲) تاريخ الخميس ج ۱ ص ۲۷۹، و السيرة الحلبية ج ۱ ص ۱۲۹.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۲،ص:۱۶۲

و لم يسلم حكيم إلا عام الفتح، و هو من المؤلفة قلوبهم. «۱» و كان يحتكر الطعام على عهد رسول اللّه (ص) «۲» و عن المامقانى: نقل الطبرى:

أنه كان عثمانيا متصلبا تلكأ عن على «۳»، و لم يشهد شيئا من حروبه «۴».

و إذن فمن الطبيعى أن يروى الزبير بن بكار، و مصعب بن عبد اللّه، «۵» و هما لا- شك فى كونهما زبيريى الهوى: أنه لم يولد فى جوف الكعبة سواه، و ذلك على خلاف جميع الأخبار المتواترة، و مخالفة لكل من نص على أنه لم يولد فيها سوى أمير المؤمنين «عليه السلام» لا قبله و لا بعده؟!.

تجديد بناء الكعبة أعزّها اللّه تعالى:

و يقولون: إن الكعبة قد جاءها سيل جارف تجاوز الردم، الذى كان قد وضع ليمنع من مثل ذلك؛ فدخلها، و صدع جدرانها.

و يقال أيضا: إنها كانت قد احترقت حينما أرادت احدى النساء تبخيرها فطارت شرارة إلى ثياب الكعبة فاحترقت جدرانها «۶». ثم جاء السيل بعد ذلك فزاد فى تصدعها حتى خاف الناس عليها.

و يرى البعض: أن هذا الحريق كان فى زمان ابن الزبير.

---

(۱) الإصابة ج ۱ ص ۳۴۹، و الاستيعاب ج ۱ ص ۳۲۰ هامش الإصابة.

(۲) وسائل الشيعة كتاب التجارة ص ۳۱۶.

(۳) قاموس الرجال ج ۳ ص ۳۸۷ عن تنقيح المقال.

(۴) قاموس الرجال ج ۳ ص ۳۸۷.

(۵) راجع: الإصابة ج ۱ ص ۳۴۹، و مستدرك الحاكم ج ۳ ص ۴۸۳.

(۶) مصنف عبد الرزاق ج ۵ ص ۳۱۹، و البداية و النهاية ج ۲ ص ۳۰۰ كلاهما عن الزهرى.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۲،ص:۱۶۳

و رفع الحلبى التنافى باحتمال حصول الحريق مرتين «۱».

و نحن نقول: انه يبدو أن دعوى احتراقها على هذا النحو الاتفاقى، إنما صيغت للتخفيف من الامتعاض الناشىء من جرأة الامويين على بيت اللّه الحرام، حيث إنها قد تصدعت حينما ضربت بالمنجنيق و بالنار من قبلهم، و تركها ابن الزبير ليراها الناس محترقة، يحرضهم على أهل الشام «۲».

و مهما يكن من أمر. فقد اتفقت قريش قبل بعثة النبى «صلى اللّه عليه و آله و سلم» على هدمها، و إعادة بنائها، و أن يرفع بابها، حتى لا يدخلها إلا من شاؤا، و أعدّوا لذلك نفقة طيبة، ليس فيها مهر بغى، و لا بيع ربا، و لا مظلمة مما اخذوه غصبا، أو قطعوا فيه رحما، أو انتهكوا فيه حرمة، أو ذمة «۳».

و بدأت كل قبيلة تجمع الحجارة على حدة، و يقولون: إنه «صلى اللّه عليه و آله و سلم» قد شارك فى جمع الحجارة. و كان أول من جرأهم على هدمها هو الوليد بن المغيرة.

و تجزأت قريش الهدم و البناء، لكل قبيلة شق، وجهة معينة. و قد اختلف المؤرخون فى اختصاصات هذه القبائل بتلك الجهات

---

(۱) السيرة الحلبية ج ۱ ص ۱۴۱.

(۲) صحيح مسلم هامش القسطلانى ج ۶ ص ۱۸، و الكامل لابن الأثير ج ۴ ص ۱۲۴ ط صادر و ذكر فى الكامل عن البخارى قولا آخر، و هو أنها احترقت فى زمن ابن الزبير، بسبب نار أوقدها أصحابه حولها.

و أقول الظاهر أن الأمويين أرادوا رد التهمة فى جنايتهم على ابن الزبير و أصحابه.

(۳) سيرة ابن هشام ج ۱ ص ۲۰۶ و البداية و النهاية ج ۲ ص ۳۰۱، و السيرة الحلبية ج ۱ ص ۱۴۱.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۲،ص:۱۶۴

و الأجزاء «۱». و لا مجال لتأكيد أو نفى أى من الأقوال فى ذلك، و لا سيما فى موارد كهذه، يجهد فيها كل فريق أن ينيل من يميل إليهم بعض الشرف، و مواقف الكرامة.

و أما عن تاريخ بناء البيت فقد اختلفت كلمات المؤرخين فيه، فهذا يقول: إن بناءه كان حين بلوغه «صلى اللّه عليه و آله و سلم» الحلم، أى بعد الفيل ب ۱۵ سنة «۲». و آخر يقول: إنه بنى بعد الفيل بخمس و عشرين سنة «۳». و ثالث يقول: إنه كان بعد الفيل بخمس و ثلاثين سنة، أى قبل البعثة بخمس سنين «۴».

و لعل هذا الأخير هو الاشهر:

وضع الحجر الأسود:

و لما بلغ البنيان موضع الحجر الاسود اختصموا: كل قبيلة تريد هى أن تنال شرف رفعه إلى موضعه. و كاد أن يؤدى الامر بهم إلى السيف، حتى جاء بنو عبد الدار، و بنو عدى بإناء فيه دم؛ فوضعوا أيديهم فيه، و معهم بنو سهم، و بنو مخزوم «۵»، و تحالفوا على الموت،، فسموا:

«لعقة الدم» «۶». حتى أشار أبو أمية بن المغيرة- و الد أم سلمة، أم

---

(۱) راجع: سيرة ابن هشام ج ۱ ص ۲۰۷، و البداية و النهاية ج ۲ ص ۳۰۲، و السيرة الحلبية ج ۱ ص ۱۴۴.

(۲) مصنف عبد الرزاق ج ۵ ص ۳۱۸، و البداية و النهاية ج ۲ ص ۳۰۰ عن الزهرى

(۳) البداية و النهاية ج ۲ ص ۳۰۰ عن موسى بن عقبة، عن مجاهد، و عروة و محمد بن جبير بن مطعم، و تاريخ الخميس ج ۱ ص ۲۷۹ عن تاريخ يعقوب.

(۴) السيرة النبوية لابن هشام ج ۱ ص ۲۰۴، و البداية و النهاية ج ۲ ص ۳۰۰.

(۵) شرح النهج للمعتزلى ج ۱۴ ص ۱۲۹.

(۶) السيرة النبوية لابن هشام ج ۱ ص ۲۰۹، و البداية و النهاية ج ۲ ص ۳۰۳.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۲،ص:۱۶۵

المؤمنين، و أحد أجواد قريش. و يقول البلاذرى: أبو مهشم بن المغيرة بأن يحكموا أول داخل عليهم من باب السلام، و هو باب بنى شيبة، أو من باب الصفا على الاختلاف.

فكان الرسول «صلى اللّه عليه و آله و سلم» أول داخل. فلما رأوه قالوا: هذا الامين، رضينا، هذا محمد.

و يقول البعض: إنهم كانوا يتحاكمون إلى النبى «صلى اللّه عليه و آله و سلم» فى الجاهلية؛ لأنه كان لا يدارى، و لا يمارى «۱».

فلما أخبروه بالأمر طلب ثوبا، أو بسط إزاره- على الاختلاف- ثم أخذ الحجر؛ فوضعه فيه بيده، ثم قال: لتأخذ كل قبيلة بناحية من الثوب، ثم ارفعوه جميعا، ففعلوا، فلما حاذوا موضعه أخذه رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله و سلم» بيده الشريفة، فوضعه مكانه.

ملاحظات هامة:

۱- إن بنى عبد الدار، و معهم بنو سهم، و مخزوم و عدى قد جاؤا بالدم، فوضعوا أيديهم فيه، و تحالفوا على الموت. و نجد فى مقابل ذلك:

أن بنى عبد مناف قد جاؤا بالغالية- و هى نوع من الطيب- فوضعوا أيديهم فيها، حينما تحالفوا زمن قصى فى مقابل بنى عبد الدار؛ فسموا حلف المطيبين.

و لبنى عبد مناف حلف آخر هو اكرم و أشرف حلف سمع به فى العرب «۲»، و هو حلف الفضول الذى أمضاه الاسلام، حسبما تقدم. و كان فى مقابلهم حلف الاحلاف، من قبل بنى عبد الدار، و سهم، و جمح، و مخزوم، و عدى، و لا يقصد فى حلفهم إلا الشرف الدنيوى، و لو أريقت الدماء، و ازهقت النفوس.

---

(۱) السيرة الحلبية ج ۱ ص ۱۴۵.

(۲) البداية و النهاية ج ۲ ص ۲۹۱.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۲،ص:۱۶۶

و لعل هذا يعكس بوضوح الفرق بين الاتجاهين، و نوعية التفكير، و مستوى الوعى، و النظرة للحياة لدى كل من الفريقين.

و لا نبالغ إذا قلنا: إن من الممكن أن نفهم من مراجعة كتب التاريخ و الانساب: أن بنى عبد مناف، و لا سيما آل أبى طالب كانوا هم رجالات الاسلام، و الهداة إلى الحق، و المجاهدين فى سبيل الدين.

بينما نجد بنى عبد الدار، و المتحالفين معهم أقل تحمسا للدين، و تضحية فى سبيله، بل و يكثر فيهم المناوؤون له، و الحاقدون عليه.

۲- إن اشتراط قريش: أن تكون نفقة الكعبة طيبة، لا ربا فيها، و لا مظلمة لأحد الخ .. إن دل على شىء فإنما يدل و لا شك على شعور حقيقى بقبح هذه الامور، و عدم رضا اللّه و الوجدان بها.

و قد يفسر ذلك أيضا باقتضاء الفطرة لذلك، و حكم العقل بقبحه.

و نحن،، و إن كنا نعترف بأن ذلك كذلك. بل إن كل احكام الدين موافقة للفطرة، و لأحكام العقل، إلا أننا لا بد و أن نضيف هنا: أنه يدل أيضا على بقاء شىء من تعاليم الحنيفية فيهم، خصوصا عند قريش، و بنى عبد مناف، و لذلك يلاحظ كثرة الاشارات إلى دين ابراهيم، و ما يدل على ايمانهم باللّه فى كلمات عبد المطلب، و أبى طالب «عليهم السلام» كثير.

و ما الخطبة التى ألقاها أبو طالب حينما طلب يد خديجة للنبى «صلى اللّه عليه و آله و سلم» عنا ببعيدة.

۳- إن ما تقدم يدل على أن أهل مكة كانوا يتعاملون بالمنطق القبلى حتى فى تعاونهم على بناء البيت، و حمل الحجارة له، و هو أقدس مقدساتهم، و رمز عزهم و مجدهم و كرامتهم. بل و عليه تقوم حياتهم. و إن تحالف لعقة الدم حين الاختصام فيمن يرفع الحجر إلى موضعه، ليعتبر الذروة فى هذا الأمر، الذى يمجه الذوق، و تنبو عنه الفطرة، و يرفضه العقل السليم.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۲،ص:۱۶۷

۴- و بعد هذا، فإن ما يلفت نظرنا: هو فرح قريش حينما رأوا النبى «صلى اللّه عليه و آله و سلم» أول داخل عليهم، ثم وصفهم له بأنه «الأمين»، مما يعنى أنه «صلى اللّه عليه و آله و سلم» كان يحتل مكانة خاصة فى نفوس الناس فى مكة، حيث تسكن قريش سيدة القبائل العربية كلها، حتى إنهم كانوا يحكّمونه فى كثير مما كان يشجر بينهم، و يضعون كل ثقتهم فيه، حتى لقبوه ب «الأمين». بل اننا نجد:

فى كلمات أبى طالب المتقدمة، خير شاهد على مكانته «صلى اللّه عليه و آله و سلم»، و علو منزلته، و شرفه، و سؤوده.

و فى موقف أمية بن خلف فى غزوة بدر دلالة على ذلك أيضا «۱» فراجع.

خرافة انحلال الازار:

هذا، و بعد كل ما تقدم، فإننا نواجه هنا اكذوبة مفضوحة، ليس الهدف منها إلا الحط من كرامة النبى «صلى اللّه عليه و آله و سلم»، و الاساءة لمقامه الاقدس، من أولئك الذين لمّا يدخل الايمان فى قلوبهم، و لم يسلموا و انما استسلموا، و أقسموا على العمل على دفن ذكر محمد، و طمس اسمه و دينه. و لكن اللّه يأبى إلا أن يتم نوره و لو كره الكافرون.

و تلك الاكذوبة التى هى واحدة من مئات امثالها، مما تقشعر له الابدان، و يشتد له غضب الرحمان، هى التالية:

روى الشيخان، و غيرهما من المؤلفين فى التاريخ و الحديث، ممن تجمعهم معهما رابطة الدين، و السياسة، و الصنعة- و النص للبخارى-:

«أن رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله و سلم» كان ينقل معهم الحجارة للكعبة، و عليه إزاره، فقال له العباس عمه: يابن أخى لو حللت إزارك

---

(۱) سيأتى ذلك فى أوائل غزوة بدر إن شاء اللّه.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۲،ص:۱۶۸

فجعلت على منكبيك دون الحجارة؟ ..

قال: فحلّه، فجعله على منكبيه؛ فسقط مغشيا عليه. فما رؤى بعد ذلك عريانا «۱»».

و فى رواية أخرى للبخارى فى كتاب الحج: «فخر إلى الأرض، فطمحت عيناه، فقال: أرنى ازارى، فشده عليه».

و نحن لا نشك أن ذلك مختلق و مفتعل، و نكتفى بالاشارة هنا إلى ما يلى:

أولا: إن ثمة تناقض ظاهر بين هذه الروايات، الامر الذى يذكرنا بالمثل المشهور: «لا حافظة لكذوب». و كمثال على ذلك نذكر:

أن رواية تقول: إن تعريه (ص) كان و هو صغير، حينما كان يلعب مع الصغار، و كلهم قد تعرى، و هم أيضا ينقلون الحجارة للعب، فلكمه لاكم لا يراه، و قال: شد عليك إزارك «۲».

و فى أخرى: أن ذلك كان حينما كان عمه أبو طالب يصلح زمزم، فأمر بالستر، من قبل متكلم لا يراه «۳».

---

(۱) البخارى، باب كراهية التعرى فى الصلاة ط سنة ۱۳۰۹ ج ۱ ص ۵۰ ص ۱۸۱ و ج ۲ ص ۲۰۳، و صحيح مسلم ط سنة ۱۳۳۴ ه ج ۱ ص ۱۸۴، و مسند أحمد ج ۳ ص ۲۹۵ و ۳۱۰ و ۳۳۳، و ج ۵ ص ۴۵۴ و ۴۵۵، و المصنف ج ۵ ص ۱۰۳ و البداية و النهاية ج ۲ ص ۲۸۷ عن الصحيحين و عن البيهقى. و راجع: مرآة الجنان ج ۱ ص ۱۹ و الغدير ج ۹ ص ۲۸۵ و ۲۸۶ عن البخارى و مسلم و عن السيرة النبوية لابن هشام ج ۱ ص ۱۹۷.

(۲) السيرة الحلبية ج ۱ ص ۱۲۲ و فتح البارى ج ۷ ص ۱۱۱ عن ابن إسحاق و سيرة ابن هشام ج ۱ ص ۱۹۴ و البداية و النهاية ج ۲ ص ۲۸۷.

(۳) السيرة الحلبية ج ۱ ص ۱۴۲ و ۱۲۲.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۲،ص:۱۶۹

و ثالثة تذكر: أن ذلك كان حين بناء البيت، و هى المتقدمة. و معنى ذلك أن عمره كان ۳۵ سنة.

و نوع آخر من الاختلاف، و هو: أن النمرة قد ضاقت عليه، فذهب يضعها على عاتقه، فبدت عورته، لصغر النمرة؛ فنودى: يا محمد، خمر عورتك. فلم ير عريانا بعد ذلك «۱».

و أخرى تقول: إن العباس طلب منه أن يضع إزاره عن عاتقه «۲».

و رواية تقول: صرع. و أخرى: لكم، و ثالثة: اغمى عليه. إلى آخر ما هنالك من وجوه الاختلاف.

طريق جمع فاشل:

و قد حاول العسقلانى و الحلبى الجمع بين الروايات:

فقال العسقلانى: إن النهى السابق لم يكن يفهم منه الشمول لصورة الاضطرار العادى. و حين بناء البيت اضطر إلى ذلك، فرأى أن لا مانع من التعرى حينئذ «۳».

و هكذا يبذل هؤلاء المحاولات لإثبات هذا الأمر الشنيع على الرسول الاكرم «صلى اللّه عليه و آله و سلم»، لأن ذلك قد ورد فى صحيح البخارى، و هو الكتاب المقدس عندهم، بل هو أصح شىء بعد القرآن.

بل إن القرآن فيه تحريف و نسخ للتلاوة و غيرها عندهم. أما البخارى فيجل عن ذلك!!

---

(۱) مسند أحمد ج ۵ ص ۴۵۵، و مصنف عبد الرزاق ج ۵ ص ۱۰۳.

(۲) ربما يجاب عن ذلك بأن العباس حين رأى ضيق النمرة طلب منه ذلك فأجاب، فنودى.

(۳) فتح البارى ج ۱ ص ۴۰۱.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۲،ص:۱۷۰

مع أنه قد فات العسقلانى هنا: أنه قد جاء فى رواية أبى الطفيل:

«فما رؤيت له عورة قبل و لا بعد» «۱».

هذا كله عدا عن أنه هو نفسه يذكر: أنه (ص) كان مصونا عما يستقبح قبل البعثة و بعدها «۲»

ثم جاء الحلبى، و قال: إن من الممكن أن تكون عورته (ص) قد انكشفت، لكن لم يرها أحد حتى العباس «۳».

و لكن ما يصنع الحلبى بعبارة البخارى، و غيره، و التى تنص على أنه: ما رؤى بعد ذلك عريانا.

و عبارة أبى الطفيل: ما رئيت له عورة قبل و لا بعد.

و ثانيا: و مما يكذب ذلك: ما ورد عنه «صلى اللّه عليه و آله و سلم»- و كأنه تنبأ عما سوف يقال زورا، و بهتانا عنه-: من كرامتى على ربى: أن أحدا لم يرعورتى. أو ما هو قريب من هذا «۴».

و ثالثا: لقد قال عنه أبو طالب «عليه السلام»، قبل بناء البيت بعشر سنوات: أنه «صلى اللّه عليه و آله و سلم» لا يوزن برجل إلا رجح به، و لا يقاس به أحد إلا و عظم عنه الخ. فكيف إذن يقدم هذا الرجل العظيم على التعرى أمام الناس، حين حمله الحجارة للكعبة؟!.

و رابعا: إن ثمة روايات تفيد: أنه «صلى اللّه عليه و آله و سلم» كان

---

(۱) فتح البارى ج ۷ ص ۱۱۱.

(۲) فتح البارى ج ۱ ص ۴۰۱.

(۳) السيرة الحلبية ج ۱ ص ۱۴۲.

(۴) السيرة الحلبية ج ۱ ص ۵۳ و ۵۴ و ۱۴۲. و كنز العمال ج ۱۲ ص ۸۳ عن الطيالسى و الخطيب و ابن عساكر، و الطبرانى و تهذيب تاريخ دمشق ج ۱ ص ۳۵۰ و المعجم الصغير ج ۲ ص ۵۹.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۲،ص:۱۷۱

مصونا من رؤية عورته حتى بالنسبة لأزواجه؛ فعن عائشة: ما رأيت عورة رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله و سلم» قط، أو نحو ذلك «۱».

و إن كانت قد عادت فذكرت: أن زيد بن حارثة قرع الباب، فقام إليه رسول اللّه يجر ثوبه عريانا، قالت: «و اللّه ما رأيته عريانا قبله و لا بعده، فاعتنقه، و قبّله» «۲».

لكن نصا آخر يقول: «فما رأيت جسمه قبلها» «۳». و هذا هو الأقرب إلى الصواب، بملاحظة ما قدمناه و ما سيأتى.

و خامسا: فى حديث الغار: أن رجلا كشف عن فرجه، و جلس يبول، فقال أبوبكر: قد رآنا يا رسول اللّه، قال: لو رآنا لم يكشف عن فرجه «۴».

و هذا يدل على أن المشركين كانوا يستقبحون أمرا كهذا، و لا يقدمون عليه؛ فكيف فعله الرسول الاعظم «صلى اللّه عليه و آله و سلم»؟!

و سادسا: لقد روى أنه (ص) كان أشد حياء من العذراء فى خدرها «۵»، فهل العذراء الخجول تستسيغ لنفسها التعرى أمام الناس.

---

(۱) الشفاء لعياض ج ۱ ص ۹۵ و شرحه للقارى عن ابن ماجة، و الترمذى فى شمائله و حياة الصحابة ج ۲ ص ۶۱۱ عن الترمذى فى

الشمائل ص ۲۶، و لسان الميزان ج ۲ ص ۹ و السيرة الحلبية ج ۱ ص ۱۴۲. و سنن ابن ماجة ج ۱ ص ۶۱۹ و راجع: صيد الخاطر ص ۴۸۱ و المعجم الصغير ج ۱ ص ۵۳.

(۲) حياة الصحابة ج ۲ ص ۵۴۴/ ۵۴۵ عن الترمذى ج ۲ ص ۹۷ و قال: حسن غريب.

(۳) صيد الخاطر ص ۴۸۱.

(۴) فتح البارى ج ۷ ص ۱۰، و السيرة الحلبية ج ۲ ص ۳۷، و البحار ج ۱۹ ص ۷۸ عن المناقب لابن شهر آشوب ج ۱ ص ۱۱۱.

(۵) راجع الغدير ج ۹ ص ۲۸۱، و عن البخارى و مسلم.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۲،ص:۱۷۲

و سابعا: عن ابن عباس: كان رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله و سلم» يغتسل وراء الحجرات، و ما رأى أحد عورته قط «۱».

و ثامنا: و قد عد من خصائصه «صلى اللّه عليه و آله و سلم»: أنه لم ترى عورته قط، و لو رآها أحد لطمست عيناه «۲».

فلماذا لم تطمس عينا العباس، الذى كان حاضرا و ناظرا، و شدّ عليه إزاره، و كذا أعين سائر من رآه حين بناء البيت؟! و كذلك لماذا لم تطمس أعين رفقائه الصغار، الذين رأوا منه ذلك و هم يلعبون؟! فإن كانوا قد رأوا، فاللازم هو طمس أعينهم، و إن لم يكونوا قد رأوا، فلماذا هذا الكذب و الافتراء، و سوء الادب، و الجرأة على مقام النبى الاقدس «صلى اللّه عليه و آله و سلم»، و التفوّه بما يتنافى مع شرفه، و علو منزلته و كرامته، و سؤوده، و تسديد اللّه له. نعوذ باللّه من الخذلان، و من وساوس الشيطان.

و تاسعا: و أخيرا، لقد روى عن أمير المؤمنين «عليه السلام» قوله:

ليس للرجل أن يكشف ثيابه عن فخذه، و يجلس بين قوم «۳».

فكيف اذن يكشف النبى الاعظم عورته أمام الناس يا ترى؟

و أخيرا، فإن ثمة نصوصا أكثر شناعة و قباحة من ذلك، نجلّ مقام النبى «صلى اللّه عليه و آله و سلم» الاقدس عن ذكرها.

ثوبى حجر!!

و بالمناسبة، فإن أمثال هذه الافتراءات قد تعدت نبينا الاكرم (ص) إلى نبى اللّه موسى «عليه السلام» و لكن بنحو أكثر شناعة، و أشد قباحة،

---

(۱) الغدير ج ۹ ص ۲۸۸ عن شرح المواهب للزرقانى ج ۴ ص ۲۸۴، و عن فتح البارى ج ۶ ص ۴۵۰.

(۲) الشفاء للقاضى عياض ج ۱ ص ۹۵ و تاريخ الخميس ج ۱ ص ۲۱۴.

(۳) البحار ج ۷۵ ص ۴۶۶.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۲،ص:۱۷۳

حيث نسبت ذلك إلى فعل اللّه سبحانه به.

فلقد روى البخارى و غيره: أن بنى اسرائيل اتهموا موسى بأنه آدر (أى مصاب بانتفاخ فى خصيته بسبب الفتق) فنزع ثوبه، و وضعه على حجر و اغتسل. فلما أراد أن يأخذ ثوبه عدا الحجر بثوبه؛ فأخذ موسى عصاه، و طلب الحجر، فجعل يقول: ثوبى حجر، ثوبى حجر، حتى نظرت بنو اسرائيل إلى موسى، فقالوا: و اللّه ما بموسى من بأس، و أخذ ثوبه، فطفق بالحجر ضربا.

قال أبو هريرة: فو اللّه، إن بالحجر لندبا: ثلاثا، أو اربعا، أو خمسا، فذلك قوله تعالى: لا تَكُونُوا كَالَّذِينَ آذَوْا مُوسى، فَبَرَّأَهُ اللَّهُ مِمَّا قالُوا، وَ كانَ عِنْدَ اللَّهِ وَجِيهاً «۱».

و لا نـدرى كيف لم يلتفت موسى إلى نفسه، حتى بلغ مجالس بنى اسرائيل؟!، و ما هو الذى أفقده صوابه حتى خرج عن حيائه و

سجيته، التى ذكرتها الرواية: أنه كان حييا ستيرا لا يرى من جلده شيء استحياء منه؟!.

و لا ندرى ما هى حقيقة هذا الحجر العبقرى! الذى يهرب من موسى، و يتركه يعدو خلفه؟! و لا ندرى كذلك كيف التفت موسى إلى عصاه قبل أن يلحق بالحجر، و ما الذى خطر فى باله آنئذ؟!.

و إذا لم يكن الحجر مأمورا، فما الذى جعله يقوم بهذه العملية،

---

(۱) البخارى ط سنة ۱۳۰۹ ج ۱ ص ۴۰ و ج ۲ ص ۱۵۸، و مسند أحمد ج ۲ ص ۳۱۵ و الدر المنثور ج ۵ ص ۲۲۳ عنه و عن عبد الرزاق، و أحمد، و عبد بن حميد، و الترمذى، و ابن جرير، و ابن المنذر، و ابن أبى حاتم، و ابن مردويه و ابن الأنبارى فى المصاحف، و البزار، و الحاكم و صححه، و ابن أبى شيبة، عن أبى هريرة، و أنس، و ابن عباس، و تفسير الميزان ج ۱۶ ص ۳۵۳، و تفسير القمى ج ۲ ص ۱۹ بسند حسن و لكن نسبة التفسير إلى القمى مشكوك فيها و مشكل الآثار ج ۱ ص ۱۱ و تفسير نور الثقلين ج ۴ ص ۳۰۹ و تفسير البرهان ج ۳ ص ۳۳۹. و كشف الأستار ج ۳ ص ۶۶ و مجمع الزوائد ج ۷ ص ۹۳.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۲،ص:۱۷۴

و يخرجه عن وضعه الطبيعى؟!، و إذا كان مأمورا، فلماذا لم يدرك موسى ذلك بمجرد تحرك الحجر بثوبه الذى هو أمر خارق للعادة؟. هذا مع كونه يناديه و يخاطبه، حتى كأنه عاقل مدرك لما يقول!!

و أخيرا، فإننى لا أدرى ما هو ذنب هذا الحجر، حتى استحق هذا الضرب الوجيع الذى أثر فيه و جعل فيه ندبا؟! و لماذا لم يعين لنا عدد تلك الندب، فذكرت على نحو الترديد: ثلاثا، أو أربعا، أو خمسا؟!. و فى بعض الروايات: ستا، سبعا؟!.

و إذا كان أبو هريرة قد بلغ به النسيان هذا الحد، فكيف استطاع أن يحفظ تلك التفاصيل الدقيقة للقصة نفسها؟!.

ثم كيف استطاع أن يحفظ هذه الآلاف المؤلفة من الاحاديث عن رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله و سلم»؟!.

هذا و تحسن الإشارة هنا إلى أنه لا يرد كثير مما ذكرنا، على رواية القمى التى لم تذكر عصاه، و مناداته، و ضربه للحجر. و لعلها أقرب إلى الاعتبار من تلك الرواية البخارية.

و قد جاء أن آية ايذاء موسى، قد نزلت فى طعن بنى اسرائيل على موسى بسبب هارون: لأنه توجه معه إلى زيارة، فمات هارون؛ فدفنه موسى؛ فاتهمه بعض بنى اسرائيل بقتله، فبرأه اللّه تعالى بأن أخبرهم جسد هارون بأنه مات و لم يقتل «۱».

حياء عثمان:

هذا، و لا بأس بالمقارنة بين ما يذكر هنا عن نبينا الاعظم «صلى اللّه

---

(۱) فتح البارى ج ۶ ص ۳۱۳ عن ابن مردويه و الطحاوى، و ابن منيع بسند حسن، و الدر المنثور ج ۵ ص ۲۲۳ عن هؤلاء و عن ابن جرير، و ابن المنذر، و ابن أبى حاتم، و الحاكم، و صححه عن ابن عباس، و مشكل الآثار ج ۱ ص ۱۲.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۲،ص:۱۷۵

عليه و آله و سلم» و بين ما يذكر عن حياء عثمان، حتى إن أبابكر، و عمر ليدخلان على النبى «صلى اللّه عليه و آله و سلم»، و فخذه مكشوفة، فلا يسترها، حتى إذا دخل عليه عثمان جلس، و ستر فخذه، و سوى عليه ثيابه؛ فتسأله عائشة؛ فيجيبها بأنه: ألا يستحى من رجل تستحى منه الملائكة؟ أو ما هو قريب من هذا «۱».

هذا، مع أن هذا النبى «صلى اللّه عليه و آله و سلم» نفسه يأمر و يؤكد باستمرار بالحياء، و يحث عليه، فيقول: إذا لم تستح، فاصنع ما شئت.

و يقول: الحياء من الايمان، و الايمان فى الجنة. إلى غير ذلك من النصوص الكثيرة عنه «صلى اللّه عليه و آله و سلم» و لا مجال لتتبعها.

كما أن أبا سعيد الخدرى قد وصف النبى «صلى اللّه عليه و آله و سلم» بأنه: أشد حياء من العذراء فى خدرها «۲».

و أيضا، فإنهم ينقلون عنه «صلى اللّه عليه و آله و سلم»: أنه أمر رجلا

---

(۱) مجمع الزوائد ج ۹ ص ۸۲، و البداية و النهاية ج ۷ ص ۲۰۲ عن الطبرانى فى الكبير، و الأوسط، و مسند أحمد، و أبى يعلى، و تاريخ جرجان ص ۴۱۶، و المصنف ج ۱۱ ص ۲۳۲/ ۲۳۳ و المحاسن و المساوى ج ۱ ص ۶۱ و حياة الصحابة ج ۲ ص ۶۱۱ و ۶۱۲ عن الأولين و مشكل الآثار ج ۲ ص ۲۸۳/ ۲۸۴، و مسند أحمد ج ۱ ص ۷۱ و ج ۶ ص ۶۲ و ۱۵۵ و ۱۶۷ و صحيح مسلم ج ۷ ص ۱۱۶/ ۱۷۷، و الغدير ج ۹ ص ۲۷۴ و ۲۷۵ و ۲۸۷ و ص ۲۹۰ عن الأخيرين و عن: مصابيح السنة ج ۲ ص ۲۷۳، و الرياض النضرة ج ۲ ص ۸۸ و راجع: تأويل مختلف الحديث ص ۳۲۳ و التراتيب الإدارية ج ۲ ص ۳۸۳ و ۳۸۴ و فيه أحاديث أخرى عن حياء الملائكة من عثمان و مسند أبى يعلى ج ۷ ص ۴۱۵.

(۲) البداية و النهاية ج ۶ ص ۳۶، و مجمع الزوائد ج ۹ ص ۱۷، عن الطبرانى بإسنادين، رجال أحدهما رجال الصحيح، و صحيح مسلم ج ۷ ص ۸۷، و الغدير ۹ ص ۲۸۱ عن البخارى باب صفة النبى (ص) و عن مسلم، و حياة الصحابة عن بعض من تقدم و عن الترمذى ص ۲۶.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۲،ص:۱۷۶

بستر فخذه؛ فإنها من العورة «۱».

و أما ما يدل على أن ما بين السرة و الركبة عورة، فكثير أيضا «۲».

و عن حياء أبى موسى و أبى بكر، و الخدرى «۳» هناك نصوص لا مجال لإيرادها فعلا.

و قد قال العلامة الامينى: «هب أن النهى عن كشف الأفخاذ تنزيهى، إلا أنه لا شك فى أن سترها أدب من آداب الشريعة، و من لوازم الوقار، و مقارنات الأبهة، و رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله و سلم» أولى برعاية هذا الأدب، الذى صدع به هو الخ» «۴».

أهل الكتاب، و تعرّى الانبياء:

و لا بد أن نشير أخيرا إلى أننا نجد لهذا الأمر أصلا عند أهل الكتاب،

---

(۱) مسند أحمد ج ۵ ص ۲۹۰ و ج ۱ ص ۲۷۵، و صحيح البخارى ج ۱ ص ۵۱ و سنن البيهقى ج ۲ ص ۲۲۸، و الإصابة ج ۳ ص ۴۴۸، و فتح البارى ج ۱ ص ۴۰۳، و نيل الأوطار ج ۲ ص ۵۰، و مستدرك الحاكم ج ۴ ص ۱۸۰/ ۱۸۱، و مجمع الزوائد ج ۲ ص ۵۲ عن أحمد و الطبرانى فى الكبير و الغدير ج ۹ ص ۲۸۲ فما بعدها عن من تقدم و عن إرشاد السارى، و ابن حبان فى صحيحه و ليراجع: موطأ مالك، و الترمذى، و أبو داود، و مشكل الآثار ج ۲ ص ۲۸۴ و ۲۸۵ و ۲۸۶ و حتى ص ۲۹۳.

و المصنف ج ۱۱ ص ۲۷ و تأويل مختلف الحديث ص ۳۲۳/ ۳۲۴.

(۲) راجع: الغدير ج ۹ ص ۲۸۵، و ۲۸۴، و ۲۸۸، ۲۹۰ و ۲۹۱ و ۲۹۲. و المعجم الصغير ج ۲ ص ۹۶. و حياة الصحابة ج ۲ ص ۶۱۲/ ۶۱۳ تجد كثيرا من أقوال العلماء و النصوص حول ذلك.

(۳) راجع: طبقات ابن سعد ج ۴ ص ۱۱۳ و ۱۱۴ و الزهد و الرقائق ص ۱۰۷ و ربيع الأبرار ج ۱ ص ۷۶۰ و حياة الصحابة ج ۳ ص ۴۸۲ عن كنز العمال ج ۸ ص ۳۰۶ و ج ۵ ص ۱۲۴ و عن حلية الأولياء ج ۱ ص ۳۴، و الغدير ج ۷ ص ۲۴۸ و ج ۹ ص ۲۸۱.

(۴) الغدير ج ۹ ص ۲۸۵.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۲،ص:۱۷۷

فلعل الخطة الأموية الملعونة قد استفادت أصل هذا الموضوع من أهل الكتاب!!.

فقد جاء فى أخريات العشرين من أشعيا: أن اللّه أمر نبيه أشعيا: أن يمشى عريانا و حافيا بين الناس ثلاث سنين، ليبلغ الناس، و يقول لهم: هكذا يسوق ملك آشور سبى مصر، و جلاء كوش الفتيان و الشيوخ عراة و حفاة، و مكشوفى الاستاه، خزيا لمصر.

و جاء فى تاسع التكوين الفقرة (۲۱): و شرب نوح من الخمر فسكر، و تعرّى داخل جنانه.

و فى صموئيل الأولى، الاصحاح التاسع عشر، الفقرة ۲۳/ ۲۴: «فكان يذهب و يتنبأ، حتى جاء نايوت فى الرامة، فخلع هو أيضا ثيابه، و تنبأ هو أيضا أمام صموئيل، و انطرح عريانا ذلك النهار كله، و كل الليل، لذلك يقولون:

أشاول أيضا بين الأنبياء».

ولادة فاطمة بنت الرسول (ص):

يذكر البعض: أن فاطمة الزهراء «عليها السلام»، بنت الرسول الاكرم «صلى اللّه عليه و آله و سلم»، قد ولدت قبل البعثة، ثم يختلفون- أولئك البعض- فيما بينهم فى تحديد سنة ولادتها، فبعضهم يقول: إنها ولدت سنة بناء الكعبة، أى قبل البعثة بخمس سنين «۱».

و بعضهم يقول: إنها ولدت قبل البعثة بسبع سنين «۲»؛ و قيل «۳»:

---

(۱) راجع: تاريخ الخميس ج ۱ ص ۲۷۷، و ذخائر العقبى ص ۵۲ و مقاتل الطالبيين ص ۴۸، و سيرة مغلطاى ص ۱۷ عن ابن الجوزى. و البحار ج ۴۳ ص ۹.

(۲) تاريخ الخميس ج ۱ ص ۲۷۸، و ذخائر العقبى ص ۵۲.

(۳) المصدران السابقان.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۲،ص:۱۷۸

باثنتى عشرة سنة «۱».

و القائلون بأنها ولدت بعد البعثة اختلفوا أيضا، بين قائل: إنها ولدت سنة البعثة «۲»، و قيل: فى الثانية «۳». و قيل: سنة أحدى و اربعين من عمره الشريف «۴».

القول الحق:

و القول الحق هو ما عليه شيعة أهل البيت تبعا لأئمتهم «عليهم السلام»، و أهل البيت أدرى بما فيه، و تابعهم عليه جماعة من غيرهم،

---

(۱) تاريخ الخميس ج ۱ ص ۲۷۷، و ذخائر العقبى ص ۵۲، و المواهب اللدنية ج ۱ ص ۱۹۸ و الاستيعاب هامش الإصابة ج ۴ ص ۳۷۴، و اختاره الحاكم فى المستدرك ج ۳ ص ۱۶۱.

(۲) البحار ج ۴۳ ص ۸ عن إقبال الأعمال، عن حدائق الرياض، للشيخ المفيد رحمه اللّه و تاريخ الخلفاء: ص ۷۵. و هو مقتضى كلام العسقلانى فى تهذيب التهذيب: ج ۲ ص ۴۴۱ حيث قال: إنها تزوجت فى السنة الثانية من الهجرة و عمرها خمسة عشر سنة و خمسة أشهر و نصفا.

(۳) البحار: ج ۴۳ ص ۹، و فى الاستيعاب (بهامش الإصابة): ج ۴ ص ۳۷۴ أنها ولدت سنة إحدى و أربعين من مولد النبى (ص) و

نهاية الإرب ج ۱۸ ص ۲۱۳.

(۴) فى مستدرك الحاكم ج ۳ ص ۱۶۳ ذكر أنها ماتت و عمرها (۲۱) سنة و ولدت على رأس (۴۱) من مولده (ص). و كذا فى نهاية الارب ج ۱۸ ص ۲۱۳ و دلائل النبوة للبيهقى ط دار الكتب العلمية ج ۲ ص ۷۱ و التبيين فى أنساب القرشيين ص ۹۱ و مختصر تاريخ دمشق ج ۲ ص ۲۶۹ و المواهب اللدنية ج ۱ ص ۱۹۸ و الاستيعاب بهامش الإصابة ج ۴ ص ۳۷۴.

و سيرة مغلطاى ۱۷، و البحار ج ۴۳ ص ۸، و ملحقات احقاق الحق للمرعشى ج ۱۰ ص ۱۱ عن الثغور الباسمة للسيوطى. و راجع: البصائر و الذخائر ج ۱ ص ۱۹۳ و راجع تاريخ اليعقوبى ج ۲ ص ۲۰.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۲،ص:۱۷۹

و هو أنها قد ولدت فى السنة الخامسة من البعثة، و توفيت و عمرها ثمانية عشر عاما «۱».

و يدل على ذلك، أو يؤيده:

۱- ما تقدم فى البحث عن أولاد خديجة، من أن البعض قد ذكر أنهم كلهم قد ولدوا بعد الاسلام باستثناء عبد مناف «۲»، مع العلم بأن فاطمة «عليه السلام» كانت أصغر أولاده «صلى اللّه عليه و آله و سلم».

و يدل على ذلك: أنه قد ذكر فى الاستيعاب فى ترجمة خديجة: أن الطيب قد ولد بعد النبوة، و ولدت بعده أم كلثوم، ثم فاطمة.

۲- و يدل على أنها قد ولدت بعد البعثة روايات كثيرة، أوردها جماعة من العلماء، على اختلاف نحلهم و مشاربهم، تدل على أن نطفتها قد انعقدت من ثمر جاء به جبرئيل إلى النبى «صلى اللّه عليه و آله و سلم» من الجنة، حين الاسراء و المعراج، و ذلك مروى عن عدد من الصحابة، منهم: عائشة، و عمر بن الخطاب، و سعد بن مالك، و ابن عباس، و غيرهم «۳».

---

(۱) ذخائر العقبى ص ۵۲ و تاريخ الخميس ج ۱ ص ۲۷۸ نقلا عن الإمام أبى بكر أحمد بن نصر بن عبد اللّه الدراع فى كتاب تاريخ مواليد أهل البيت و مروج الذهب: ج ۲ ص ۲۸۹، و البحار ج ۴۳ ص ۱- ۱۰ عن الكافى بسند صحيح، و المصباح الكبير، و دلائل الإمامة، و مصباح الكفعمى، و الروضة، و مناقب ابن شهر آشوب، و فى الأخيرين: أنها ولدت بعد البعثة بخمس سنين، و بعد الإسراء بثلاث سنين، و كذا فى كشف الغمة: ج ۲ ص ۷۵، و إثبات الوصية للمسعودى، و غير ذلك.

(۲) راجع: البدء و التاريخ ج ۵ ص ۱۶، و المواهب اللدنية ج ۱ ص ۱۹۶، و تاريخ الخميس ج ۱ ص ۲۷۲.

(۳) تجد بعض هذه الروايات فى كتب الشيعة، مثل: البحار ج ۴۳ ص ۴ و ۵ و ۶ عن أمالى الصدوق، و عيون أخبار الرضا، و معانى الأخبار، و علل الشرائع، و تفسير القمى، و الاحتجاج و غير ذلك. و الأنوار النعمانية ج ۱ ص ۸۰. و فى كتب غيرهم

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۲،ص:۱۸۰

و إذا أمكنت المناقشة فى بعض تلك الروايات فإن البعض الآخر لا مجال للنقاش فيه.

و يؤيد ذلك أيضا: أن النسائى قد روى: أنه لما خطب أبو بكر و عمر فاطمة ردّهما «صلى اللّه عليه و آله و سلم»، و قال لهما: إنها صغيرة «۱». فلو كان عمرها سبع عشرة سنة أو أكثر، فلا يقال: إنها صغيرة.

و يؤيده أيضا: ما روى من أن خديجة رحمها اللّه كانت قد هجرتها نساء قريش، فلما حملت بفاطمة كانت تحدثها من بطنها، و تصبّرها «۲».

بقى أن نشير إلى أن استبعاد حمل خديجة بفاطمة فى السنة الخامسة من البعثة؛ لأن سن خديجة كان حينئذ عاليا- هذا الاستبعاد- فى غير محله؛ لما تقدم، من أن سن خديجة حينئذ كان ما بين ۴۵ حتى ۵۰ سنة بناء على عدد من الأقوال فى مقدار عمرها، و لعل من بينها ما هو الأقوى، و إن كان المشهور خلافه.

مثل: المستدرک على الصحيحين: ج ۳ ص ۱۵۶، و تلخيصه للذهبى (مطبوع بهامشه)، و نزل الأبرار: ص ۸۸، و الدر المنثور: ج ۴ ص ۱۵۳، و تاريخ بغداد:

ج ۵ ص ۸۷، و المناقب لابن المغازلى: ص ۳۵۷. تاريخ الخميس ج ۱ ص ۲۷۷، و ذخائر العقبى ص ۳۶ و لسان الميزان ج ۱ ص ۱۳۴ و اللآلى المصنوعة ج ۱ ص ۳۹۲- ۳۹۴، و نقله النجفى فى ملحقات إحقاق الحق ج ۱۰ ص ۱- ۱۰ عن بعض من تقدم و عن ميزان الاعتدال و الروض الفائق، و نزهة المجالس، و مجمع الزوائد، و كنز العمال، و منتخبه، و محاضرة الأوائل. و مقتل الحسين للخوارزمى، و مفتاح النجاة، و المناقب لعبد اللّه الشافعى، و إعراب ثلاثين سورة، و اخبار الدول. و ستأتى بغية المصادر حين الكلام حول تاريخ الإسراء و المعراج.

(۱) راجع: خصائص أمير المؤمنين على بن أبى طالب: ص ۱۱۴، و المناقب لابن شهر اشوب: ج ۳ ص ۳۴۵، و تذكرة الخواص: ص ۳۰۶/ ۳۰۷.

(۲) البحار ج ۴۳ ص ۲.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۲،ص:۱۸۱

و حتى على هذا المشهور؛ فإن عمر خديجة حينئذ كان لا يأبى عن الحمل؛ فإن القرشية يستمر حيضها إلى الستين، كما هو مقرر فى الفقه.

و هذا يعنى أن قابلية الحمل موجودة أيضا، كما هو ظاهر.

و مما ذكرناه، و من قول المصباح: «و العامة تروى: أن مولدها كان قبل المبعث بخمس سنين» «۱»، نعرف: أن المسعودى قد اشتبه فى نسبة القول بالتسع و العشرين إلى أكثر أهل البيت و شيعتهم «۲». و لعله سهو من قلمه، أو عمد أو سهو من النساخ، بحيث كان فى الاصل تسع عشرة، فبدل إلى تسع و عشرين.

و بعد كل ما تقدم؛ فإنه إذا كانت فاطمة قد ولدت فى السنة الخامسة من البعثة؛ فإنها تكون قد توفيت و عمرها ثمانية عشر عاما فقط، كما هو ظاهر.

---

(۱) البحار ج ۴۳ ص ۲ و ليراجع حتى ص ۱۰

(۲) التنبيه و الإشراف ص ۲۵۰.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۲،ص:۱۸۳

الفصل الخامس: بحوث تسبق السيرة

اشارة

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۲،ص:۱۸۵

البحث الأول: إيمان آباء النبى (ص) إلى آدم (ع):

اشارة

قالوا: إن كلمة الامامية قد اتفقت على أن آباء النبى «صلى اللّه عليه و آله و سلم»، من آدم إلى عبد اللّه كلهم مؤمنون موحدون «۱». بل و يضيف المجلسى قوله: «... بل كانوا من الصديقين، إما انبياء مرسلين، أو أوصياء معصومين، و لعل بعضهم لم يظهر الاسلام،

لتقية، أو لمصلحة دينية». «۲»

و يضيف الصدوق هنا: أن أم النبى «صلى اللّه عليه و آله و سلم» آمنة بنت وهب كانت مسلمة أيضا «۳».

و معنى ذلك: هو أنه ليس فى آباء الرسول «صلى اللّه عليه و آله و سلم» إلا الخير و البركة، و هذا هو ما ورثه الرسول عنهم، و يتأكد بذلك

---

(۱) راجع: أوائل المقالات ص ۱۲، و تصحيح الاعتقاد ص ۶۷، و تفسير الرازى ج ۲۴ ص ۱۷۳ ط دار الكتب العلمية بطهران و فى طبعة أخرى ج ۴ ص ۱۰۳، و البحار ج ۱۵ ص ۱۱۷، و مجمع البيان ج ۴ ص ۳۲۲، و ليراجع البداية و النهاية ج ۲ ص ۲۸۱.

(۲) البحار ج ۱۵ ص ۱۱۷.

(۳) نفس المصدر.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۲،ص:۱۸۶

طهارته «صلى اللّه عليه و آله و سلم» من الأرجاس، و الرذائل، حتى ما يكون عن طريق الوراثة، و الناس معادن كمعادن الذهب و الفضة، و هو ما أثبته العلم الحديث أيضا، حيث لم يبق ثمة أية شبهة فى تأثير عامل الوراثة فى تكوين شخصية الإنسان، و فى خصاله و مزاياه.

قال ابو حيان الاندلسى: «ذهبت الرافضة إلى أن آباء النبى «صلى اللّه عليه و آله و سلم» كانوا مؤمنين» «۱».

أما غير الامامية، فذهب اكثرهم إلى كفر والدى النبى و غيرهما من آبائه «صلى اللّه عليه و آله و سلم»، و ذهب بعضهم إلى ايمانهم.

و ممن صرح بايمان عبد المطلب، و غيره من آبائه «صلى اللّه عليه و آله و سلم»، المسعودى، و اليعقوبى، و هو ظاهر كلام الماوردى، و الرازى فى كتابه اسرار التنزيل، و السنوسى، و التلمسانى محشى الشفاء، و السيوطى، و قد ألف هذا الاخير عدة رسائل لإثبات ذلك «۲».

و فى المقابل قد الف بعضهم رسائل لإثبات كفرهم، مثل ابراهيم الحلبى، و على القارى الذى فصّل ذلك فى شرح الفقه الاكبر، و اتهموا السيوطى بأنه متساهل، لا عبرة بكلامه، مالم يوافقه كلام الائمة النقاد.

و سيأتى فى آخر هذا البحث إن شاء اللّه تعالى ما يشير إلى السبب فى الإصرار على كفر آباء النبى «صلى اللّه عليه و آله و سلم» و أعمامه.

---

(۱) تفسير البحر المحيط ج ۷ ص ۴۷.

(۲) رسائل السيوطى، هى التالية:

۱- مسالك الحنفا. ۲- الدرج المنيفة فى الآباء الشريفة. ۳- المقامة السندسية فى النسبة المصطفوية. ۴- التعظيم و المنة فى أن أبوى رسول اللّه (ص) فى الجنة. ۵- السبل الجلية فى الآباء العلية. ۶- نشر العلمين المنيفين. فى إثبات عدم وضع حديث إحياء أبويه (ص) و إسلامهما على يديه (ص).

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۲،ص:۱۸۷

بعض الأدلة على إيمانهم:

و قد قال الإمامية: إن ثمة روايات كثيرة تدل على ايمان آبائه «صلى اللّه عليه و آله و سلم»، بالاضافة إلى اجماع الطائفة المحقّة، و هذا الإجماع و إن كان معلوم المستند، فلا بد من النظر إلى مستنده نفسه، و مستند ذلك هو الاخبار. و الاحاطة بجميعها متعسر، إن لم

يكن متعذرا «۱».

و هذا هو الدليل المعتمد.

و قد استدلوا على ذلك ايضا:

۱- بقوله «صلى اللّه عليه و آله و سلم»: «لم يزل ينقلنى اللّه من أصلاب الطاهرين إلى ارحام المطهرات، حتى اخرجنى فى عالمكم، و لم يدنسنى بدنس الجاهلية». «۲»

و لو كان فى آبائه «صلى اللّه عليه و آله و سلم» كافر، لم يصفهم كلهم بالطهارة، مع قوله تعالى: «إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ». «۳»

إلا أن يكون المقصود هو الطهارة من العهر، أو من الأرجاس و الرذائل، و هو لا يلازم الكفر.

---

(۱) ذكر طائفة منها العلامة المجلسى رحمه اللّه فى البحار: ج ۱۵، و السيوطى فى رسائله المشار إليها، فراجع رسالة السبل الجلية: ص ۱۰ فما بعدها، و راجع أيضا: السيرة الحلبية، و غير ذلك و تاريخ الخميس ج ۱ ص ۲۳۴ فما بعدها.

(۲) مجمع البيان ج ۴ ص ۳۲۲، و البحار ج ۱۵ ص ۱۱۷ و ۱۱۸ و تفسير الرازى ج ۲۴ ص ۱۷۴ و السيرة الحلبية ج ۱ ص ۳۰، و الدر المنثور ج ۵ ص ۹۸، و سيرة دحلان ج ۱ ص ۱۸ و تصحيح الاعتقاد ص ۶۷ و تاريخ الخميس ج ۱ ص ۲۳۴ و تفسير البحر المحيط ج ۷ ص ۴۷.

(۳) راجع: المصادر المتقدمة.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۲،ص:۱۸۸

۲- و استدلوا على ذلك ايضا بقوله تعالى: «الَّذِى يَرَاكَ حِينَ تَقُومُ، وَ تَقَلُّبَكَ فِى السَّاجِدِينَ» «۱». لما روى عن ابن عباس، و أبى جعفر، و أبى عبد اللّه «عليهما السلام»: انه «صلى اللّه عليه و آله و سلم» لم يزل ينقل من صلب نبى إلى نبى.

و يمكن المناقشة فى ذلك أيضا: بأن الآية تقول: إنه تعالى يراه حال عبادته و سجوده؛ فهو «صلى اللّه عليه و آله و سلم» فى جملة الساجدين الموجودين فعلا، و غيرهم.

لا أنه يراه و هو يتقلب فى أصلاب الانبياء.

و لو ثبتت الرواية، فيمكن القول بانها لا تدل على استغراق ذلك لجميع آبائه؛ فلعله يرى تقلبه فى أصلاب الانبياء من آبائه، كما يرى تقلبه فى أصلاب غير الانبياء.

هذا، عدا عن أن من الصعب جدا اثبات نبوة جميع آبائه «صلى اللّه عليه و آله و سلم» إلى آدم «عليه السلام».

و أما أدلة غير الامامية فقد استقصاها السيوطى فى رسائله المشار اليها، ولكن استعراضها و الاستقصاء فيها نقضا و ابراما يحتاج إلى وقت طويل، و تأليف مستقل.

۳- و يمكن أن يستدل على ايمان آبائه «صلى اللّه عليه و آله و سلم» إلى إبراهيم بقوله تعالى، حكاية لقول إبراهيم و إسماعيل: «وَ اجْعَلْنا مُسْلِمَيْنِ لَكَ، وَ مِنْ ذُرِّيَّتِنا أُمَّةً مُسْلِمَةً لَكَ» «۲»، مع قوله تعالى:

---

(۱) الشعراء ۲۱۸/ ۲۱۹ و راجع تاريخ الخميس ج ۱ ص ۲۳۴ و ۲۳۵ و تفسير البحر المحيط ج ۷ ص ۴۷.

(۲) البقرة: ۱۲۸.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۲،ص:۱۸۹

«وَ جَعَلَها كَلِمَةً باقِيَةً فِى عَقِبِهِ «۱»»، أى فى عقب ابراهيم، فيدل على أنه لا بد أن تبقى كلمة اللّه فى ذرية ابراهيم، و لا يزال ناس منهم على الفطرة يعبدون اللّه تعالى حتى تقوم الساعة. و لعل ذلك استجابة منه تعالى لدعاء ابراهيم الذى قال: «وَ اجْنُبْنِى وَ بَنِىَّ أَنْ نَعْبُدَ

الْأَصْنامَ «۲»» و قوله:

«رَبِّ اجْعَلْنِى مُقِيمَ الصَّلاةِ وَ مِنْ ذُرِّيَّتِى «۳»».

و واضح أنه: لو أنه تعالى قد استجاب لابراهيم فى جميع ذريته لما كان ابو لهب من أعظم المشركين، و اشدهم على رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله و سلم». و هذا ما يفسر الاتيان بمن التبعيضية فى قوله: «وَ مِنْ ذُرِّيَّتِى».

استغفار ابراهيم (ع) لابيه:

و قد اعترض على القائلين بايمان جميع آبائه «صلى اللّه عليه و آله و سلم» إلى آدم، بأن القرآن الكريم ينص على كفر آزر أبى ابراهيم، قال تعالى: «وَ ما كانَ اسْتِغْفارُ إِبْراهِيمَ لِأَبِيهِ إِلَّا عَنْ مَوْعِدَةٍ وَعَدَها إِيَّاهُ، فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ أَنَّهُ عَدُوٌّ لِلَّهِ تَبَرَّأَ مِنْهُ، إِنَّ إِبْراهِيمَ لَأَوَّاهٌ حَلِيمٌ» «۴».

و أجابوا:

أولا: إن إبن حجر يدعى اجماع المؤرخين على أن آزر لم يكن أبا لابراهيم، و إنما كان عمه، أو جده لأمه، على اختلاف النقل «۵» و إسم أبيه

---

(۱) الزخرف: ۲۸.

(۲) ابراهيم: ۳۵.

(۳) ابراهيم: ۴.

(۴) التوبة: ۱۱۴.

(۵) راجع: السيرة النبوية لدحلان ج ۱ ص ۳۷، و راجع: الدر المنثور للعاملى: ج ۱ ص ۱۶۰.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۲،ص:۱۹۰

الحقيقى: تارخ «۱»، و انما اطلق عليه لفظ الاب توسعا، و تجوزا و هذا كقوله تعالى: «أَمْ كُنْتُمْ شُهَداءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ الْمَوْتُ؛ إِذْ قالَ لِبَنِيهِ ما تَعْبُدُونَ مِنْ بَعْدِى؟ قالُوا: نَعْبُدُ إِلهَكَ وَ إِلهَ آبائِكَ «۲»». ثم عد فيهم اسماعيل، و ليس من آبائه؛ و لكنه عمه.

و قد ذكر بعض العلماء: أن اسم آزر لم يذكر فى القرآن إلا مرة واحدة فى أول الأمر، ثم لم يتكرر إسمه فى غير ذلك المورد، تنبيها على أن المراد بالأب: آزر.

و ثانيا: إن استغفار ابراهيم لابيه قد كان فى اول عهده و فى شبابه، مع أننا نجد أن إبراهيم حين شيخوخته، و بعد أن رزق أولادا، و بلغ من الكبر عتيا يستغفر لوالديه، قال تعالى حكاية عنه: رَبَّنَا اغْفِرْ لِى وَ لِوالِدَىَّ وَ لِلْمُؤْمِنِينَ، يَوْمَ يَقُومُ الْحِسابُ «۳» قال هذا بعد أن وهب اللّه له على الكبر اسماعيل و اسحاق حسب نص الآيات الشريفة. «۴» مع أن الآية تفيد: أن الإستغفار الأول قد تبعه التبرّؤ مباشرة.

و لكن من الواضح: أن بين الوالد و الأب فرقا، فإن الأب يطلق على المربى و على العم و الجد، أما «الوالد» فإنما يخص الوالد بلا واسطة.

فالإستغفار الثانى إنما كان للوالد، أما الأول فكان للأب.

و ثالثا: إنه يمكن أن يكون ذلك الذى استغفر له، و تبرأ منه، قد عاد إلى الايمان، فعاد هو إلى الاستغفار له.

هذا، ولكن بعض الأعلام «۵» يرى: أن اجماع المؤرخين على أن أبا

---

(۱) الدر المنثور للعاملى: ج ۱ ص ۱۶۰ و تاريخ الخميس ج ۱ ص ۲۳۵ و ۲۳۶.

(۲) البقرة ۱۳۳.

(۳) ابراهيم ۴۱.

(۴) راجع: تفسير الميزان ج ۱۲ ص ۷۸/ ۷۹.

(۵) هو العلامة المحقق السيد مهدى الروحانى.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۲،ص:۱۹۱

ابراهيم ليس آزر منشؤه التوراة، التى تذكر ان اسم أبى ابراهيم هو: «تارخ». ثم ذكر ما استظهرناه نحن أيضا من أن من الممكن أن يكون نفس والد إبراهيم قد كان مشركا يجادله فى الايمان باللّه، فوعده بالاستغفار له، و وفى بوعده، ثم عاد فآمن بعد ذلك فكان يدعو له بعد ذلك أيضا حتى فى أواخر حياته هو كما اسلفنا.

و هذا الإحتمال و إن كان واردا حيث لا ملزم لحمل الأب فى القرآن، و الوالد على المجاز.

إلا أنه ينافى الإجماع و الأخبار؛ فلا محيص عن الإلتزام بما ذكرناه آنفا من أن المراد بالأب هو العم و المربى، لا الوالد على الحقيقة.

مع عدم قبولنا منه قوله: إن استعمال الاب فى العم المربى، يكون مجازا.

ان أبى و أباك فى النار:

روى مسلم و غيره: أن رجلا سأل النبى «صلى اللّه عليه و آله و سلم»: أين أبى؟ فقال: فى النار. فلما قفا دعاه، و قال له: إن أبى و أباك فى النار «۱».

و نقول: إن هذا لا يصح.

أولا: لما تقدم. مما يدل على إيمان جميع آبائه «صلى اللّه عليه و آله و سلم».

و ثانيا: لقد روى هذه الرواية حماد بن سلمة، عن ثابت، عن أنس.

---

(۱) راجع بالإضافة إلى صحيح مسلم: صفة الصفوة ج ۱ ص ۱۷۲ عن مسلم و الإصابة ج ۱ ص ۳۳۷ عن ابن خزيمة، و سنن أبى داود المطبوع مع عون المعبود ج ۱۲ ص ۴۹۴، و البداية و النهاية ج ۲ ص ۲۸۰ عن مسلم و مسالك الحنفا ص ۵۴ عن مسلم و تاريخ الخميس ج ۱ ص ۲۳۲.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۲،ص:۱۹۲

مع أننا نجد: أن معمرا قد روى نفس هذا الحديث عن ثابت عن أنس، و لكن بنحو آخر لا يدل على كفر أبيه «صلى اللّه عليه و آله و سلم»، فقد قال له «صلى اللّه عليه و آله و سلم»: «حيثما- أو إذا- مررت بقبر كافر فبشره بالنار «۱»».

و قد نص علماء الجرح و التعديل- من اصحاب هؤلاء الرواة- على أن معمرا أثبت من حماد. و أن الناس قد تكلموا فى حفظ حماد، و وقع فى احاديثه مناكير، دسّها ربيعة فى كتبه، و كان حماد لا يحفظ، فحدث بها، فوهم فيها «۲».

و ثالثا: لقد رويت هذه الرواية بسند صحيح على شرط الشيخين عن سعد بن ابى وقاص، و جاء فيها: حيثما مررت بقبر كافر فبشره بالنار «۳».

و كذا أيضا روى عن الزهرى، بسند صحيح أيضا «۴»

و رابعا: كيف يكون أبواه «صلى اللّه عليه و آله و سلم»، و أبو طالب، و عبد المطلب، و غيرهم، فى النار حسب اصرار هؤلاء، ثم يكون ورقة بن نوفل، الذى أدرك البعثة، و لم يسلم، فى الجنة عليه ثياب السندس «۵».

و كذلك فان زيد بن عمرو بن نفيل- ابن عم عمر بن الخطاب- فى الجنة يسحب ذيولا، مع أنه مثل ورقة الآنف الذكر «۶». كما أن

أمية بن أبى

---

(۱) السيرة الحلبية ج ۱ ص ۵۰/ ۵۱، مسالك الحنفا ص ۵۴/ ۵۵.

(۲) السيرة الحلبية ج ۱ ص ۵۱، و مقدمة فتح البارى ص ۳۹۷، و تهذيب التهذيب ج ۳ ص ۱۲- ۱۵. و مسالك الحنفا ۵۵.

(۳) السيرة الحلبية ج ۱ ص ۵۱ عن البزار، و الطبرانى، و البيهقى، و البدايـة و النهاية ج ۲ ص ۲۸۰. عن البيهقى، و مسالك الحنفا ص ۵۵ عنهم و ص ۵۶ عن ابن ماجة.

(۴) مصنف الحافظ عبد الرزاق ج ۱۰ ص ۴۵۴.

(۵) سيأتى بعض الحديث عن ورقة حين الكلام على روايات بدء الوحى فانتظر.

(۶) السيرة النبوية لدحلان ج ۱ ص ۳۹ و ۱۶۸ و البداية و النهاية ج ۲ ص ۲۳۷- ۲۴۱.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۲،ص:۱۹۳

الصلت كاد يسلم فى شعره، و هكذا؟!. «۱»

و كيف تطرح كـل تلـك الاحاديث و التواريـخ المتضافرة، المتواترة الدالّـة على ايمان أولئك، و يتشـبث لايمان هؤلاء ببيت شـعر، أو بكلمة عابرة، لم يتبعها إلا التصميم على النهج الأول؟!.

نعم، و كيف لا يكون لهؤلاء نجاة و يكونون فى النار «۲»، ثم يدخل المشركون الذين عاشوا فى زمن الفترة الجنة؟! فقد ذكر الحلبى و دحلان و غيرهما: أن أهل الفترة لا عـذاب عليهم إلا على قول ضـعيف، مبنى على وجوب الايمان و التوحيد بالعقل، و الذى عليه اكثر أهل السنّة و الجماعة:

أنه لا يجب ذلك إلا بارسال الرسل.

و اطبق الأشاعرة فى الاصول، و الشافعيـة فى الفقه على أن من مات و لم تبلغه الـدعوة مات ناجيا، و يـدخل الجنة؛ فعليه أهل الفترة من العرب لا تعذيب عليهم، و إن غيّروا، أو بدّلوا، أو عبدوا الأصنام، و الاحاديث الواردة بتعذيب من ذكر مؤوّلة «۳».

و بهذا، و بالاحاديث المتواترة يرد ما زعموه من أنه «صـلى اللّه عليه و آله و سلم» قد منع من الاستغفار لأمه رضوان اللّه تعالى عليها، و إن كنـا نحن نعتقـد أن اهل الفترة يعـذبون إذا قامت عليهم الحجـة العقليـة أو النقليـة إلا القاصـرين منهم؛ فان التوحيـد يثبت بالعقل لا بإرسال الرسل، و إلا، لم يمكن اثبات شىء على الاطلاق، لا التوحيد، و لا النبوة، و لا الدين من الأساس.

---

(۱) الأغانى ط ساسى ج ۳ ص ۱۹۰.

(۲) عون المعبود ج ۱۲ ص ۴۹۴، و البداية و النهاية ج ۲ ص ۲۸۱ عن دلائل النبوة للبيهقى.

(۳) السيرة النبوية لدحلان ج ۱ ص ۳۲/ ۳۳، و السيرة الحلبية ج ۱ ص ۱۰۶/ ۱۰۷، و هـذا هو رأى ابن حجر الهيتمى، و المنـاوى، و السيوطى.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۲،ص:۱۹۴

غريبة:

و من غريب الأمر هنا: أن نجـد البعض يوجه روايـة: إن أبى و أباك فى النار، بأن المقصود هو عمه أبو طالب؛ لأن العرب تسـمى العم أبا، و قد كان «صلى اللّه عليه و آله و سلم» ينسب بالبنوة إلى ابى طالب «۱».

و لاـ نـدرى لمـاذا ترك عمه أبـا لهب لعنه اللّه تعـالى. فان كفره مسـلم و مقطوع به، و تمسك بالمـدافع عنه، و المناصـح له، و الباذل

مهجته فى سبيل نبيه و دينه- و سوف يأتى إن شاء اللّه أن ايمان أبى طالب هو المسلم و المقطوع به. بل هو كالنار على المنار، و كالشمس فى رابعة النهار.

و يكفى أن نذكر أن العظيم آبادى قد قال هنا: و هذا أيضا كلام ضعيف باطل «۲».

ملاحظة:

و يلاحظ هنا أن فى عبارة الرسول الأعظم «صلى اللّه عليه و آله و سلم» المتقدمة فى حديث: «حيثما مررت بقبر كافر فبشره بالنار» توريـة لطيفة؛ حيث إن عبارته هذه قد خففت من تأثر السائل. و هى فى نفس الوقت صادقة المضمون، و لا تدل على كفر أبيه «صلى اللّه عليه و آله و سلم»؛ إذ أن من الطبيعى أن الكافر مبشر بالنار. و أما أن أباه «صلى اللّه عليه و آله و سلم» كافر أولا؛ فذلك مسكوت عنه.

و الغريب هنا: أنه قد روى أن النبى «صلى اللّه عليه و آله و سلم» قد قال ذلك عن أمه رحمها اللّه، فقد قال لرجلين: أمى و أمكما فى النار.

---

(۱) عون المعبود ج ۱۲ ص ۴۹۴/ ۴۹۵ عن السندى، و السيرة الحلبية ج ۱ ص ۵۱، و مسالك الحنفا ص ۵۸.

(۲) عون المعبود ج ۱۲ ص ۴۹۵.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۲،ص:۱۹۵

و نحن لا نزيد على أن نذكر هنا أن الذهبى قد حلف على عدم صحة هذا الحديث. يعنى حديث كون أمه و أمهما فى النار «۱».

و أخيرا: فإننا نكاد نصدق مقولة: أن السبب فى تكفير آباء رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله و سلم» و أعمامه هو مشاركة على «عليه السلام» له فيهم، أو أنهم يريدون أن لا يكون آباء الخلفاء من بنى أمية و من غيرهم، و آباء رجالات الحكم و أعوانه كفارا، و يكون آباء النبى و أهل بيت النبى «صلى اللّه عليه و آله و سلم» مؤمنين، فلا بد من سلب هذه الفضيلة عنه «صلى اللّه عليه و آله و سلم» ليستوى هو و غيره فى هذا الأمر.

البحث الثانى بماذا كان يدين النبى (ص) قبل البعثة:

اشارة

إن ايمان النبى «صلى اللّه عليه و آله و سلم» و توحيده قبل بعثته يعتبر من المسلمات، و لكن يبقى: أنهم قد اختلفوا فى أنه «صلى اللّه عليه و آله و سلم» هل كان متعبدا بشرع أحد من الانبياء قبله او لا. فهل هو متعبد بشرع نوح، أو ابراهيم، أو عيسى، أو بما ثبت أنه شرع، أو لم يكن متعبدا بشرع أحد؟ ذهب إلى كلّ فريق «۲».

و توقف عبد الجبار، و الغزالى، و السيد المرتضى.

و ذهب المجلسى إلى أنه «صلى اللّه عليه و آله و سلم» حسبما صرحت به الروايات: كان قبل البعثة، مذ اكمل اللّه عقله فى بدو سنه

---

(۱) السيرة الحلبية ج ۱ ص ۱۰۶ و مسالك الحنفا ص ۵۲.

(۲) راجع: تاريخ الخميس ج ۱ ص ۲۵۴.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۲،ص:۱۹۶

نبيا، مؤيدا بروح القدس «۱»، يكلمه الملك، و يسمع الصوت، و يرى فى المنام، ثم بعد أربعين سنة صار رسولا و كلمه الملك معاينة، و نزل عليه القرآن، و أمر بالتبليغ. و قال المجلسى: إن ذلك ظهر له من الآثار المعتبرة، و الاخبار المستفيضة «۲».

و قد استدلوا على نبوته «صلى اللّه عليه و آله و سلم» منذ صغره بأن اللّه تعالى قد قال حكاية عن عيسى: إِنِّى عَبْدُ اللَّهِ آتانِىَ الْكِتابَ، وَ جَعَلَنِى نَبِيًّا، وَ جَعَلَنِى مُبارَكاً أَيْنَ ما كُنْتُ، وَ أَوْصانِى بِالصَّلاةِ وَ الزَّكاةِ ما دُمْتُ حَيًّا «۳».

و يقول تعالى عن يحيى «عليه السلام»: وَ آتَيْناهُ الْحُكْمَ صَبِيًّا «۴» فإذا أضفنا إلى ذلك: أنه قد ورد فى أخبار كثيرة بعضها صحيح، كما فى رواية يزيد الكناسى فى الكافى: إن اللّه لم يعط نبيا فضيلة، و لا كرامة، و لا معجزة، إلا أعطاها نبينا الاكرم «صلى اللّه عليه و آله و سلم».

فان النتيجة تكون: هى أن اللّه تعالى قد اعطى نبيا محمدا «صلى اللّه عليه و آله و سلم» الحكم و النبوة منذ صغره «۵»؛ ثم أرسله للناس كافة، حينما بلغ الاربعين من عمره ... و قد أيد المجلسى هذا الدليل بوجوه كثيرة «۶».

---

(۱) و كان عيسى أيضا مؤيدا بروح القدس؛ قال تعالى: «وَ أَيَّدْناهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ» و لو لم يكن نبينا صلى اللّه عليه و آله و سلم مؤيدا بروح القدس، لكان يحيى و عيسى أفضل منه صلى اللّه عليه و آله و سلم.

(۲) البحار ج ۱۸ ص ۲۷۷.

(۳) مريم: ۳۰.

(۴) مريم: ۱۲.

(۵) راجع: البحار ج ۱۸ ص ۲۷۸/ ۲۷۹.

(۶) راجع: البحار: ج ۱۸ ص ۲۷۷- ۲۸۱.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۲،ص:۱۹۷

و يمكن المناقشة فى ذلك بأن إعطاءه (ص) فضائل الانبياء و معجزاتهم الواردة فى الرواية لا يستلزم ما يراد اثباته هنا؛ فان بعض معجزاتهم لم يكن ثمة حاجة إليها فى زمانه «صلى اللّه عليه و آله و سلم».

نعم هى واقعة تحت اختياره «صلى اللّه عليه و آله و سلم» و لو احتاجها لاستفاد منها جميعا. و أما الفضائل فقد كان «صلى اللّه عليه و آله و سلم» هو الجامع لها على النحو الاكمل و الاشمل فى جميعها، حتى انه إذا كان أيوب قد امتاز على غيره من الانبياء بالصبر، فان صبر نبينا «صلى اللّه عليه و آله و سلم» كان اكمل من صبر أيوب، و هكذا بالنسبة لسائر الانبياء، و امتيازاتهم فى الفضائل، و مكارم الاخلاق.

و أما الكرامات، فان الظاهر هو أن المقصود بها نفس المعجزات، فان اللّه تعالى قد اكرمه بها.

و مع الغض عن كل ذلك، فانه لا بد من ثبوت تلك الأخبار؛ ليمكن الحكم بمضمونها، بعد تسليم دلالتها بشكل قطعى و نهائى.

نعم ثمة روايات كثيرة تلمح و تصرح بنبوته قبل بعثته، أشار إليها المجلسى كما قلنا، و أشار العلامة الأمينى أيضا إلى حديث: إنه «صلى اللّه عليه و آله و سلم» كان نبيا و آدم بين الروح و الجسد، و رواه عن العديد من المصادر من غير الشيعة «۱».

و لكن لا يمكن الحكم بمضمون هذه الروايات إلا بعد التأكد من اسانيدها و دلالتها، و ثبوت ذلك بشكل قطعى، حيث إنه يراد إثبات أمر إعتقادى بها، و المطلوب فى الإعتقادات هو القطع، و لا يكفى ما دونه.

و بعد كل ما تقدم، فان ما نستطيع نحن الجزم به، هو انه «صلى اللّه عليه و آله و سلم» كان مؤمنا موحدا، يعبد اللّه، و يلتزم بما ثبت له أنه شرع

---

(۱) راجع: الغدير: ج ۹ ص ۲۸۷.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۲،ص:۱۹۸

اللّه تعالى مما هو من دين الحنيفية شريعة إبراهيم «عليه السلام»، و بما يؤدى إليه عقله الفطرى السليم، و أنه كان مؤيدا و مسددا، و أنه كان أفضل الخلق و اكملهم خلقا، و خلقا و عقلا.

و كان الملك يعلمه، و يدله على محاسن الأخلاق.

كما أننا نجدهم ينقلون عنه «صلى اللّه عليه و آله و سلم»: انه كان يلتزم بأمور لا تعرف إلا من قبل الشرع و كان لا يأكل الميتة، و يلتزم بالتسمية و التحميد، إلى غير ذلك مما يجده المتتبع لسيرته صلوات اللّه عليه.

ملّة ابيكم ابراهيم:

بل إننا نقول: إن هناك آيات و دلائل تشير إلى أن إبراهيم الخليل «عليه السلام» و نبينا الأكرم «صلى اللّه عليه و آله و سلم»، هما اللذان كان لديهما شريعة عالمية، و قد بعثا إلى الناس كافة.

أما موسى و عيسى «عليهما السلام» فإنما بعثا إلى بنى اسرائيل.

و قد حرصت الآيات القرآنية العديدة على ربط هذه الأمة بإبراهيم «عليه السلام» فلاحظ قوله تعالى: وَ ما جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ، مِلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْراهِيمَ، هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ مِنْ قَبْلُ «۱».

و قال تعالى: وَ مَنْ أَحْسَنُ دِيناً مِمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَ هُوَ مُحْسِنٌ، وَ اتَّبَعَ مِلَّةَ إِبْراهِيمَ حَنِيفاً «۲».

و قال سبحانه: قُلْ صَدَقَ اللَّهُ فَاتَّبِعُوا مِلَّةَ إِبْراهِيمَ حَنِيفاً «۳».

---

(۱) الحج: ۷۸.

(۲) النساء: ۱۲۵.

(۳) آل عمران: ۹۵.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۲،ص:۱۹۹

و قال جل و علا: إِنَّ أَوْلَى النَّاسِ بِإِبْراهِيمَ لَلَّذِينَ اتَّبَعُوهُ، وَ هذَا النَّبِيُّ، وَ الَّذِينَ آمَنُوا «۱».

و قال تعالى: وَ قالُوا: كُونُوا هُوداً أَوْ نَصارى تَهْتَدُوا. قُلْ: بَلْ مِلَّةَ إِبْراهِيمَ حَنِيفاً وَ ما كانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ «۲».

ثم نجد القرآن يصرح أيضا أن النبى الأعظم «صلى اللّه عليه و آله و سلم» شخصيا كان مأمورا أيضا باتباع ملة ابراهيم «عليه السلام»، فقد قال سبحانه:

ثُمَّ أَوْحَيْنا إِلَيْكَ: أَنِ اتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْراهِيمَ حَنِيفاً، وَ ما كانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ «۳».

و قال فى موضع آخر: قُلْ: إِنَّنِي هَدانِي رَبِّي إِلى صِراطٍ مُسْتَقِيمٍ، دِيناً قِيَماً مِلَّةَ إِبْراهِيمَ حَنِيفاً وَ ما كانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ «۴».

و هذا، و إن كان ظاهره: أنه «صلى اللّه عليه و آله» قد أمر بذلك بعد البعثة و بعد نزول الوحى عليه، لكنه يثبت أيضا: أنه لا مانع من تعبده (ص) قبل بعثته بما ثبت له أنه من دين الحنيفية، و من شرع إبراهيم «عليه السلام»، و ليس فى ذلك أية غضاضة، و لا يلزم من ذلك أن يكون نبى اللّه إبراهيم أفضل من نبينا «صلى اللّه عليه و آله و سلم»، فإن التفاضل إنما هو فى ما هو أبعد من ذلك.

هذا كله، لو لم نقتنع بالادلة الدالة على نبوته (ص) من صغره «صلى اللّه عليه و آله و سلم».

---

(۱) آل عمران: ۶۸.

(۲) البقرة: ۱۳۵.

(۳) النحل: ۱۲۳.

(۴) الأنعام: ۱۶۱.

الصحیح من السیرة النبی الأعظم، مرتضی العاملی ،ج۲،ص:۲۰۰

و وجدک ضالا فهدی:

و بعد ما تقدم نقول: إن قوله تعالی: ما کُنْتَ تَدْرِی مَا الْکِتابُ وَ لَا الْإِیمانُ «۱» و قوله سبحانه: وَ وَجَدَکَ ضَالًّا فَهَدی «۲» لا یدل علی وجود ضلالة فعلیة و لا علی وجود جهل فعلی قبل النبوة.

بل غایة ما یدل علیه هو أنه «صلی اللّه علیه و آله و سلم» لولا هدایة اللّه له لکان ضالا و لولا تعلیم اللّه له لکان جاهلا. أی لو أن اللّه أوکله إلی نفسه، فإنه بما له من قدرات ذاتیة و بغض النظر عن الالطاف الإلهیة، و العنایات الربانیة ضال قطعا، و جاهل بلا ریب. فهو من قبیل قولک: ما أنا فی نفسی بفوق أن أخطیء لولا لطف اللّه و عصمته و توفیقه، لکن بعد أن کان لطف اللّه حاصلا من أول الأمر فإن العصمة تکون حاصلة بالضرورة من أول الأمر أیضا. الصحیح من السیرة النبی الأعظم، مرتضی العاملی ج۲ ۲۰۰ أولوا العزم: ..... ص : ۲۰۰

أولوا العزم:

و بعد، فقد نجد فی قوله تعالی حکایة عن آدم «علیه السلام»: لَمْ نَجِدْ لَهُ عَزْماً «۳». و قوله: فَاصْبِرْ کَما صَبَرَ أُولُوا الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ «۴».

و غیر ذلک من شواهد و دلائل ما یشجعنا علی القول: بأن المراد من إطلاق هذه الصفة علی بعض الأنبیاء هو التأکید علی رسوخ و عمق درجة

---

(۱) الشوری: ۵۲.

(۲) الضحی: ۷.

(۳) سورة طه: ۱۱۵.

(۴) سورة الأحقاف: ۳۵.

الصحیح من السیرة النبی الأعظم، مرتضی العاملی ،ج۲،ص:۲۰۱

العصمة فیهم، و قدرتهم الکبیرة علی التحمل فی مواجهة أعظم التحدیات مع الطواغیت و الجبارین، و تحمل المسؤولیات الجسام، و المشاق العظام فی نطاق الدعوة إلی اللّه سبحانه. و قد یکون بعض أولی العزم، حتی مثل موسی و عیسی «علیهما السلام» لم یبعث للناس کافة، و إنما لخصوص بنی إسرائیل، الذین ربما یحتاجون إلی بعض التشریعات الإستثنائیة الخاصة بهم، مع کون العمل فی المسار العام إنما هو شریعة إبراهیم علیه الصلاة و السلام.

و هذا بحث یحتاج إلی توفر تام، و جهد مستقل، نأمل ان یوفقنا اللّه لهما فی فرصة أخری إن شاء اللّه تعالی.

من الأساطیر:

و بعد کل ما تقدم نعلم: أن کل ما یذکر عنه «صلی اللّه علیه و آله و سلم» من أمور تتنافی مع التسدید، و مع شرع اللّه تعالی، لا أساس

له من الصحة. و نذكر هنا على سبيل المثال:

ما رواه البخارى و غيره، من أنه قد قدّم لزيد بن عمرو بن نفيل سفرة فيها شاة ذبحت لغير اللّه تعالى. (و عند البخارى إنها قدمت للنبى «صلى اللّه عليه و آله و سلم»)؛ فأبى زيد أن يأكل منها، و قال: أنا لا آكل مما تذبحون على أنصابكم، و لا آكل إلا ما ذكر اسم اللّه عليه.

و فى رواية أحمد: إن زيدا مرّ على النبى «صلى اللّه عليه و آله و سلم» و هو يأكل مع سفيان بن الحرث من سفرة لهما، فدعواه إلى الطعام فرفض، و قال الخ.

قال: فما رؤى النبى «صلى اللّه عليه و آله و سلم» من يومه ذاك يأكل مما ذبح على النصب حتى بعث.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۲،ص:۲۰۲

و يذكرون أيضا: ان زيد بن عمرو بن نفيل كان يعيب على قريش ذبائحهم و يقول الخ ... «۱».

و عليه، فزيد بن عمرو بن نفيل كان أعقل من النبى «صلى اللّه عليه و آله و سلم» و اعرف منه- و العياذ باللّه- لأنه أدرك و عرف قبح اكل ما ذبح على النصب، و لم يذكر اسم اللّه عليه، أو بلغه ذلك. و لكن النبى «صلى اللّه عليه و آله و سلم» لم يستطع أن يدرك ذلك، و لا كان على قرب من مصادر المعرفة، فكان يأكل منه؛ مع أنه «صلى اللّه عليه و آله و سلم» اعقل الكل و فوق الكل، و مع أنه قد تربّى فى حجر عبد المطلب، الذى ترك الاصنام، و ابتعد عنها حسبما تقدم. ثم فى حجر عمه أبى طالب،

و بيتهم كان أرفع بيت فى العرب. و هم أعرف الناس بتعاليم الحنيفية.

نعم، لقد أدرك زيد ذلك برايه، حسبما يرجحه العسقلانى «۲»، و لم يستطع النبى الاعظم «صلى اللّه عليه و آله و سلم» أن يدركه.

لقد كانت النبوّة بزيد قريب عمر بن الخطاب «۳» أجدر منها بمحمد، نعوذ باللّه من الزلل فى القول و العمل.

و احتمال: أن يكون زيد قد أخذ ذلك عن بعض النصارى أو اليهود، كما احتمله البعض.

يحتاج إلى اثبات: أن النصارى كانوا يحرمون اكل ما ذبح على

---

(۱) راجع: صحيح البخارى ط مشكول المصرية ج ۵ ص ۵۰ و ج ۷ ص ۱۱۸ باب ما ذبح على النصب و الأصنام، و السيرة الحلبية ج ۱ ص ۱۲۳، و مسند أحمد ج ۱ ص ۱۸۹ و راجع فتح البارى ج ۷ ص ۱۰۸ و ۱۰۹ و الروض الأنف ج ۱ ص ۲۵۶ و البداية و النهاية ج ۲ ص ۲۳۸ و ۲۳۹ و ۲۴۰ و راجع ص ۲۳۷.

(۲) فتح البارى ج ۷ ص ۱۰۹.

(۳) البداية و النهاية ج ۲ ص ۲۳۷.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۲،ص:۲۰۳

النصب، أو ما لم يذكر اسم اللّه عليه.

أما اليهود فما كانوا يهتمون بدخول غيرهم فى دينهم. و إذا كان ذلك شائعا عنهم؛ فلماذا لم يعرف به غير زيد.

على أن هناك نص يقول: إن النبى «صلى اللّه عليه و آله و سلم»: «كان لم يأكل مما ذبح على النصب» «۱».

و مهما يكن من أمر، فقد قال السهيلى: «كيف وفق اللّه زيدا الى ترك ما ذبح على النصب، و ما لم يذكر اسم اللّه عليه، و رسوله «صلى اللّه عليه و آله و سلم» كان أولى بهذه الفضيلة فى الجاهلية؛ لما ثبت من عصمة اللّه تعالى له».

ثم أجاب عن ذلك: بأنه ليس فى الرواية: أنه «صلى اللّه عليه و آله و سلم» قد اكل من السفرة، و بأن شرع ابراهيم إنما جاء بتحريم الميتة، لا بتحريم ما ذبح لغير اللّه تعالى. فزيد امتنع عن اكل ما ذبح لغير اللّه برأى رآه لا بشرع متقدم «۲».

و لكنه جواب بارد حقا.

فان إدراك زيد لهذا الأمر الذى وافق فيه نظر الشرع، و عدم إدراكه هو «صلى اللّه عليه و آله و سلم» له مما لا يمكن قبوله، أو الالتزام به.

هذا .. و لماذا يسدد اللّه تعالى نبيه حينما كشف عن عورته حين بناء البيت، و يمنعه عن ذلك- حسبما يدعون-، ثم تبغض اليه الاصنام، و الشعر، و لا يسدده اللّه، و يحفظه من اكل ما ذبح لغير اللّه تعالى؟! الذى

---

(۱) تاريخ الخميس ج ۱ ص ۲۵۴.

(۲) الروض الأنف ج ۱ ص ۲۵۶، و راجع: السيرة الحلبية ج ۱ ص ۱۲۳ عنه، و فتح البارى ج ۷ ص ۱۰۹.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۲،ص:۲۰۴

يدرك بعض الناس أنه ليس محبوبا للّه تعالى؟!

استلام الاصنام:

و من أساطيرهم أيضا ما ذكروه من أنه «صلى اللّه عليه و آله و سلم» كان يستلم الأصنام بل لقد ذكر البعض: أنه «صلى اللّه عليه و آله و سلم» قال: «أهديت للعزى شاة عفراء، و أنا على دين قومى» «۱».

مع أنهم يذكرون: ان زيدا المتقدم و عمر بن الحويرث، و ابا قيس بن هرمة، و قس بن ساعدة، و أسعد بن كريب، و عبيد اللّه بن جحش، و رباب بن البراء و غيرهم، لم يسجدوا لصنم قط، و حرّموا عبادة الاوثان.

فلماذا أدركوا هم ذلك دونه؟!.

و ايضا فقد سئل «صلى اللّه عليه و آله و سلم»: هل عبدت وثنا قط؟

قال: لا.

و قال: ابن حجر: إن الناس قد انكروا حديث استلامه الاصنام.

و قال أحمد بن حنبل- على ما فى الشفاء-: إنه حديث موضوع «۲».

و على كل حال؛ فان هناك تفاهات كثيرة، و أكاذيب عديدة عليه «صلى اللّه عليه و آله و سلم»، سواء بالنسبة إلى الفترة التى سبقت البعثة، أو التى تلتها. و سيأتى بعض من ذلك، و لكن لابد من الاعتراف:

بأن استقصاءها متعسر بل متعذر؛ و لذا فلا بد من الاقتصار على ما يسعه المجال، ثم الانصراف إلى ما هو أهم، و أجدر، و أولى.

---

(۱) السيرة النبوية لابن هشام ج ۱ ص ۸۶.

(۲) راجع السيرة النبوية لدحلان ج ۱ ص ۵۰/ ۵۱ و السيرة الحلبية ج ۱ ص ۱۲۵ و ۲۷۰.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۲،ص:۲۰۵

البحث الثالث: شروط النهضة:

هناك عدة أمور تعتبر ضرورية و حتمية فى بناء الحضارة، و حصول النهضة لأى شعب كان، و أية أمة كانت. و نود أن نشير إلى بعض مقومات و عناصر ذلك عموما. ثم .. و بمقارنة بسيطة و موجزة، نستطيع أن نتعرف على جانب من عظمة الاسلام و سموّه، و أصالته.

و من اجل تسهيل تصور ما نريد عرضه على القارىء، نقوم بمقارنة محدودة بين واقع و ظروف عرب شمال الجزيرة العربية، و هم اهل الحجاز، و بين واقع و ظروف عرب جنوبها، و هم أهل اليمن.

فنقول:

ألف: لقد عاش اليمنيون فى منطقة غنية و ثرية، و تستطيع، اذا ما اشتغل أهلها بزراعتها: أن توفر لهم لقمة العيش. و هى بالاضافة إلى ذلك أرض جبلية، صعبة المسالك، فهى إذن تستطيع فى كثير من الأحيان أن توفر لهم حماية طبيعية، و قدرة على مقاومة الأعداء.

و إذا كان اليمنيون يشتغلون بزراعة أرضهم، و يستفيدون منها، و يعتبرونها المصدر الأول و الاساس لحياتهم، و استمرار وجودهم؛ فمن الطبيعى أن يتولد فيهم لذلك شعور مبهم بمحبة هذه الارض، و التمسك بها، و الحنين إليها.

و هذا بالطبع، هو المهم عادة فى حب الناس لأوطانهم، و حنينهم إليها، حتى إنهم قد يبذلون كل غال و نفيس حتى دماءهم فى سبيل الدفاع

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۲،ص:۲۰۶

عنها، بل و حتى عن شبر واحد منها؛ فمحبة الوطن تنشأ غالبا من محبة الارض، و محبة الارض تنشأ (عموما) من الشعور بأنها تعطيه كل مقومات الحياة، و بأنها تحفظ له استمرار بقائه و وجوده، بالشكل المرضى له، و المقبول عنده.

ب: و كان فى اليمن أيضا حكومة مركزية مهيمنة تفرض النظام و القانون، و تهتم باشاعة الطمأنينة، و الأمن و السلام.

و إذا كان الانسان يشعر بالامن، و يعيش فى ظل القانون، و لا يتخوف من أى عدو يتربص به الغوائل، فانه يجد الفرصة للتفكير فى تغيير الوضع الحياتى الذى يعيشه، إلى وضع أفضل و اكمل.

ج: ثم تتاح الفرصة لآمال و تطلعات هذا الانسان للتعبير عن نفسها، و فرض وجودها، فتدفعه إلى بذل المحاولة. و التصرف فيما تناله قدراته فى توجيهه فى هذا السبيل.

د: ثم يأتى دور الأهم و الأقوى تأثيرا فى النهضة، ألا و هو النظام الأكمل و الاشمل و الأصلح، الذى يستطيع أن يبنى الانسان من الداخل، و يحافظ عليه من الخارج، و يزيل من طريقه كل العقبات، التى يمكن أن تعترض سبيل تقدمه؛ و لتنمو، و تتكامل فى ظل ذلك النظام- من ثم- ملكات هذا الانسان، و خصائصه، و لتجد طاقاته و امكاناته الفرصة للتأثير فى عملية التغيير للحاضر الذى يعيشه، و التخطيط الصحيح و السليم للمستقبل الذى يقدم عليه.

فاذا توفرت كل تلك العناصر لاية أمة، فانها و لا شك سوف تكون قادرة على أن تبنى حضارة، و تصنع لنفسها مستقبلا مغريا و زاهرا و مجيدا.

و قد كانت كل تلك العناصر متوفرة فى منطقة اليمن، باستثناء العنصر الأخير منها. و كان فقدانها له بالذات هو السبب فى أنها لم تستطع أن تفيد شيئا من تلك القدرات و الامكانات التى توفرت لها، و لا يحدثنا

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۲،ص:۲۰۷

التاريخ عن شىء ذى بال، تميزت به اليمن فى تاريخها القديم، سواء على الصعيد الفكرى، أو الحضارى، أو غير ذلك، و لا كان فيها ما يعبر عن نظرة واعية، أو عقلية متطورة تتلائم مع حجم امكاناتها تلك.

كما أن الديانة اليهودية المحرفة، التى سيطرت عليها حقبة من الزمن، لم تستطع أن تقدم لها شيئا يذكر فى مجال النهوض باهلها، و الخروج بهم من ظلمات جهلهم، و التخفيف من شقائهم و آلامهم، تماما كما لم تستطع المسيحية المحرفة فى الرومان، و الزرادشتية فى الفرس:

أن تؤثر تأثيرا يذكر فى ذلك.

أما فى الحجاز، فقد كانت كل تلك العناصر مفقودة؛ و لكن عند ما وجد العنصر الاخير منها- فقط- استطاعت هذه الامة- و ذلك هو الاعجاز حقا- أن تنتقل من أمة متوحشة بدائية، تتصف بكل صفات الذل و المهانة، إلى امة لا تدانيها، و لن تدانيها أية أمة أخرى على الاطلاق.

فعرب الحجاز لم يكونوا فى الاكثر أهل زراعة، لان أرضهم لم تكن صالحة لذلك؛ بسبب قلة المياه فيها، حيث لم يكن فيها حتى نهر واحد بالمعنى الصحيح للكلمة «۱». كما أن الامطار تقل فيها بشكل ملحوظ. و كل ما كان هناك هو بعض الينابيع، التى كانت تظهر فى الشتاء، و تجف فى الصيف، فيرحلون عنها بحثا عن غيرها. هذا عدا عن أن الارض نفسها كان فيها القليل مما يصلح للزراعة.

إذن، فلا شىء يشد العربى إلى هذه الارض، أو يربطه بها، و يجعله يحبها، و يتفانى فى سبيلها. بل كان مصدر حياتهم و رزقهم هو: السيف، و الماشية، و الابل بصورة عامة، و لهذا نرى أن اكثر ما يعزّ عليهم، و له مكانة فى نفوسهم هو هذه الأمور بالذات؛ فنرى الشاعر العربى يتغنى بالجمل، و السيف، و الفرس، و يتغزل بالرياح الطيبة، التى

---

(۱) راجع: المفصل فى تاريخ العرب قبل الإسلام ج ۱ ص ۱۵۷ فما بعدها.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۲،ص:۲۰۸

تخفف عنه بعض ما يعانيه من آلام؛ نتيجة حرّ منطقته، ثم هو يناجى القمر و النجوم كثيرا أيضا.

و إذا ما رأيناه يبكى- أحيانا- الديار و الاطلال، فليس ذلك إلا لأنها كانت فى وقت ما مصدر أنس له، أو لأنه هو نفسه كان حضريا.

و لأن العربى هذا قد اتخذ الغزو و السلب وسيلة من وسائل العيش؛ فاننا نراه يهتم بالتغنى بمواقفه هذه، و يفتخر باستمرار بشنّه الغارات فرسانا و ركبانا.

و من الجهة الاخرى، فانه دائما يتوقع أن يغزى، و أن تشنّ عليه الغارات؛ و لا يشعر بوجود سلطة تستطيع أن تحميه، فهو فى خوف دائم، و رعب مستمر.

و إذا كان الامن غير متوفر له، فكيف يمكن أن تتوفر له الفرصة للتفكير فى حياته، و محاولة الخروج من واقعه، و تحسين ظروف عيشه، ثم التخطيط للمستقبل بواقعية، و أناة، ثم العمل بهدوء و اطمينان على تنفيذ خططه، و تحقيق آماله؟!

و من الجهة الثالثة، كيف و أنى يمكن لآماله أن تنمو، و لطموحاته أن تتجسد؟ و هو فى كل يوم يفقد أملا، و يتحمل ألما.

و خلاصة الامر: إنه لا سلطة مركزية تستطيع أن تفرض هيبتها و هيمنتها بيسر و فعالية، بل إن ذلك قد يتعذر بالنسبة إلى أمة تعيش حياة التنقل و الغارة، و تتحول باستمرار من مكان إلى مكان.

و قد كان العرب يتجنّبون الالتحام بالجيوش المنظمة،؛ لتفوقها عليهم، فاذا تعقبتهم تلك الجيوش هربوا الى البادية، و اعتصموا بها.

و كذلك يفعلون اذا واجهوا الجيش و وجدوا فيه قوة «۱».

---

(۱) راجع: المفصل فى تاريخ العرب قبل الإسلام ج ۵ ص ۴۱۳ و ۴۱۴ و ۴۲۰.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۲،ص:۲۰۹

و إذن .. فهم كانوا يفقدون كل اسباب النهضة و التقدم، و لا يملكون منها حتى الامل بالتغيير، فضلا عن ارادته، و العمل من أجله. هذا فضلا عن أن الصفات الذميمة، و العادات السيئة، التى كانت تهيمن عليهم جماعات و أفرادا لم تكن تسمح لهم بأية نهضة، أو أى تقدم نحو الافضل، إن لم تكن تزيد من بلائهم و شقائهم، و تدفعهم خطوة بل خطوات إلى الوراء.

و لكنهم مع ذلك كله، عندما وجدوا الرسالة السماوية الحقة، استطاعت تلك الرسالة، و ذلك الرسول- و فى فترة و جيزة جدا- ان تنقل هذه الامة من حضيض الذل و المهانة إلى أوج العظمة، و العزة و الكرامة، و أن تغير فيها كل عاداتها و مفاهيمها، و تخفف، بل و تقضى على كل أسباب شقائها، و آلامها. و ذلك هو الاعجاز حقا.

نعم لقد استطاع الاسلام فى فترة لا تتجاوز سنواتها عدد أصابع اليدين أن يحدث انقلابا حقيقيا و جذريا فى عقلية و مواقف و سلوك تلك الامة، و فى مفاهيمها، و ان ينقلها من العدم إلى الوجود، و من الموت إلى الحياة.

و لو أن المسيحية و اليهودية و غيرها من الأديان و المذاهب كان فيها أدنى صلاح، و مع توفر كل الظروف الملائمة لنجاحها فى تغيير الاوضاع السيئة آنذاك- لعبرت عن نفسها، و لأثبتت وجودها، مع أن المسيحية قد كانت فى العرب أيضا قبل الاسلام، و كذلك اليهودية، و لكنها لم تستطع أن تغير من عقلية العربى، و سلوكه، و مفاهيمه عن الحياة و المستقبل شيئا، بل بقى يئد البنات، و يشن الغارات، إلى غير ذلك من أفعال و صفات.

بل إنهم ليذكرون أن القبيلة العربية الفلانية التى كانت تدين

و راجع: تاريخ التمدن الإسلامى المجلد الأول، الجزء الأول ص ۷۰ و حياة محمد لهيكل ص ۳۹ و محاضرات تاريخ الأمم الإسلامية للخضرى ج ۱ ص ۳۳.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۲،ص:۲۱۰

بالمسيحية ما كانت تعرف من المسيحية غير شرب الخمر، كما سيأتى.

كما أن اليهود قد عاشوا بينهم، و كان العرب يحترمونهم جدا، و يعتبرونهم وحدهم مصدرا للمعرفة و العلم- كما تقدم فى الجزء السابق- و لكنهم لم يكن لهم فى سلوكهم، و عقليتهم، أثر يذكر.

البحث الرابع: العوامل المساعدة على انتصار الاسلام و انتشاره:

اشارة

و بعد ذلك الموجز الذى قدمناه لابد أن نشير إلى بعض العوامل و الظروف التى ساعدت على انتصار الاسلام و انتشاره، فى منطقة لها تلك الصفات و المميزات المشار إليها فى البحث السابق.

و بعض تلك العوامل يرجع إلى شخصية الرسول «صلى اللّه عليه و آله و سلم»، و بعضها يرجع إلى الرسالة نفسها، و بعضها يعود إلى أمور أخرى، خارجة عن هذا و ذاك. و يمكن أن نلخص ما نريد الاشارة إليه فى الامور التالية:

۱- منطلق الدعوة: مكة:

أ: إنه يلاحظ أن الاسلام قد انطلق من أقدس بلد لدى الانسان العربى، بل ولدى غيره أيضا، و هو المكان الذى تهوى إليه ثمار الافئدة من كل مكان. و هو ملتقى لكل العواطف، و محل آمال الناس، و غاية رجائهم.

ب: يقول البوطى: «البقعة الجغرافية للجزيرة العربية ترشحها للقيام بعبء مثل هذه الدعوة؛ بسبب أنها تقع- كما قلنا- فى نقطة الوسط بين الأمم المختلفة التى من حولها. و هذا مما يجعل اشعاعات الدعوة

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۲،ص:۲۱۱

الاسلامية تنتشر بين جميع الشعوب و الدول المحيطة بها فى سهولة و يسر «۱»».

و طبيعى: أن هذا الدين لو كان ظهر فى بلاد كسرى؛ فان اتباع قيصر لا يتبعونه، و كذلك العكس؛ و ذلك بسبب المنافسة القائمة بين الامبراطوريتين و الحواجز النفسية الحاكمة و المهيمنة على الأمتين.

ج: لقد بدأ «صلى اللّه عليه و آله و سلم» دعوته فى مكان بعيد عن نفوذ الدولتين العظيمتين: الرومان، و الفرس، و غيرهما من الدول ذات القوة.

إذن، فلا قوة قاهرة تستطيع أن تضرب الضربة الحاسمة، و تقضى على دعوته فى مهدها؛ و ذلك لأن المحيط الذى بدأ فيه دعوته، و

الحجاز عموما، كانت تسيطر عليه الروح القبلية، و يطغى عليه التعصب القبلى.

و القوى فيه متكافئة: تقريبا، و كانت القبائل المتعددة كثيرة- فبطون قريش وحدها كانت عشرة أو تزيد- يرقب بعضها بعضا، و يخشى بعضها بأس بعض.

هذا كله، عدا عن أنها كانت تعرف: أنها إذا أرادت أن تنتهك حرمة الحرم، و يحارب بعضها بعضا؛ فان مكانتها و احترامها- و بالتالى مصالحها الحيوية، سوف تتعرض لدى سائر العرب لنكسة قاسية، إن لم تكن قاضية.

۲- خصائص شخصية الرسول (ص):

أ: لقد كان صاحب هذه الدعوة: محمد «صلى اللّه عليه و آله و سلم» من قريش، أعظم قبائل العرب خطرا، و قوة، و نفوذا، و التى كان

---

(۱) فقه السيرة ص ۳۰.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۲،ص:۲۱۲

ينظر إليها من كل أحد بعين الاجلال و الاكبار، و بالأخص هو من البيت الهاشمى منها، الذى كان يمتاز بالنزاهة و الطهر، و له السيادة و الزعامة، و السؤدد فى مكة، و له الشرف الرفيع الذى لا يدانيه و لا ينازعه فيه أحد.

فمحمد «صلى اللّه عليه و آله و سلم» إذن ليس بحاجة إلى الشرف و الزعامة؛ ليجعل من ادّعاء النبوّة وسيلة للوصول إليها، و الحصول عليها.

و قد كان واضحا- لو قيست الأمور بالمقاييس العادية- أن دعواه تلك لسوف تجرّ عليه الكثير من المتاعب و المصائب، و يكون بذلك قد فرط بكل ما لديه من رصيد إجتماعى فى هذا المجال، فإستمراره فى دعوته مع وضوح اخطارها له يعتبر امرا غير منطقى، لو كان ما يدعيه لا واقعية له.

كما أن كل أحد يكون على استعداد لقبول الدعوة من بنى اسماعيل، الذين هم مهبط الوحى، و معدن الطهر. و سيأتى إن شاء اللّه تعالى فى مباحث عرض الرسول «صلى اللّه عليه و آله و سلم» دعوته على القبائل. أنه لما عرض دعوته على بنى عامر بن صعصعة، و رفضوا إلا- أن يجعل الامر فيهم بعده، و رفض هو، و عادوا إلى بلادهم، و تحدثوا بما كان لشيخ لهم، وضع ذلك الشيخ يده على رأسه، ثم قال: يا بنى عامر، هل لها من تلاف؟ هل لذناباها من مطلب؟ و الذى نفس فلان بيده، ما تقوّلها إسماعيلى قط، و إنها لحق؛ فأين رأيكم كان عنكم «۱».

ب: تلك الخصائص و المميزات فى الرسول «صلى اللّه عليه و آله و سلم» نفسه، و التى اشار إليها جعفر بن أبى طالب بقوله: «بعث اللّه إلينا رسولا منا، نعرف نسبه، و صدقه، و أمانته و عفافه». حتى لقد لقّب ب «الصادق الأمين» فقد كان لذلك أثر كبير فى ظهور دعوته، و انتصار و انتشار رسالته. و قد كان تحلّيه «صلى اللّه عليه و آله و سلم» بهذه

---

(۱) سيأتى ذلك مع مصادره فى الجزء الثانى من هذا الكتاب، فى فصل: حتى بيعة العقبة.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۲،ص:۲۱۳

المواصفات ضروريا؛ لأن فقدانها موجب لريبهم، كما قال تعالى: «إِذاً لَارْتابَ الْمُبْطِلُونَ».

هذا كله، بالاضافة إلى ما قد تمدّحه اللّه عليه من خلقه العظيم، فقال: «وَ إِنَّكَ لَعَلى خُلُقٍ عَظِيمٍ» «۱».

و مع ذلك فاننا نود أن نخص بالذكر هنا ما يلى:

۱- اننا نجد البعض يسلم استنادا إلى شهادة الرسول «صلى اللّه عليه و آله و سلم» نفسه، فقد ورد أن رجلا دخل على جمل؛ فأناخه فى

المسجد؛ و عقله، ثم قال لهم: أيكم محمد؟ و النبى «صلى اللّه عليه و آله و سلم» متكىء بين ظهرانيهم.

فقلنا: هذا الرجل الابيض المتكى.

فقال له الرجل: ابن عبد المطلب؟

فقال له «صلى اللّه عليه و آله و سلم»: قد أجبتك.

فقال الرجل: إنى سائلك فمشدّد عليك فى المسألة؛ فلا تجد على فى نفسك.

فقال: سل عما بدالك.

فقال: أسألك بربك و رب من قبلك، أ اللّه أرسلك إلى الناس كلهم؟

فقال: اللهم نعم.

فقال: أنشدك باللّه، أ اللّه أمرك أن تصلى الصلوات الخمس فى اليوم و الليلة؟.

قال: اللهم نعم.

---

(۱) سورة القلم/ ۴ و ثمة احتمال آخر فى الآية الشريفة راجع مقالا لنا بعنوان: فلسفة الأخلاق فى الإسلام فى كتابنا: دراسات و بحوث فى التاريخ و الإسلام.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۲،ص:۲۱۴

قال: انشدك اللّه ... إلى أن قال:

فقال الرجل: آمنت بما جئت به، و أنا رسول من ورائى من قومى، و أنا ضمام بن ثعلبة الخ. «۱»

فان عدم قدرة ضمام على تمييزه «صلى اللّه عليه و آله و سلم» عن أصحابه، لخير دليل على خلق النبى العظيم، و على أن الاسلام لا يعترف بتلك الفوارق المصطنعة بين الحاكم و رعيته، و لا يعتبر أن الحكم يعطى للحاكم امتيازا، و إنما هو مسؤولية.

كما أن اسلام ضمام استنادا إلى شهادة النبى «صلى اللّه عليه و آله و سلم» نفسه ليعتبر الذروة فى الثقة به «صلى اللّه عليه و آله و سلم»، و تأثير هذه الثقة فى قبول دعوته، و انتشار رسالته.

۲- هذا مع ما كانت تعرفه قريش فيه، من وفور العقل، و حسن التدبير، و أصالة الرأى- و قد تقدمت قضية رفع الحجر الاسود إلى موضعه عند بناء البيت، و حلّه «صلى اللّه عليه و آله و سلم» المشكلة التى كانت تواجههم.

ثم ما ظهر له من الآيات و البراهين، حين ولادته، و بعدها، و كونه ابن الذبيحين، الأمر الذى جعل له قدسية خاصة فى نفوس الناس.

نعم، إن كل ذلك قد وضع قريشا، و سائر الناس أمام الأمر الواقع، فكان كل من يحاول تكذيبه «صلى اللّه عليه و آله و سلم» يجد نفسه أمام صراع داخلى، و وجدانى؛ لأن وجدانه و ضميره كان يقول له: انت الكاذب الحقيقى، و هو الصادق الامين، و هو محل الثقة المطلقة، و انت

---

(۱) البخارى هامش فتح البارى ج ۱ ص ۱۳۹- ۱۴۱، و ليراجع فتح البارى نفسه أيضا. للإطلاع على العديد من المصادر، و البداية و النهاية ج ۵ ص ۶۰ عن ابن إسحاق و تاريخ الطبرى ج ۲ ص ۳۸۴.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۲،ص:۲۱۵

مظنة الخيانة، و هو صاحب الرأى و التدبير، و العقل الكبير، و أنت القاصر المقصر فى ذلك. و هكذا الحال فى سائر صفاته الغرّ، و أخلاقه الفضلى.

۳- و قد عزز ذلك و قواه: أن كل أحد كان يعرف أميته «صلى اللّه عليه و آله و سلم»، و أنه لم يتلق العلم و المعرفة من أحد. و ها هو

لا يستطيع أحد على وجه الارض أن يدعى المعرفة بجزء مما جاء به، فضلا عن بيئته المتناهية فى الجهل و الضياع، فلم يكن ثمة مجال للارتياب فى صدقه، و صحة دعوته، إلا من مكابر، لا يرى إلا نفسه، و لا يفكر الا فيها.

و حتى لو كان قارئا، فماذا عساه يجد فى كتب السابقين، و هل يمكن ان يقاس ذلك بما جاء به «صلى اللّه عليه و آله و سلم» من المعارف العالية، و التشريعات المعجزة، بلسان القرآن، الذى يعجز الجن و الإنس عن ان يأتوا بسورة من مثله؟!

۴- ثم هو لم يسجد لصنم قط؛ فلا يستطيع أحد أن يعترض عليه، بأنك أنت كنت بالامس تسجد للاصنام، و تعبد الاوثان؛ فلماذا تكفر بها اليوم؟!. فان كانت عبادتها تخالف العقل و الفطرة، فأين كان عنك عقلك، و لماذا شذت بك فطرتك؟!.

۵- ثم يأتى بعد ذلك اسلوب دعوته المتطور، على وفق الحكمة، و على حسب مقتضيات الأحوال، و فى حدود الاهداف الرسالية، التى لا بد من التقيد بها، و فى حدودها.

۶- ثم هناك اصراره، و صبره، و تحمله لكل المشاق و الآلام، و رفضه لكل المساومات، حتى إنهم لو وضعوا الشمس فى يمينه، و القمر فى شماله على أن يترك هذا الأمر، ما تركه. بل هو لا يقبل منهم أن يسلموا شرط أن يعطيهم فرصة زمنية للتزود من عبادة أوثانهم، مما أوضح لهم: أن المسألة تتجاوز حدود اختياره، و أن رب السماء هو الذى يرعى

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۲،ص:۲۱۶

هذا الامر، و يريده منهم.

۳- الحالة الاجتماعية:

و يأتى بعد ذلك كله دور الحالة الاجتماعية التى كانت سائدة آنذاك، حيث كان الناس يعيشون حياة الشقاء و البلاء، بكل ما لهذه الكلمة من معنى، كما دلت عليه كلمات الامام أمير المؤمنين «عليه السلام» المتقدمة، فى أوائل هذا الجزء عن الحالة الاجتماعية عند العرب- و هى لا- تختلف كثيرا عما عند غيرهم- و نضيف إلى ذلك هنا ما قاله جعفر «رحمه اللّه» لملك الحبشة، حينما ذهب عمرو بن العاص ليخدعه عنهم:

«كنا قوما أهل جاهلية، نعبد الاصنام، و نأكل الميتة، و نأتى الفواحش، و نقطع الارحام، و نسىء الجوار، و يأكل القوى منا الضعيف» «۱».

فهذه الحالة الاجتماعية القاسية التى كانت تهيمن على الأمة، و ذلك الضياع الذى يسيطر عليها قد هيأ الانسان الجاهلى نفسيا، لقبول الحق، و التفاعل معه، و جعله يتطلع للدعوة التى يجد فيها الحق و الخير، و يعرف: أنها تستطيع أن تخفف من شقائه و آلامه، و تنقذه من واقعه المزرى و المهين ذاك. و قد عبر جعفر بن أبى طالب «عليه السلام» عن ذلك، لملك الحبشة، بعد عبارته المتقدمة، فقال:

«فكنا على ذلك حتى بعث اللّه الينا رسولا منا، نعرف نسبه و صدقه و أمانته، و عفافه فدعانا إلى اللّه؛ لنوحده، و نعبده، و نخلع ما كنا نعبد نحن و آباؤنا من دونه، من الحجارة و الاوثان. و أمرنا بصدق الحديث، و أداء

---

(۱) راجع تاريخ الخميس ج ۱ ص ۲۹۰ و قاموس الرجال ج ۲ ص ۳۷۱ و البداية و النهاية ج ۳ ص ۷۳ و ۷۴.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۲،ص:۲۱۷

الامانة، وصلة الرحم، و حسن الجوار، و الكف عن المحارم و الدماء.

و نهانا عن الفواحش، و قول الزور، و اكل مال اليتيم، و قذف المحصنة إلخ «۱»».

و قد عبر أهل المدينة على لسان أسعد بن زرارة عن أملهم فى أن يحلّ «صلى اللّه عليه و آله و سلم» بدعوته تلك مشاكلهم المستعصية، حيث يذكر المؤرخون: أن الأوس و الخزرج ما كانوا يضعون السلاح فى ليل و لا نهار «۲»، فمن الطبيعى إذن أن يشتاقوا

إلى الخروج من وضع كهذا إذ:

نعمتان مجهولتان: الصحة و الامان.

و سيأتى الحديث عن ذلك حين الكلام على دخول الاسلام إلى المدينة.

هذا، و لا بد من الاشارة هنا إلى أن الاندفاع نحو الاسلام، إنما كان ظاهرا و قويا فى جملة الضعفاء و العبيد، و الفقراء. أما اولئك المستغلون و المستكبرون و أصحاب الاموال، و الاطماع، من أمثال: أبى جهل، و أبى سفيان؛ فقد كانوا هم الذين يهتمون بالقضاء على الدعوة، و منعها من الانتشار. و إن المطالع لتاريخ الاسلام فى مكة ليجد الكثير الكثير من الشواهد، التى تؤيد ما ذكرناه هنا. مع تأكيدنا على أن ذلك لا يختص بما جرى بالنسبة لنبينا «صلى اللّه عليه و آله و سلم» بل هو ينسحب على غيره من الانبياء السابقين. و قد عبر القرآن عن هؤلاء المخالفين من الطبقة الارستقراطية ب «الملأ» فى اكثر من مورد، و اكثر من مناسبة.

۴- نوع معجزته «صلى اللّه عليه و آله و سلم»:

و مما ساعد على انتشار الاسلام و انتصاره نوع المعجزة التى جاء

---

(۱) تاريخ الخميس ج ۱ ص ۲۹۰ و راجع: البداية و النهاية ج ۳ ص ۷۳ و ۷۴.

(۲) البحار ج ۱۹ ص ۸ و ۹ و ۱۰ و اعلام الورى ص ۵۵.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۲،ص:۲۱۸

بها «صلى اللّه عليه و آله و سلم» فان هذا القرآن قد حيّر العرب، ليس فقط بما يتضمنه من قوانين عامة و شاملة، و من معان و اخبارات غيبية، و من قصص فيها العبر و العظات، رأى فيها غير المسلمين تصحيحا دقيقا لما جاء منها فى كتبهم، و غير ذلك من علوم و معارف. و إنما قهرهم و بهرهم فيما كانوا يعتبرون أنفسهم، و يعتبرهم العالم بأسره قمة فيه، اكمالا للحجة، و حتى لا يبقى مجال لأى خيار؛ لأن خروجه «صلى اللّه عليه و آله و سلم» فى بيئة كهذه، بحجة كهذه، لا بد أن يجعلهم يذعنون و ينقادون للحق، و إلا فلسوف يراهم كل أحد، و يرون أنفسهم أيضا معاندين للحق، و مناصرين للباطل.

نعم، لقد بهرهم هذا القرآن و حيرهم، و لم يترك لهم مجالا للخيار فإما الجحود على علم. «و جحدوا بها و استيقنتها أنفسهم»، و اما الايمان و التسليم.

و إذا كنا نعلم: أن من مميزات العربى، و بحكم حياته و طبيعته: أنه كان يعيش حياة الحرية بكل ما لهذه الكلمة من معنى، و لم تلوّث فكره و عقله الافكار و الشبهات و الآراء المصطنعة- كما كان الحال بالنسبة لسائر الأمم، كالرومان و الفرس و غيرهما، الذين كانوا يحاولون فلسفة أديانهم البعيدة عن الفطرة، و المنافرة لها، و إظهارها بمظاهر معقولة و مقبولة-

إذا كنا نعلم و نرى ذلك، فان هذا القرآن قد جاء منسجما مع فطرة العربى، و متلائما مع طبعه و سجيته، و مع صفاء نفسه و قريحته، تماما كما كانت الدعوة نفسها منسجمة مع فطرته و روحه، و يستجيب لها عقله، و ضميره و وجدانه، لأنه كان يعيش على الفطرة، و الاسلام دين الفطرة: «فطرة اللّه التى فطر الناس عليها، لا تبديل لخلق اللّه، ذلك الدين القيم» «۱».

---

(۱) الروم: ۳۰.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۲،ص:۲۱۹

و لذلك نراه سرعان ما صار يبذل ماله، و ولده، و دمه فى سبيل هذه الدعوة، و يقتل حتى أباه، و أخاه من أجلها. و لسوف نتحدث إن شاء اللّه تعالى عن سر اعجاز القرآن فيما يأتى من فصول.

۵- بشائر اليهود و النصارى به (ص):

اشارة

و أيضا، فان بشائر أهل الكتاب بقرب ظهور نبى فى المنطقة العربية، قد سهّل هو الآخر قبول دعوته، و انتشار رسالته.

فقد جاء فى التوراة المتداولة: «و هذه هى البركة، التى بارك بها موسى رجل اللّه بنى اسرائيل قبل موته، فقال: جاء الرب من سيناء، و أشرق لهم من ساعير، و تلألأ من جبل فاران» «۱».

فالمجيىء من سيناء كناية عن تكليم اللّه لموسى «عليه السلام» فى سيناء، وساعير هى جبال فلسطين، و هو إشارة لعيسى «صلى اللّه عليه و آله و سلم». و فاران اسم قديم لأرض مكة «۲»، التى لم يظهر فيها الا نبينا الاعظم محمد «صلى اللّه عليه و آله و سلم»، الذى انزل عليه القرآن.

و النبى محمد «صلى اللّه عليه و آله و سلم» هو من نسل ابراهيم «صلى اللّه عليه و آله و سلم»، الذى جعلها أرض غربته، تقول التوراة: «و أعطى لك و لنسلك من بعدك أرض غربتك، كل أرض كنعان، ملكا أبديا» «۳».

فالمقصود بأرض غربة ابراهيم خصوص مكة، لأنها هى التى اسكن أهله فيها.

و أرض كنعان و إن كانت هى بلاد الشام و لكن المقصود فيها هنا

---

(۱) سفر التثنية، الإصحاح ۳۳ الفقرة ۱.

(۲) معجم البلدان للحموى ج ۴ ص ۲۲۵.

(۳) سفر التكوين الإصحاح ۱۷، الفقرة ۸.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۲،ص:۲۲۰

عموم بلاد العرب، بضرب من التجوز، لأن ابراهيم لم يهاجر إلى الشام، و لا أسكن اهله فيها «۱».

و جاء فى الانجيل قوله: «و هذه شهادة يوحنا حين أرسل اليهود من أورشليم كهنة و لاويين؛ ليسألوه: من أنت؟ فاعترف، و لم ينكر، و أقرّ:

أنى لست أنا المسيح. فسألوه: إذن ماذا؟ إيليا؟ فقال: لست أنا. النبى أنت؟ فأجاب: لا «۲»».

فالمراد بايليا ليس الياسا- كما ربما يدّعى- و ذلك لأنه قد كان قبل عيسى بقرون، فلابد أن يكون المقصود به رجلا يأتى بعد عيسى. و كذلك الحال بالنسبة إلى النبى الذى سألوه عنه.

و من المعلوم أنه لم يأت بعد عيسى غير نبينا محمد «صلى اللّه عليه و آله و سلم»، و اوصيائه «عليهم السلام» فلعل المقصود بالنبى هو محمد «صلى اللّه عليه و آله و سلم» و بايليا وصيّه على «عليه السلام».

هذا و بشارات العهدين به «صلى اللّه عليه و آله و سلم» كثيرة جدا، فمن أرادها فليراجع الكتب المعدة لذلك «۳» مع الأخذ بعين الاعتبار: أن التوراة و الانجيل الموجودين فعلا- قد نالتهما يد التحريف و التزوير، كما يظهر لمن راجع كتاب: الهدى الى دين المصطفى، و الرحلة المدرسية، للمرحوم البلاغى. و اظهار الحق لرحمة اللّه الهندى، و غير ذلك.

و يكفى أن نذكر هنا: أن القرآن قد قرّر: أن أهل الكتاب «يعرفونه

---

(۱) كما يفهم من مراجعة تاريخ حياته فى كتب التاريخ؛ فراجع على سبيل المثال كتاب:

قصص الأنبياء لطبارة.

(۲) إنجيل يوحنا الإصحاح الأول، الفقرة ۱۹- ۲۱.

(۳) راجع كتاب: أنيس الإعلام (فارسى)، و الرحلة المدرسية و الهدى إلى دين المصطفى، و رسول الإسلام فى الكتب السماوية، و غير ذلك.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۲،ص:۲۲۱

كما يعرفون ابناءهم، و ان فريقا منهم ليكتمون الحق، و هم يعلمون «۱»».

و قال تعالى: «الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ، الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوباً عِنْدَهُمْ فِي التَّوْراةِ وَ الْإِنْجِيلِ، يَأْمُرُهُمْ بِالْمَعْرُوفِ، وَ يَنْهاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ، وَ يُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّباتِ «۲»».

و لو أن اهل الكتاب كان يمكنهم اثبات خلاف هذا النص القرآنى، لبادروا إليه، و لما عرضوا أنفسهم للحروب و البلايا، فى سعيهم الدائب لإطفاء نور اللّه، هم و مشركوا مكة، الذين كانوا يتعاونون معهم تعاونا وثيقا.

بل إن اهل الكتاب انفسهم كانوا يتوعّدون العرب، و يقولون لهم: «ليخرجنّ نبى، فيكسرن أصنامكم، فلما خرج رسول اللّه كفروا به» «۳».

و يقول مغلطاى: إنه لما شاع قبل ولادته: أن نبيا اسمه محمد، هذا إبّان ظهوره، سمى جماعة أبناءهم محمدا، رجاء أن يكون هو، منهم محمد بن سفيان بن مجاشع إلخ. ثم عد جماعة من المسمّين بهذا الاسم» «۴».

و لما دعا رسول الإسلام بعض المدنيين- قبل الهجرة- إلى الإسلام، قال بعضهم لبعض: يا قوم، إن هذا الذى كانت اليهود يدعوننا به، أن يخرج فى آخر الزمان، و كانت اليهود إذا كان بينهم شىء، قالوا:

«إننا ننتظر نبيا يبعث الآن يقتلكم قتل عاد و ثمود، فنتبعه، و نظهر عليكم معه الخ «۵»».

---

(۱) البقرة: ۱۴۷.

(۲) الأعراف: ۱۵۷.

(۳) البحار ج ۱۵ ص ۲۳۱.

(۴) راجع: سيرة مغلطاى ص ۷.

(۵) الثقات، لابن حبان ج ۱ ص ۹۰.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۲،ص:۲۲۲

مناطق سكنى أهل الكتاب:

و بعد، فإن النصارى لم يتوغّلوا فى قلب الجزيرة العربية، بل كانوا يسكنون على اطرافها: الحيرة، و بلاد الشام، و كانت بعض القبائل العربية تدين بالنصرانية، دون ان يلتزموا بطقوسها الدينية الا بصورة ضعيفة كما سنرى.

أما اليهود، فقد كانوا أولا هم حكام يثرب، بعد أن قدموها من بلاد فلسطين، فرارا من الاضطهاد الذى حاق بهم، ثم قدمها الأوس و الخزرج القحطانيون من اليمن، و تغلبوا عليها، و حصروا اليهود- و هم ثلاث قبائل:

بنو النضير، و قينقاع، و قريظة- فى مناطق معينة فى المدينة و اطرافها، و كانوا يسكنون فدكا و تيماء أيضا.

و يذكر هيكل: أنه كان يحظر على اليهود و النصارى سكنى مكة، إلا أن يكون أجيرا، لا يتحدث بشىء من امر دينه و من أمر كتابه.

ثم يستثنى فى موضع آخر: العبيد منهم «۱».

و لكننا نجد: أنه كان يسكنها المتنصرة من العرب كورقة بن نوفل و اضرابه، و على كل حال، فان هذا الامر لا يهمنا تحقيقه كثيرا.

اهل الكتاب و هيمنتهم العلمية على العرب:

و ما يهمنا هنا: هو الاشارة إلى أن العرب كانوا ينظرون إلى أهل الكتاب نظر التلميذ إلى معلمه، و يعتبرونهم مصدر الثقافة و المعرفة لهم، حتى إننا لنجد فى التاريخ: أن العربى كان إذا أراد الاسلام يستشير حبرا، أو راهبا فى ذلك. بل نجد قبيلة بكاملها تذهب إلى يهود فدك و تسألهم عن

---

(۱) راجع: حياة محمد، لمحمد حسين هيكل ص ۶۵ و ۶۶.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۲،ص:۲۲۳

رسول اللّه، بعد أن عرض دعوته عليهم «۱».

كما و يعرض الاسلام على كندة؛ فيأبونه؛ فيستدل بعضهم على صدق هذا النبى بأن اليهود قد قالوا: إنه سوف يظهر نبى من الحرم قد أظل زمانه «۲».

و اسلام أهل المدينة كان فى مبدئه مستندا إلى نظير هذه الحجة، كما أشرنا، و سنشير إليه ان شاء اللّه تعالى «۳».

و عن ابن عباس، قال: «كان هذا الحى من الانصار- و هم اهل وثن- مع هذا الحى من اليهود، و هم اهل كتاب، فكانوا يرون لهم فضلا عليهم فى العلم. و كانوا يقتدون بكثير من فعلهم «۴».

و قد اسلم وفد أهل الحيرة، و كعب بن عدى، فلما توفى «صلى اللّه عليه و آله و سلم» ارتابوا؛ فثبت كعب على الاسلام، قال: ثم خرجت أريد المدينة، فمررت براهب كنا لا نقطع أمرا دونه «۵». إلى آخر كلامه، الذى ذكر فيه حصول اليقين له، بسبب كلام الراهب.

و ليلاحظ بدقة قوله: «كنا لا نقطع أمرا دونه»!

و أيضا، فقد تقدم فى الفصل الاول من هذا الجزء و سيأتى «۶»: أن

---

(۱) راجع: البداية و النهاية ج ۳ ص ۱۴۵، و دلائل النبوة لأبى نعيم ص ۱۰۲.

(۲) دلائل النبوة لأبى نعيم ص ۱۰۳.

(۳) سيأتى ذلك فى الجزء الثانى فى فصل: حتى بيعة العقبة حين الكلام حول دخول الإسلام إلى المدينة.

(۴) الإسرائيليات و أثرها فى كتب التفسير ص ۱۰۹ عن أبى داود. و قال: و انظر تفسير ابن كثير ج ۱ ص ۲۶۱.

(۵) الإصابة ج ۳ ص ۲۹۸ عن البغوى، و ابن شاهين، و ابن السكن، و ابن يونس فى تاريخ مصر، و أبى نعيم.

(۶) سيأتى ذلك فى فصل: غدر اليهود، و الاغتيالات عن البداية و النهاية ج ۴ ص ۶

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۲،ص:۲۲۴

أبا سفيان قد سأل كعب بن الاشرف عن: أن أى الدينين أرضى للّه تعالى، دينه أم دين محمد.

و قالت قريش لبعض يهود بنى النضير، و هم: سلام بن أبى الحقيق و حيّ بن أخطب، و كنانة بن الربيع، حين ذهبوا إلى مكة ليحرّضوا الاحزاب على حرب المسلمين، قالت لهم قريش: «يا معشر يهود، إنكم أهل الكتاب الأول، و العلم بما أصبحنا نختلف فيه نحن و

محمد؛ أفديننا خير أم دينه، قالوا: بل دينكم خير من دينه، و انتم أولى بالحق منه، فلما قالوا ذلك لقريش سرّهم، و نشطوا لما دعوهم إليه الخ» «۱».

و نحن، و إن كنا نعلم أن زعماء قريش كانوا يعلمون الحق، و لكنهم كانوا يكتمونه عنادا و استكبارا لقوله تعالى: وَ جَحَدُوا بِها وَ اسْتَيْقَنَتْها أَنْفُسُهُمْ. و لكن الذى يلفت نظرنا هو هذا الاستغلال لنفوذ اليهود، و هيمنتهم العلمية، و اعتبارهم مصدرا للمعارف الدينية.

و بالمناسبة فان التاريخ يعيد نفسه، فان نظرة المسلمين إلى الاوروبيين الآن تشبه تماما، ما كانت عليه فى الجاهلية.

و أخيرا، فقد قال الحلبى و ابن هشام: «لا يخفى: أن كفار قريش بعثوا النضر بن الحرث، و عقبة بن أبى معيط، إلى احبار يهود بالمدينة.

و قالوا لهما: اسألاهم عن محمد، وصفا لهم صفته، و أخبراهم بقوله؛ فانهم أهل الكتاب الأول» «۲» ثم ذكر ما جرى بينهم و بين اليهود، ثم ما جرى لهم مع النبى «صلى اللّه عليه و آله و سلم» فى مكة.

و الخلاصة: أن اخبارات أهل الكتاب تلك قد غرست فى ذهن

و السيرة النبوية لابن كثير ج ۳ ص ۱۱.

(۱) سيرة ابن هشام ج ۳ ص ۲۲۵/ ۲۲۶. و ستأتى بقية المصادر فى غزوة الخندق.

(۲) السيرة الحلبية ج ۱ ص ۳۱۰، و سيرة ابن هشام ج ۱ ص ۳۲۱.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۲،ص:۲۲۵

العربى: أن نبيا سوف يخرج من منطقته، مما سهل عليه قبول دعوته «صلى اللّه عليه و آله و سلم»، و الاذعان للحق الذى جاء به؛ لأن الناس- باستثناء اصحاب المطامح و الأهواء، و الطواغيت منهم- لصفاء و سلامة طباعهم، و كونهم أقرب الى الفطرة، و عدم تلوث فكرهم بالشبهات و الفلسفات المعقدة كانوا يتقبلون الحق، و يذعنون له. و قبليّتهم و عاداتهم إنما كانت تمنع فقط من انقياد بعضهم لبعض، بسبب غلظتهم، و انفتهم، و بعد هممهم. و لكن لم يكن ذلك يمنعهم من قبول الحق، و الإذعان لإرادة السماء «۱».

۶- الفراغ العقائدى و السياسى: أ: الفراغ العقائدى:

لقد كان العرب يعانون من فراغ عقائدى هائل، عبر عنه أمير المؤمنين «عليه السلام» بقوله المتقدم: «بعثه، و الناس ضلال فى حيرة، و حاطبون فى فتنة، حيارى فى زلزال من الأمر، و بلاء من الجهل».

و يكفى أن نذكر: انهم حتى عبادتهم للاصنام قد كانت ملوّنة باللون القبلى، فلكل قبيلة بل لكل بيت وثن، و طريقة.

و كثيرا ما كانت دوافعهم إلى عبادة تلك الاصنام عاطفية، بعيدة عن اساليب التبرير العقلى، و المنطقى، فارتباط العربى بهذا الصنم إنما هو لأن هذا الصنم مرتبط بتاريخ أبيه أو جدّه. فالعربى يعتز بنسبه بحسب طبعه، و بما ينسب إليه، قال تعالى حكاية لذلك عنهم: «بَلْ قالُوا: إِنَّا وَجَدْنا آباءَنا عَلى أُمَّةٍ، وَ إِنَّا عَلى آثارِهِمْ مُهْتَدُونَ «۲»».

---

(۱) راجع: البيان و التبيين للجاحظ ج ۳ ص ۱۲۷.

(۲) الزخرف: ۲۲.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۲،ص:۲۲۶

و مما يدل على أن عبادتهم للاصنام لم تكن عن تعقل و قناعة هو أن الذين كانوا يرجعون إلى فطرتهم، و الى عقولهم سرعان ما يدركون منافرتها للفطرة، و لأحكام العقل السليم، و يرغبون بالخروج من هذا الجو، و لذلك نجد المؤرخين يذكرون: أن عبد

المطلب قد رفض عبادة الاوثان، كما و يذكرون: أن ورقة بن نوفل، و عثمان بن الحويرث، و زيد بن عمرو بن نفيل، و عبيد اللّه بن جحش قد تبرموا من عبادة الاوثان، و عبروا عن ضعف ثقتهم فيها، فاجتمعوا و تشاوروا فتنصر الأولان، و بقى الآخران فى حيرتهم و شكهم «۱».

ب: الفراغ السياسى: فإن أرض العرب القاحلة، و الجو الحار الذى تتميز به، و حياتهم المتنقلة من مكان الى مكان، و قدرتهم على تحمل المشاق. قد جعل السيطرة عليهم شبه مستحيلة حسبما قدمنا. بل جعلهم بحسب طبيعة ظروفهم الحياتية قادرين على توجيه الضربات القاصمة لكل دخيل، و جعله فى رعب دائم، و خوف مستمر، الأمر، الذى اسهم بشكل فعال فى ابعاد أطماع المستعمرين عن منطقتهم، مع قناعة المستعمر بأنه سوف لا يجنى الكثير من النفع، فى مقابل الكثير من الضرر الذى سوف يتعرض له، و لا سيما مع علمه بأن حب الانطلاق فى البادية بلا- رقيب و لا- حسيب مغروس فى دم العربى، و فى روحه، و فى أعماق أعماقه، و لا يتنازل عن ذلك بأى ثمن كان.

فكل ذلك قد جعل المنطقة فى فراغ سياسى محسوس، بل إن شمالى الجزيرة العربية لم يتعرض لأى حكم أجنبى أصلا نعم قد تعرض جنوبها و هو اليمن لسلطة الاحباش لفترة قصيرة «۲».

---

(۱) راجع: البداية و النهاية ج ۲ ص ۲۳۷- ۲۳۸ و حياة محمد لهيكل ص ۸۹، و غير ذلك.

(۲) راجع: مختصر تاريخ العرب، للسيد أمير على ص ۸.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۲،ص:۲۲۷

و هذا الفراغ السياسى قد جعلها بعيدة عن نفوذ الأديان الكبرى بشكل فعال، و لو بفرض من السلطة الحاكمة، كالنصرانية و الزرادشتية، و حتى عن التأثر باليهودية التى كانت تعيش بينهم و معهم، فبقيت المنطقة بعيدة عن الشبهات و الافكار الغريبة و الدخيلة، و إن كان قد تسرّب إليها بعض اليهود فرارا من الرومان، و لكن لم يكن لهم أى نشاط دينى، أو لعله كان، و لكنه لم يثمر، إذ لم يكن ثمة سلطة تدعمه سياسيا و اعلاميا، و لذلك فقد اشرنا الى أنهم يذكرون أن نصارى تغلب ما كانوا يتمسكون من النصرانية إلا بشرب الخمر «۱» بل إن جميع نصارى العرب كانوا كذلك «۲».

و ما ذلك إلا- لأن النصرانية بعيدة عن عقل و فطرة الانسان، و لا تستطيع أن تتّصل بروحه و وجدانه لتفرض هيمنتها على أفعاله، و سلوكه.

أما الاسلام دين الفطرة الذى استطاع بفترة و جيزة أن يصنع أمثال أبى ذر، و عمار، و سلمان، فانه يتصل أولا بعقل الانسان، ثم بروحه و وجدانه، حتى يحوله إلى انسان إلهى بكل ما لهذه الكلمة من معنى، و قد استطاع أن يجعل من هؤلاء المتوحشين إلى الامس القريب، و الذين لا يلتزمون بنظام، و لا يحكمهم قانون، اكثر الامم اتّباعا للنّظم، و اشدها إيمانا و اخلاصا للقانون الالهى.

كما و يلاحظ أن من رباهم النبى و الائمة فى فترات وجيزة جدا. مع محدودية إمكاناتهم لم تستطع الحكومات الاخرى، حتى التى تنسب نفسها إلى الاسلام أن تأتى بأمثالهم، رغم توفر كل الامكانات لها، الأمر الذى يشير بوضوح إلى الدور الكبير الذى يضطلع به القائد و الحاكم الحق

---

(۱) المصنف للصنعانى ج ۶ ص ۷۲ و ج ۷ ص ۱۸۶ و السنن الكبرى ج ۹ ص ۲۸۴.

(۲) المصنف للصنعانى ج ۶ ص ۷۲ و ۷۳ و ج ۷ ص ۱۸۶ و السنن الكبرى ج ۹ ص ۲۱۷.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۲،ص:۲۲۸

فى تربية المجتمع، و فى تزكيته.

قال المعتزلى: «و الغالب على أهل الحجاز الجفاء و العجرفية، و خشونة الطبع. و من سكن المدن منهم، كأهل مكة، و المدينة، و الطائف؛ فطباعهم قريبة من طباع أهل البادية بالمجاورة.

و لم يكن فيهم من قبل حكيم و لا فيلسوف، و لا صاحب نظر و جدل، و لا موقع شبهة، و لا مبتدع نحلة الخ» «۱».

و خلاصة الأمر: إن صفاء نفوس عرب الحجاز و عدم تلوثها بالافكار، و الانحرافات و الشبهات الغريبة عن الفطرة، بالاضافة إلى الفراغ العقائدى، و عدم معقولية شركهم، و عبادتهم للاوثان، ثم الحالة الاجتماعية السيئة التى كانوا يعانون منها- كل ذلك قد اسهم اسهاما كبيرا فى نشر الدعوة الاسلامية، و قبولها.

و لذلك ترى أن كثيرا منهم كانوا يسلمون بمجرد سماعهم كلامه «صلى اللّه عليه و آله و سلم»، و اطلاعهم على أصول دعوته و اهدافها، أو بمجرد ان يتلو عليهم القرآن.

و إذا ما رأينا ساداتهم و كبراءهم- عموما- كانوا يجحدون بهذه الدعوة الحقة، فليس ذلك لأنهم لم يجدوا فيها ما يقنعهم، بل لأنهم وجدوها تضر بمصالحهم الدنيوية، و تصدهم عن مطامعهم اللاانسانية؛ فهم مصداق لقوله تعالى: «وَ جَحَدُوا بِها وَ اسْتَيْقَنَتْها أَنْفُسُهُمْ «۲»».

و لذلك نلاحظ: أن الناس ما كانوا يتطلبون الاستدلال على التعاليم و الافكار الدينية كثيرا، فى أول الأمر؛ لأن صفاء نفوسهم، و سلامة فطرتهم، و عدم ارباكها و ارهاقها بالأفكار، و الفلسفات، و الشبهات كان

---

(۱) شرح النهج للمعتزلى ج ۷ ص ۵۱.

(۲) النمل/ ۱۴.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۲،ص:۲۲۹

كافيا لادراك حقانية الدعوة، و سلامة افكارها. و كانت الآيات انما تحاول إرجاعهم إلى الفطرة و تدعوهم إلى التفكير، و التعقل.

و لكن بعد أن دخلت الفلسفات و الافكار الغريبة، و الشبهات المغرضة، إلى فكر و عقل هذا الانسان، و حجبت فطرته، و أربكت تفكيره و أرهقت عقله، صار الناس يحتاجون اكثر فأكثر إلى الادلة، و يتطلبونها من الائمة، بحسب نسبة تلوث فطرتهم بالشبهات و الافكار الغريبة.

۷- الحياة الصعبة، و التضحية بالنفس:

و كانت بدائية العرب، و حياتهم الصعبة، التى يعانون منها، قد جعلتهم اكثر اقداما على التضحية فى سبيل الدعوة التى يؤمنون بها عن قناعة وجدانية راسخة، و يتفاعلون معها تفاعلا روحيا خالصا.

و ذلك لأنهم لم ينعموا بحياة النعيم و الرفاهية، التى لا تعب فيها و لا نصب، و لا آلام؛ ليصبح لهم تعلق شديد بالحياة، و حب، بل و عشق لها، فان من الملاحظ: أنه كلما كانت الحياة رخية ناعمة مرفهة، كلما ازداد تعلق الانسان بها، و حبه لها. و كلما كان العكس، سهل عليه تركها، و التخلى عنها.

كما أن الدعوة التى سوف يتعرض أفرادها لمختلف أنواع الضغوط النفسية، و الاقتصادية، و الاجتماعية و اقساها، بحاجة ماسة إلى جماعة قادرين على مواجهة تلك الضغوط، و تحمل تلك الآلام، و الصبر على التعذيب، و الجوع و الاضطهاد، بمختلف انواعه.

و قد كان العرب- عموما- كذلك؛ لأنهم قد عانوا من مشاق الحياة و الطبيعة ما عانوا. و أصبحت الآلام و المتاعب و المصاعب هى الصفة المميزة لحياتهم بل هى خبزهم اليومى و غير ذلك هو الاستثناء. فهم أقدر من غيرهم على تحمل ما ينتظر أتباع هذه الدعوة؛ لأن المنعمين لا

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۲،ص: ۲۳۰

يستطيعون عادة تحمل المشاق، و مواجهة الصعوبات فان الشجرة البرية اصلب عودا، و أبطأ خمودا؛ و لذلك نجد: أن بعض المسلمين كانوا يودّون لو يجعلون امتيازا لأحدهم، و هو ابن عمير لأنه كان منعما قبل أن يسلم، و حينما أسلم تعرض للمشاق و الآلام، فذلك جعلهم يشعرون بأنه قد تحمل من المصاعب و الآلام ما يوجب الرثاء و الرحمة له؛ و ما ذلك إلا إنطلاقا من الناحية التى اشرنا اليها آنفا.

۸- بقايا الحنيفية فى العرب:

و بعد، فان مما ساعد على ذلك أيضا، وجود بقايا الحنيفية- دين ابراهيم كالحج و آدابه- فى الجزيرة العربية، و فى مكة بالذات؛ لأن العرب، و هم أولاد اسماعيل، قد توارثوا عنه الدين الحق و كانوا يعتزون بذلك، و قد قال اللّه تعالى لهم: مِلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْراهِيمَ .. و لكنهم على مر السنين بدؤا يخلطون هذا الحق بكثير من الباطل، شأن سائر الأمم، عند ما يغشاها الجهل، و تستبد بها الاهواء، و الانحرافات.

ثم تسرب إليهم الشرك، و عبادة الاوثان، حسبما قدمنا، ثم الكثير من الامور الباطلة، و الاخلاق الذميمة، و الفواحش، حتى اصبحوا فى الجاهلية العمياء، و حتى أدى بهم الامر الى الحالة التى وصفها لنا أمير المؤمنين «عليه السلام» فيما تقدم، غير أن بقية منهم- و ان كانت قليلة جدا- قد بقيت متمسكة بعقيدة التوحيد، و ترفض عبادة الاوثان. و تعبد اللّه على حسب ما تراه مناسبا، و قريبا إلى تعاليم دين ابراهيم. و من هؤلاء عبد المطلب، و أضرابه، من رجالات بنى هاشم الأبرار.

و كان من بقايا الحنيفية تعظيم البيت، و الطواف به، و الوقوف بعرفة، و التلبية «۱» و هدى البدن، و إن كانوا يطبقون ذلك مشوها و ممسوخا،

---

(۱) ذكر اليعقوبى فى تاريخه ج ۱ ص ۲۵۴- ۲۵۷ ط صادر تلبيات كل قبيلة، و أعطى نبذة عن شعائرهم فى مكة، فمن أراد فليراجع.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۲،ص: ۲۳۱

و يقحمون فيه ما ليس منه. و كانت هذه المعالم تضعف رويدا رويدا، مع الزمن، حتى لم يبق منها إلا الاسماء، و الرسوم الشوهاء.

و قد روى عن الامام الصادق «عليه السلام» ما مفاده: إن العرب كانوا أقرب الى الدين الحنيفى من المجوس؛ فان العرب يغتسلون من الجنابة، و الإغتسال من خالص شرايع الحنيفية. و هم أيضا يختتنون، و هو من سنن الانبياء، كما أنهم يغسلون موتاهم، و يكفنونهم، و يوارونهم فى القبور، و يلحدونهم، و يحرمون نكاح البنات و الأخوات، و كانوا يحجون إلى البيت و يعظمونه، و يقولون: بيت ربنا، و يقرون بالتوراة و الانجيل، و يسألون أهل الكتب، و يأخذون منهم. و كانت العرب فى كل الاسباب اقرب إلى الدين الحنيفى من المجوس «۱».

إذن، فقد كان ثمة ذكريات بعيدة فى ضمير و وجدان الانسان العربى، تربطه بالحنيفية السهلة السمحاء، دين آبائه و أجداده- و هو الذى يعتز بالانساب وصفائها، بحكم ما يتعرض له من الغزو و السبى الموجب للتهمة أحيانا- و إذا كان النبى «صلى اللّه عليه و آله و سلم» قد بعث ليتمّها؛ فمن الطبيعى أن يكون لهذه الذكريات أثر فى نظرة كثير من الناس إليه، و إلى ما جاء به بإيجابية و واقعية.

۹- الخصائص و العادات العربية:

و لقد كان لبعض الخصائص، و الاخلاق، و العادات العربية، اثر كبير فى نشر دعوة الرسول «صلى اللّه عليه و آله و سلم»، التى هى

دعوة الحق و الخير و شمولها. و إن كان الاسلام الذى استفاد من تلك الخصائص و العادات و الأخلاق، قد حاول إلى جانب ذلك تركيزها من حيث المنطلقات و الأهداف على أسس صحيحة و مقبولة. و أما إن كانت مرفوضة

---

(۱) راجع: الاحتجاج، للطبرسى ج ۲ ص ۹۱/ ۹۲ و البحار ط مؤسسة الوفاء ج ۷۸ ص ۸.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۲،ص:۲۳۲

إسلاميا، فانه- و إن كانت قد أفادته تلقائيا، و من دون أن يتطلب هو ذلك- كان يحاول القضاء عليها، و استئصالها، بالحكمة و الموعظة الحسنة، كلما سنحت له الفرصة، و واتاه الظرف.

فمثلا: لقد استفاد الاسلام كثيرا من شجاعة العربى، و استهانته بالصعاب، فى الدفاع عن الاسلام.

و أيضا، فقد كان للتعصب القبلى بعض الفوائد الهامة، حتى ليذكرون أنه بعد الهجرة الى المدينة؛ كان الأوس و الخزرج: «يتصاولان مع رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله و سلم» تصاول الفحلين، لا تصنع الأوس شيئا فيه عن رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله و سلم» غناء الإ قالت الخزرج: و اللّه، لا يذهبون بهذه فضلا علينا عند رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله و سلم» فى الاسلام؛ فلا ينتهون حتى يوقعوا مثلها. قال: و إذا فعلت الخزرج شيئا قالت الاوس مثل ذلك» «۱».

و أما قبل الهجرة فى مكة، فقد كان للقبلية أثر كبير فى منع قريش و غيرها مدة طويلة من المضايقات لكثير ممن اعتنقوا الاسلام، ثم من محاولة الاعتداء على حياته «صلى اللّه عليه و آله و سلم»، أو على حياة اكثر المسلمين آنذاك، و إن كانت تواجههم بالمضايقات أحيانا، و احيانا بالتعذيب القاسى، إن لم يكن لهم عشيرة يرهب جانبها، حتى أذن اللّه تعالى لهم بالهجرة إلى المدينة.

و لذلك نلاحظ: أن أبا طالب (رحمه اللّه) قد استفاد كثيرا من العامل القبلى، حتى إن بنى هاشم مسلمهم و كافرهم قد قبلوا بمحاصرة قريش لهم. و كانوا معه فى شعب ابى طالب كما سيأتى. و تجد فى شعر أبى طالب الكثير من التأكيد على عامل القرابة بين بنى هاشم و طوائف من

---

(۱) تاريخ الطبرى ط الاستقامة ج ۲ ص ۱۸۴ د و راجع الكامل لابن الأثير ط صادر ج ۲ ص ۱۴۶.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۲،ص:۲۳۳

قريش. الأمر الذى كان له أثر كبير فى حفظ حياته «صلى اللّه عليه و آله و سلم» من كيد أعدائه كما قلنا.

بل إننا نجد المشركين حتى فى عدائهم له «صلى اللّه عليه و آله و سلم»!، و حتى حينما تآمروا عليه ليقتلوه- و كان ذلك هو سبب هجرته «صلى اللّه عليه و آله و سلم»- قد أخذوا بعين الاعتبار العلاقات القبلية، و ردّات الفعل التى سوف تنجم عنها فاختاروا عشرة اشخاص، من كل قبيلة رجلا، ليضربوا رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله و سلم» بسيوفهم فى آن واحد و سيأتى ذلك إنشاء اللّه تعالى.

و فى المدينة ايضا كان ثمة أثر كبير لكرم ضيافة العربى، و لوفائه بالعهد و الذمار، و لحسن الجوار، و لحريته، و حميته، و انفته و عزته، و اعتداده بنفسه، و قوة إرادته، و للشجاعة، و الاقدام، و حتى لصفات القوة و الغلظة، التى ولدتها فيهم حياة الغزو و الحرب، و جعلتهم قادرين على التخلى عن العواطف فى سبيل دينهم و عقيدتهم، حتى لقد كانوا يقتلون ابناءهم، و آباءهم، و اخوانهم.

۱۰- دور أبى طالب، و على (ع) و أموال خديجة «عليها السلام»:

ثم إننا يجب أن لا ننسى الدور الذى اضطلع به الرجل العظيم، أبو طالب شيخ الابطح «عليه السلام»، الذى و فّر للنبى «صلى اللّه عليه و آله و سلم» حمايته المطلقة من كل أعدائه و مناوئيه.

ثم هنالك العامل الاقتصادى الذى وفرته له زوجته أم المؤمنين خديجة صلوات اللّه و سلامه عليها، و التى كانت تمتلك- حسبما يرى

البعض- عصب الاقتصاد فى الجزيرة العربية كلها.

و قد أنفقت كل تلك الأموال على المسلمين، فى الظروف الحرجة

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۲،ص:۲۳۴

التى واجهوها، إبّان اضطهاد قريش و حصارها الاقتصادى لهم.

و مما يدل على أن النبى «صلى اللّه عليه و آله و سلم» كان يتولى الانفاق على المسلمين، من أموال خديجة و أبى طالب «۱» قول أسماء بنت عميس لعمر «۲» حين عيّرها بأنه سبقها بالهجرة، و إنها حبشية حجرية- على ما نقل عن صحيح مسلم و غيره- قالت له: «كنتم مع النبى «صلى اللّه عليه و آله و سلم» يطعم جائعكم، و يعظ جاهلكم «۳»».

و أخيرا، فيجب أن لا ننسى دور وصى و أخى النبى «صلى اللّه عليه و آله و سلم»، أمير المؤمنين «عليه السلام»، حسبما سيظهر ان شاء اللّه- و لو بنحو محدود- فى مطاوى هذه السيرة العطرة.

نعم لقد كان لكل ذلك دور هام فى حفظ الدعوة، و انتصارها، و انتشارها، كما لا يخفى على الناقد البصير، و المتتبع الخبير.

و ثمة أسباب أخرى قد ساعدت على ظهور الاسلام، و انتشاره، و انتصاره، يمكن استجلاء بعضها من مطاوى التاريخ الاسلامى.

و نحن نكتفى هنا بهذا القدر؛ لنوفر الفرصة لعرض حياة النبى الأعظم «صلى اللّه عليه و آله و سلم» بعد البعثة، و بشكل موجز و واضح قدر الامكان.

---

(۱) البحار ج ۱۹ ص ۱۶ و أموال خديجة أمرها أشهر من أن يذكر فراجع أمالى الشيخ الطوسى ج ۲ ص ۸۱/ ۸۲ و البحار ج ۱۹ ص ۶۱ و ۶۲.

(۲) ستأتى مصادر ذلك فى فصل: هجرة الرسول الأعظم (ص)، حين الكلام حول ثروة أبى بكر.

(۳) قاموس الرجال ج ۱۰ ص ۳۸۰ و حياة الصحابة ج ۱ ص ۳۶۱ و البداية و النهاية ج ۴ ص ۲۰۵ و صحيح مسلم ج ۷ ص ۱۷۲ و فتح البارى ج ۷ ص ۳۷۲ و صحيح البخارى ج ۳ ص ۳۵ ط سنة ۱۳۰۹ ه، و كنز العمال ج ۲۲ ص ۲۰۶ عن أبى نعيم، و الطيالسى، و مسند أحمد ج ۴ ص ۳۹۵ و الأوائل ج ۱ ص ۳۱۴.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۲،ص:۲۳۵

تنبيه هام و ضرورى:

إن كل ما ذكرناه آنفا لا يعنى: أن ظهور الاسلام، و انتشاره فى الجزيرة العربية قد كان أمرا طبيعيا، بحيث إنه لو توفرت هذه العوامل لأى دعوة أخرى، فانها تستطيع أن تحقق نفس النتائج التى حققها الاسلام.

بل الامر على العكس من ذلك تماما، فان ظهور الاسلام، و انتصاره فى هذه المنطقة هو بذاته معجزة له، و دليل على حقانية الاسلام؛ و ذلك لأن اليهودية قد كانت موجودة، و كانت هذه الظروف أيضا موجودة، و لكنها لم تستطع أن تؤثر أثرا يذكر فى عقلية العربى، و لا فى سلوكه، و تصرفاته «۱».

و كذلك الحال بالنسبة للنصرانية، التى كانت تهتم فى تنصير كل من تقدر على تنصيره. ثم هناك الزرادشتية و غيرها من الاديان.

و هذا معناه: أن لنفس المبدأ، و الرسالة، و القائد دورا هاما جدا، بل و الدور الأول و الاساس فى عملية التغيير و فى النجاح و فى استمراره.

و بدون ذلك، فان كل نجاح- لو كان- فلسوف يكون محدودا جدا، و لظروف معينة، و لسوف ينتهى بمجرد انتهاء تلك الظروف.

و قد رأينا الاسلام رغم ما عاناه من مصائب و بلايا حتى على أيدى أبنائه- كان و لا يزال يزداد قوة و فعالية على مر الزمن، و فى

مختلف الظروف و الأحوال، و لم يؤثر فقدان تلك الظروف و العوامل، و لا تحولها و تقلبها لا فى الاسلام، و لا فى فعاليته، إن لم نقل: إنه قد زاد فى ذلك بشكل ظاهر.

و الذى يفسر لنا هذه الظاهرة، هو ما ذكرناه آنفا من أن الاسلام يستطيع أن يستوعب طاقات الانسان، و يحولها و يطورها فى مصلحة

---

(۱) و إن كان دين اليهود مقصورا عليهم و لا يتعداهم إلى غيرهم من الأمميين.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۲،ص:۲۳۶

الرسالة و الحق. كما أنه يستطيع أن يتلائم مع الظروف المختلفة، فهو يملك لكل داء دواء، و لكل مشكلة حلا، و لكل ظرف ما يناسبه، على عكس غيره من الدعوات الجامدة، و المحدودة.

و لذلك، فان الاسلام عند ما نجح فى الجزيرة العربية، و إن كان قد استفاد من بعض الظروف، و حوّل و طوّر الاوضاع السائدة فى صالحه، إلا أنه كان فى نفس الوقت لا يجد فى المنطقة التى ظهر فيها الكثير من المميزات الهامة التى من شأنها أن تساعده فى مهمته. و لو لاها فان أى دعوة أخرى لا تستطيع أن تنجح. و لكن فقدها لم يؤثر على الاسلام، كما أن امتلاك اعدائه لها لم يؤثر عليه أيضا.

و هذا أحد أسرار عظمة الاسلام و سموّه. وفقنا اللّه للعمل فى سبيله، و الاهتداء بهديه، إنه ولى قدير.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۲،ص:۲۳۷

القسم الثانى من البعثة حتى الهجرة

اشارة

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۲،ص:۲۳۹

الباب الأول: من البعثة الى الاعلان بالدعوة

اشارة

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۲،ص:۲۴۱

الفصل الأول: البعثة و المعجزة

اشارة

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۲،ص:۲۴۳

عمر النبى «صلى اللّه عليه و آله و سلم» حين البعثة:

لقد بعث «صلى اللّه عليه و آله و سلم» بعد عام الفيل بأربعين عاما، أى حينما بلغ الاربعين من عمره الشريف، على قول أكثر أهل السير، و العلم بالأثر. و كان قبل ذلك يسمع الصوت و لا يرى الشخص حتى تراءى له جبرائيل و هو فى سن الاربعين.

و قيل: بل كان عمره «صلى اللّه عليه و آله و سلم» حين بعثته إثنين، و قيل: ثلاثا. و قيل خمسا و أربعين سنة «۱».

و ربما لا يكون بين هذه الأقوال منافاة إذا كان القائلون بها يأخذ بعضهم، و بعضهم الآخر لا يأخذ السنوات الأولى، و هى فترة الدعوة

الإختيارية، أو فقل: السرية بنظر الإعتبار و التى قد اختلف فى مقدارها من ثلاث إلى خمس سنوات «۲».

---

(۱) راجع فى ذلك كلا أو بعضا سيرة مغلطاى ص ۱۴، و السيرة الحلبية ج ۱ ص ۲۲۴، و تاريخ الطبرى ج ۲ ص ۴۲ و ۴۳، و البداية و النهاية ج ۳ ص ۴، و فى الطبرى ج ۲ ص ۴۲ رواية تفيد: ان عمره (ص) كان حينئذ عشرين سنة، و هى رواية لا يرتاب أحد فى بطلانها. و راجع مشاهير علماء الأمصار ص ۳.

(۲) البحار ج ۱۸ ص ۱۷۷ و ۱۹۴ عن إكمال الدين ص ۱۹۷ و التمهيد فى علوم القرآن ج ۱ ص ۸۱/ ۸۲ و راجع: تاريخ اليعقوبى ج ۲ ص ۱۹ و سيرة ابن هشام ج ۱ ص ۲۸۰، و المناقب لابن شهر آشوب ج ۱ ص ۴۳.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۲،ص:۲۴۴

أو لعل بعضهم لم يكن يرى أن النبى «صلى اللّه عليه و آله و سلم» مرسل فى تلك الفترة إلى الناس كافة، أو أنه كان مكلفا بدعوة الاقربين فقط.

كما أن ذلك لعله هو سبب الإختلاف الظاهرى فى مدة بقاء النبى «صلى اللّه عليه و آله و سلم» فى مكة داعيا إلى اللّه فيها قبل الهجرة، حيث قال بعضهم إنه: «صلى اللّه عليه و آله و سلم» بقى عشر سنين. و قال آخرون: ثلاث عشرة سنة.

تاريخ البعثة، و كيفية نزول القرآن:

و المروى عن أهل البيت «عليهم السلام»- و أهل البيت أدرى بما فيه و أقرب إلى معرفة شؤون النبى «صلى اللّه عليه و آله و سلم» الخاصة-:

أن بعثة النبى «صلى اللّه عليه و آله و سلم» كانت فى السابع و العشرين من شهر رجب. و هذا هو المشهور بل ادعى المجلسى الإجماع عليه عند الشيعة، و روى عن غيرهم أيضا «۱».

و قيل: إنه «صلى اللّه عليه و آله و سلم» بعث فى شهر رمضان المبارك، و اختلفوا فى أى يوم منه «۲» و قيل فى شهر ربيع الأول، و اختلف أيضا فى أى يوم منه «۳».

---

(۱) راجع السيرة الحلبية ج ۱ ص ۲۳۸ عن أبى هريرة، و سيرة مغلطاى ص ۱۴ عن كتاب العتقى عن الحسين، و منتخب كنز العمال هامش مسند أحمد ج ۳ ص ۳۶۲، و مناقب ابن شهر آشوب ج ۱ ص ۱۷۳ و البحار ج ۱۸ ص ۲۰۴ و ۱۹۰.

(۲) راجع: تاريخ الطبرى ج ۲ ص ۴۴ و سيرة ابن هشام ج ۱ ص ۲۵۶، و تاريخ اليعقوبى ج ۲ ص ۲۲/ ۲۳ ط صادر و البداية و النهاية ج ۳ ص ۶.

(۳) المواهب اللدنية ج ۱ ص ۳۹، و سيرة مغلطاى ص ۱۴، و تاريخ اليعقوبى ج ۲ ص ۲۲ و التنبيه و الإشراف ص ۱۹۸، و مروج الذهب ج ۲ ص ۲۸۷، و السيرة الحلبية ج ۱ ص ۲۳۸.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۲،ص:۲۴۵

و استدل القائلون بأنه «صلى اللّه عليه و آله و سلم» قد بعث فى شهر رمضان المبارك، و ليس فى رجب بأن النبى «صلى اللّه عليه و آله و سلم» إنما بعث بالقرآن، و القرآن قد أنزل فى شهر رمضان، قال تعالى: إِنَّا أَنْزَلْناهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ «۱»، و قال: شَهْرُ رَمَضانَ الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ «۲».

ثم ان هنا اشكالا آخر لا بد من الاشارة اليه؛ و حاصله: أن الآيتين المتقدمتين، و إن كانتا تدلان على نزول القرآن دفعة واحدة على أحد الاحتمالين فى معنى الآيتين، إلا أن قوله تعالى: وَ قُرْآناً فَرَقْناهُ لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلى مُكْثٍ، وَ نَزَّلْناهُ تَنْزِيلًا «۳» يدل على نزول

القرآن متفرقا؛ لأنه عبر فيها ب «نزّل»، الـدال على النزول التـدريجى، و فيما تقدم عبر بأنزل، الدال على النزول الدفعى بالاضافة إلى انه يقول فيها: فَرَقْناهُ لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلى مُكْثٍ. و بالاضافـة إلى قوله تعالى: وَ قالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ لا نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَـةً واحِـدَةً «۴» حيث دلت الآية على نزول القرآن تدريجا.

و أيضا، يجب ان لا ننسـى هنا: ان بعض الآيات مرتبط بحوادث آنية، مقيدة بالزمان، كقوله تعالى: قَدْ سَـمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِى تُجادِلُكَ فِى زَوْجِها «۵» و كاعتراض الكفار الآنف و غير ذلك.

هذا كله عدا عن أن التاريخ المتواتر يشهد بأن نزول القرآن كان تدريجا، فى مدة ثلاث و عشرين سنة، هى مدة الدعوة.

و قـد اجيب عن إشـكال التنافى بين ما دل على النزول الدفعى و النزول التدريجى؛ بأن النزول الدفعى كان إلى البيت المعمور؛ حسـبما نطقت به الروايات الكثيرة، ثم صار ينزل تدريجا على الرسول الأعظم «صلى

---

(۱) سورة القدر: ۱.

(۲) سورة البقرة: ۱۸۵.

(۴) الفرقان: ۳۲.

(۳) الإسراء: ۱۰۶.

(۵) المجادلة: ۱.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۲،ص:۲۴۶

اللّه عليه و آله و سلم» «۱».

و إذن، فليكن نزوله الدفعى كان ليلة القدر و نزوله التدريجى قد بدأ فى السابع و العشرين من شهر رجب، و لا يبقى ثمة منافاة.

و جواب آخر، يعتمـد على القول بأن القرآن قـد نزل أولا دفعـة واحدة على قلب النبى الأعظم «صـلى اللّه عليه و آله و سـلم»، لكنه لم يؤمر بتبليغه، ثم صار ينزل تدريجا بحسب المناسبات.

و ربما يستأنس لهذا الرأى ببعض الشواهد التى لا مجال لها «۲».

و رأى ثـالث يقول: إن بـدء نزول القرآن كان بعـد البعثـة بثلاث سـنوات، أى بعـد انتهاء الفترة السـرية للـدعوة، كما ورد فى عـدد من الروايات، و نص عليه بعضهم «۳» و على هذا فلا يبقى تناف بين بعثته «صـلى اللّه عليه و آله و سلم» و سلم فى شهر رجب، و بين نزول القرآن فى شهر رمضان المبارك «۴».

أما نحن فنقول:

أولاـ قـال اللّه تعـالى: وَ قـالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ لاـ نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَـةً واحِـدَةً «۵» فاسـتعمل التنزيل و أريـد به النزول جملـة واحدة؛ فقولهم:

«تستعمل نزل فى خصوص التدريجى» لا يصح.

---

(۱) راجع: تفسير الميزان ج ۲ ص ۱۵.

(۲) راجع: تفسير الميزان ج ۲ ص ۱۸ و تفسير الصافى ج ۱ المقدمة التاسعة، و تاريخ القرآن للزنجانى ص ۱۰.

(۳) راجع: التمهيـد فى علوم القرآن ج ۱ ص ۸۲/ ۸۳ عن الكافى ج ۲ ص ۴۶۰، و تفسير العياشى ج ۱ ص ۸۰ و الاعتقادات للصدوق ص ۱۰۱، و البحار ج ۱۸ ص ۲۵۳، و مستدرك الحاكم ج ۲ ص ۶۱۰ و الاتقان ج ۱ ص ۳۹ و تفسير شبر ص ۳۵۰، و البداية و النهاية ج ۳ ص ۴ و تاريخ اليعقوبى ج ۲ ص ۳۴.

(۴) التمهيد ج ۱ ص ۸۱ و ۸۳.

(۵) الفرقان: ۳۲.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۲،ص:۲۴۷

ثانيا: إن تتبع الآيات القرآنية يعطى عدم ثبوت الفرق المذكور بين:

«الانزال» و «التنزيل» مثلا قد ورد فى القرآن قوله تعالى: وَ لَنْ نُؤْمِنَ لِرُقِيِّكَ حَتَّى تُنَزِّلَ عَلَيْنا كِتاباً نَقْرَؤُهُ «۱» مع أن الكتاب المقروء إنما ينزل دفعة واحدة.

كما و يلاحظ: أنه يستعمل كلمة «نزل» تارة، و كلمة «أنزل» مِنَ السَّماءِ ماءً طَهُوراً.

و مثل ذلك كثير، لا مجال لنا لتتبعه فعلا. و كل ذلك يدل على عدم صحة هذا الفرق بين هاتين الصيغتين و قد أشار إلى هذا الجواب بعض المحققين أيضا «۲».

و ثالثا: قولهم: إن النبى «صلى اللّه عليه و آله و سلم» قد بعث بالقرآن، غير مسلم. و لتكن الروايات الواردة عن أهل البيت، و القائلة بأنه «صلى اللّه عليه و آله و سلم» قد بعث فى شهر رجب موجبة لوهن قولهم هذا.

و رابعا: روايات نزول القرآن إلى البيت المعمور لا مجال لإثباتها من طريق أهل البيت «عليهم السلام» و لا إلى الاطمينان إلى صحتها، كما ذكره الشيخ المفيد «۳»

و أما نزول القرآن أولا دفعة واحدة على قلبه «صلى اللّه عليه و آله و سلم»؛ فإن إثباته مشكل، و لا يمكن المصير إليه إلا بحجة.

و خامسا: حديث نزول القرآن بعد البعثة بثلاث سنوات، إستنادا إلى ما ورد من أن القرآن قد نزل خلال عشرين سنة، لا يمكن الإطمينان إليه، إذ يمكن أن يكون ذلك قد جاء على نحو التقريب و التسامح، و لم يرد

---

(۱) الإسراء: ۹۳.

(۲) هو العلامة السيد مهدى الروحانى حفظه اللّه.

(۳) تصحيح الاعتقاد ص ۵۸.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۲،ص:۲۴۸

فى مقام التحديد الدقيق- و من عادة الناس: أن يلقوا الزائد القليل، أو أن يضيفوه فى إخباراتهم، و ليس فى ذلك اخبار بخلاف الواقع؛ لأن المقصود هو الاخبار بما هو قريب من الحد، لا بالحد نفسه، مع إدارك السامع لذلك، و التفاته إليه.

نعم يمكن أن تكون معانى القرآن و حقائقه قد نزلت على قلبه الشريف ليكون «صلى اللّه عليه و آله و سلم» إنسانا كاملا، يربى نفسه على تلك المعانى.

و لكن هذا ايضا يبقى مجرد احتمال، و يحتاج إلى إثبات.

و النتيجة هى: أنه لا مانع من أن يكون «صلى اللّه عليه و آله و سلم» قد بعث و صار نبيا فى شهر رجب، كما أخبر به أهل البيت «عليهم السلام» و هيئ ليتلقى الوحى القرآنى. إِنَّا سَنُلْقِى عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا «۱»، ثم بدأ نزول القرآن عليه تدريجا فى شهر رمضان المبارك.

كما أنه لا مانع من ان تكون حقائق القرآن و معانيه قد نزلت عليه «صلى اللّه عليه و آله و سلم» دفعة واحدة، ثم صار ينزل عليه تدريجا.

و يؤيد هذا الإحتمال الأخير رواية رواها المفضل عن الإمام الصادق «عليه السلام» تفيد ذلك فلتراجع «۲» و يؤيده أيضا: ما ورد من أنه كان له ملك يسدده، و يأمره بمحاسن الأخلاق. و أن الملك كان يترائى له، قبل ان ينزل عليه القرآن «۳» و أن جبرئيل قد لقيه الخ ..

و يرى بعض المحققين «۴»: أنه يمكن الجمع بين الآيات، بأن يقال:

---

(۱) المزمل: ۵.

(۲) البحار ج ۹۲ ص ۳۸ و ج ۱ ص ۵۳.

(۳) التمهيد فى علوم القرآن ج ۱ ص ۸۳ و يحتمل أيضا: أن يكون القرآن قد نزل فى شهر رمضان فى ليلة القدر دفعة، لكنه لم يؤمر بتبليغه، ثم صار ينزل عليه تدريجا لأجل التبليغ فى المناسبات المقتضية لذلك.

(۴) هو العلامة السيد مهدى الروحانى حفظه اللّه.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۲،ص:۲۴۹

إن شروع نزول القرآن كان فى ليلة مباركة، هى ليلة القدر من شهر رمضان، إِنَّا أَنْزَلْناهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ «شهر رمضان الذى أنزل فيه القرآن». و كان أول ما نزل حسب روايات أهل البيت «عليهم السلام»، بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ.

و الاستدلال بهذه الآيات: على أن القرآن نزل أولا دفعة إلى البيت المعمور أو على قلب النبى، ثم صار ينزل تدريجا فى مدة عشرين، أو ثلاث و عشرين سنة و ذلك إعتمادا على قرينة الحال، حيث إن المسلمين يرون نزوله تدريجا.

هذا الإستدلال غير صحيح، لأن من الممكن أن يكون المراد بالإنزال و التنزيل واحد و هو بدء النزول، فإنه إذا شرع نزول المطر فى اليوم الفلانى، و استمر لعدة أيام، فيصح أن يقال مثلا: سافرت يوم أمطرت السماء، أى فى اليوم الأول من بدء نزوله. و كذلك الحال بالنسبة للقرآن؛ فإنه إذا بدأ نزوله فى شهر رمضان، فى ليلة القدر، فيصح أن يقال مجازا مع وجود القرينة، و هى النزول التدريجى: نزل القرآن فى شهر رمضان، و يكون المراد أنه قد بدأ نزوله التدريجى فيه.

و قوله تعالى: شَهْرُ رَمَضانَ الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ محتف بقرينة حالية؛ يعلمها كل أحد و هو نزول خصوص أول سورة «إقرأ» و استمر ينزل تدريجا بعد ذلك. و هذا كما صح أن يقال: كما أنزلناه من السماء، مع أن المطر ينزل تدريجا. و ما ذلك إلا لأهمية ذلك اليوم و خطره، و كل حادث خطير له امتداد زمنى، إنما يسجل يوم شروعه، فإذا قيل مثلا: متى كانت دولة العباسيين، فسيكون الجواب بذكر سنة التأسيس قطعا.

و أما حديث البخارى فى بدء الوحى و الدال على اقتران نزول القرآن بالنبوة فسيأتى أنه باطل لا يصح.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۲،ص:۲۵۰

ثم إنه يمكن تقريب كلام هذا المحقق بنحو آخر و هو أن قوله تعالى:

أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ إنما هو حكاية عن أمر سابق، و لا يشمل هذا الكلام الحاكى له إلا بضرب من العناية و التجوز، و لا الذى يأتى بعده، و إلا لجاء التعبير بصيغة المضارع، أو الوصف فإنه يكون حينئذ هو الاوفق «۱».

و لعل ابن شهر آشوب كان ينظر إلى هذا حين قال فى متشابهات القرآن: «و الصحيح: أن القرآن فى هذا الوضع لا يفيد العموم، و إنما يفيد الجنس، فأى شىء نزل فيه؛ فقد طابق الظاهر» «۲».

هذا و لكن قد ورد ما يؤيد نزول القرآن دفعة واحدة أولا، ثم صار ينزل تدريجا بعد ذلك؛ فقد روى عن الإمام الصادق «عليه السلام» قوله: يا مفضل، إن القرآن نزل فى ثلاث و عشرين سنة، و اللّه يقول: شَهْرُ رَمَضانَ الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ. و قال: إِنَّا أَنْزَلْناهُ فِي لَيْلَةٍ مُبارَكَةٍ إِنَّا كُنَّا مُنْذِرِينَ فِيها يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ أَمْراً مِنْ عِنْدِنا إِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ و قال: لَوْ لا نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً واحِدَةً كَذلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤادَكَ.

قال المفضل: يا مولاى فهذا تنزيله الذى ذكره اللّه فى كتابه، و كيف ظهر الوحى فى ثلاث و عشرين سنة؟

قال نعم يا مفضل، أعطاه اللّه القرآن فى شهر رمضان و كان لا يبلغه إلا فى وقت استحقاق الخطاب، و لا يؤديه إلا فى وقت أمر و نهى

فهبط جبرائيل بالوحى، فبلغ ما يؤمر به و قوله: لا تحرك به لسانك لتعجل به «۳».

و لكن ما سبق يضعف درجة الإعتماد على هذه الرواية.

---

(۱) قد أشار إلى ذلك فى: التمهيد فى علوم القرآن ج ۱ ص ۸۴.

(۲) التمهيد فى علوم القرآن ج ۱ ص ۸۵.

(۳) البحار ج ۸۹ ص ۳۸.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۲،ص:۲۵۱

بدء الوحى و أول ما أنزل:

لقد كان بدء الوحى فى غار حراء، و هو جبل على ثلاثة اميال من مكة و يقال: هو جبل فاران، الذى ورد ذكره فى التوراة إلا إن الظاهر هو أن فاران إسم لجبال مكة، كما صرح به ياقوت الحموى، حسبما تقدم، لا لخصوص حراء.

و كان «صلى اللّه عليه و آله و سلم» يتعبد فى حراء هذا، على النحو الذى ثبتت له مشروعيته، و كان قبل ذلك يتعبد فيه عبد المطلب.

و أول ما نزل عليه «صلى اللّه عليه و آله و سلم» هو قوله تعالى:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِى خَلَقَ خَلَقَ الْإِنْسانَ مِنْ عَلَقٍ «۱».

و هذا هو المروى عن أهل البيت «عليهم السلام» «۲»، و روى أيضا عن غيرهم بكثرة. و يدل عليه أيضا سياق الآيات المذكورة. «۳»

و ربما يقال: إن أول ما نزل عليه «صلى اللّه عليه و آله و سلم» هو فاتحة الكتاب «۴»، و لا سيما بملاحظة: أنه «صلى اللّه عليه و آله و سلم» قد صلى فى اليوم الثانى هو «صلى اللّه عليه و آله و سلم» و على «عليه السلام»، و خديجة «عليها السلام»، حسبما ورد فى الروايات.

و لكن من الواضح: أن ذلك لا يثبت شيئا؛ إذ يمكن أن تنزل الفاتحة بعد سورة إقرأ، بلا فصل، ثم يصلى و يقرؤها فى صلاته. كما أن

---

(۱) سورة العلق: ۱ و ۲ و راجع تفسير البرهان.

(۲) تفسير البرهان ج ۱ ص ۲۹.

(۳) الدر المنثور ج ۶ ص ۳۶۸ و الاتقان ج ۱ ص ۲۳.

(۴) الدر المنثور ج ۱ ص ۲۴.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۲،ص:۲۵۲

من الممكن أن تكون صلاتهم آنئذ غير مشتملة على فاتحة الكتاب، ثم وجبت بعد ذلك و إن كان لم يذكر أحد ذلك.

أما قوله: عن الذى لا يقرأ بفاتحة الكتاب: لا صلاة له «۱» و قوله «صلى اللّه عليه و آله و سلم»: كل صلاة لا يقرأ فيها بفاتحة الكتاب فهى خداج «۲».

فهو لا ينافى ذلك إذ يمكن أن يكون ذلك تشريعا حادثا بعد ذلك.

هذا كله عدا عن أنهم يروون: أن سورة الفاتحة قد نزلت بعد المدثر «۳» أى بعد عدة سنوات من البعثة.

هذا، و ثمة قول آخر، و هو أن أول ما نزل عليه «صلى اللّه عليه و آله و سلم» هو سورة المدثر «۴»! و ستأتى الإشارة إلى أنها قد نزلت بعد المرحلة الإختيارية أو فقل: السرية، كما أنهم يروون روايات عديدة تنافى قولهم هذا «۵».

و على كل حال، فإن تحقيق هذا الأمر لا يهمنا كثيرا، فلا بد من توفير الفرصة للحديث عن الأهم فالأهم.

و لا بأس بأن نعطف الكلام هنا إلى الحديث عن معجزته «صلى اللّه عليه و آله و سلم»، و هى القرآن، و سر إعجازه، فان ذلك ربما تكون له أهميته البالغة، لمن يريد أن يقرأ سيرة النبى «صلى اللّه عليه و آله و سلم»، و يستفيد منها: عقيدة، و شريعة، و أدبا، و سلوكا.

---

(۱) الوسائل ج ۴ ص ۷۳۲.

(۲) الوسائل ج ۴ ص ۷۳۳.

(۳) الاتقان ج ۱ ص ۲۴.

(۴) الاتقان ج ۱ ص ۲۳، و البخارى، و غيره و الأوائل للطبرانى ص ۴۳ و ستأتى الرواية.

(۵) راجع تفسير الميزان ج ۲ ص ۲۲.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۲،ص:۲۵۳

مع العلم بأن كثيرا من الأحداث قد جاءت مرتبطة بالقرآن، و كانت سببا فى نزول طائفة من آياته و لا بد من الإستدلال به عليها، فنقول:

إعجاز القرآن:

لقد تحدى اللّه أعداء الإسلام بأن يأتوا بمثل القرآن، فلما عجزوا تحداهم بأن يأتوا بعشر سور من مثل القرآن، فعجزوا عن ذلك أيضا، ثم صعد تحديه لهم، و طلب منهم أن يأتوا بسورة واحدة من مثله، فلو أنهم استطاعوا أن يأتوا و لو بقدر سورة الكوثر، التى هى سطر واحد، لثبت بطلان هذا الدين الجديد من أساسه، ما دام أنه هو قد قبل بهذا التحدى مسبقا، و لكانوا قد وفروا على أنفسهم الكثير من الويلات، التى أقدموا عليها بإعلانهم الحرب على النبى الأعظم «صلى اللّه عليه و آله و سلم»، و التى أدت إلى إزهاق النفوس الكثيرة، و هدر الطاقات العظيمة، و غير ذلك من مصائب و كوارث، انتهت بهزيمتهم، و انتصار الإسلام و قائده الأعظم «صلى اللّه عليه و آله و سلم».

فما هى تلك الخصيصة التى فى القرآن، و التى جعلتهم يعجزون عن مجاراته، و حتى عن أن يأتوا ب «سورة من مثله»؟!.

بل ما هى تلك الخصيصة التى سوغت التحدى بالقرآن للإنس و الجن معا دون اختصاص بزمان دون زمان، قال تعالى: قُلْ لَئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَ الْجِنُّ عَلى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هذَا الْقُرْآنِ لا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَ لَوْ كانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيراً «۱».

ربما يقال: إنها اخباراته الغيبية الصادقة، سواء بالنسبة إلى الماضين كقوله تعالى: تِلْكَ مِنْ أَنْباءِ الْغَيْبِ نُوحِيها إِلَيْكَ، ما كُنْتَ

---

(۱) الإسراء: ۸۸.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۲،ص:۲۵۴

تَعْلَمُها أَنْتَ وَ لا قَوْمُكَ مِنْ قَبْلِ هذا «۱». أو بالنسبة لتنبؤاته المستقبلية، كقوله تعالى: الم غُلِبَتِ الرُّومُ فِي أَدْنَى الْأَرْضِ وَ هُمْ مِنْ بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ فِي بِضْعِ سِنِينَ «۲». و كاخباره بنتائج حرب بدر العظمى، و غير ذلك «۳».

و ربما يقال: إنه لتضمن القرآن للمعارف العلمية، التى تنسجم مع العقل و البرهان. و اخباراته عن سنن الكون و أسرار الخليقة، و أحوال النظام الكونى، و غير ذلك من أمور لا يمكن الوصول إليها إلا بالعلم و المعرفة الشاملة و الواسعة، ألأمر الذى لم يكن متوفرا فى البيئة التى عاش فيها النبى «صلى اللّه عليه و آله و سلم» كقوله تعالى: وَ أَرْسَلْنَا الرِّياحَ لَواقِحَ و غير ذلك من الآيات التى تشير إلى دقائق و حقائق علمية، فى مختلف العلوم و الفنون.

و ربما يقال: إن إعجازه إنما هو فى نظامه التشريعى الذى جاء به، و الذى لا يمكن لرجل عاش فى بيئة كالبيئة التى عاش فيها الرسول

الأعظم «صلى اللّه عليه و آله و سلم» و عانى من الظروف و الأحوال الإجتماعية، و مستوى الثقافة فى ذلك العصر، أن يأتى بمثل ذلك مهما كان عظيما فى فكره، و ذكائه، وسعة أفقه.

و لربما نجد الإشارة إلى هذين الرأيين فى قوله تعالى: قُلْ لَوْ شاءَ اللَّهُ ما تَلَوْتُهُ عَلَيْكُمْ وَ لا أَدْراكُمْ بِهِ فَقَدْ لَبِثْتُ فِيكُمْ عُمُراً مِنْ قَبْلِهِ أَ فَلا تَعْقِلُونَ «۴».

---

(۱) هود ۴۹ و ليراجع أيضا سورة يوسف ۱۰۲ و سورة آل عمران ۴۴ و غير ذلك.

(۲) أول سورة الروم.

(۳) راجع: البيان للخوئى ص ۸۱- ۸۴.

(۴) يونس: ۱۶.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۲،ص:۲۵۵

و أخيرا، فلربما يقال: إن إعجاز القرآن هو فى عدم وجود الإختلاف فيه، و لذلك ترى أنه قد تحداهم بذلك فقال: أَ فَلا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ وَ لَوْ كانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلافاً كَثِيراً «۱».

و ثمة إشارات أخرى لجزئيات ربما يدخل أكثرها فما قدمناه ...

و لعل فيما ذكرناه كفاية.

و ثمة قول آخر، أكثر شيوعا و معروفيه و لا سيما بين القدماء. و هو إعجاز القرآن فى الفصاحة و البلاغة. و قد كتبوا فى هذا الموضوع الشيء الكثير قديما و حديثا.

اما نحن فنقول: إن هذا الأخير هو السر الأعظم فى اعجاز القرآن الكريم حقا. و هو يستبطن سائر الجوانب الإعجازية المذكورة آنفا و غيرها مما لم نذكره «۲».

لماذا الأخير فقط:

و أما لماذا هذا الأخير فقط دون سواه فإن ذلك واضح، حيث إننا نقصد ب «البلاغة» معنى أوسع مما يقصده علماء المعانى و البيان، و هذا المعنى يستبطن جميع وجوه الإعجاز و ينطبق عليها، و بيان ذلك يحتاج إلى شيء من البسط فى البيان فنقول:

إنه إذا كان الرسول «صلى اللّه عليه و آله و سلم» قد أرسل للناس

---

(۱) النساء: ۸۱.

(۲) حيث يجد كل فريق فى هذا القرآن ما يناسب فكره و عقليته و يراه معجزا حقا؛ فالإخبارات الغيبية و النظام الكامل الذى أتى به و غير ذلك من أمور لا تخفى مما يمكن لأهل كل لغة أن يدركوها هى من مصاديق البلاغة لهم. و حتى الفصاحة و البلاغة فإن بالإمكان لغير العربى أن يدركها أيضا بتعلم اللغة العربية و معرفة سر القرآن أو الاعتماد على النقل القطعى ممن قد اطلع على بعض جوانب إعجاز القرآن.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۲،ص:۲۵۶

كافة فلا بد أن تكون معجزته بحيث يستطيع كل من واجهها: أن يدرك إعجازها، و أنها أمر خارق للعادة و أنها صادرة عن قدرة عليا، و قوة قاهرة، تهيمن على النواميس الطبيعية، و تقهرها. و إلا فإنه إذا جاء شخص مثلا إلى بلد، و ادعى أنه يعرف اللغة الفلانية، و لم يكن أحد فى البلد يعرف شيئا من تلك اللغة، و لا سمع بها، فإنهم لا يستطيعون أن يحكموا بصدقه و لا بكذبه، إذ ليس لهم طريق

لاثبات هذا الصدق أو الكذب.

و أما إذا ادعى أمرا لهم خبرة فيه، و استطاعوا ان يتلمسوا فيه مواقع خرقه للنواميس الطبيعية فلا بد لهم من التسليم له و القبول بدعوته، لأن ذلك يكون قاطعا لعذرهم، و موجبا لخضوع عقولهم لما يأتى به.

و بكلمة .. لا بد أن تكون معجزة النبى فى كل عصر متناسبة مع خبرات ذلك العصر، و لكل من أرسل إليهم؛ ليمكن إثبات إعجازها لهم، و إقامة الحجة عليهم. و إذا كان القرآن قد تحداهم أن يأتوا بسورة واحدة من مثله، فلا بد أن يكون وجه الإعجاز فيه ساريا ليصل حتى إلى أصغر سورة فيه.

و إذا نظرنا إلى ما ذكروه آنفا، فإننا نجد أن بعض السور لا تشتمل على شىء مما ذكروه. مع ان التحدى به وارد.

اضف الى ذلك: أن الاخبار بالغيب مثلا لا يمكن ان يكون قاطعا لعذر من ألقى إليهم إلا بعد تحقق المخبر عنه. و قد يطول ذلك إلى سنوات عديدة. أما من يأتون بعد ذلك فلربما يصعب عليهم الجزم بتحقق ما أخبر به.

أما القضايا العلمية- فلربما لا يكون من بينهم من له الخبرات اللازمة فى تلك العلوم؛ ليمكن إدراك الإعجاز فيها؛ فإن ذلك رهن بتقدم العلم، و تمكن العلماء من استجلاء تلك الحقائق من القرآن.

و حتى لو أدرك ذلك بعضهم، فلربما يحمله اللجاج، أو غير ذلك

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۲،ص:۲۵۷

من مصالحه الشخصية (بنظره) على إنكار ذلك و إخفائه- كما كان الحال بالنسبة الى أهل الكتاب، الذين كانوا يعرفون النبى «صلى اللّه عليه و آله و سلم» كما يعرفون أبنائهم، و يجدونه مكتوبا عندهم فى التوراة و الإنجيل.

و لكن الاحبار و الرهبان أخفوا ذلك و أنكروه، لمصالح شخصية، أو لغير ذلك، مما وجدوا فيه مبررا للاقدام على خداع أنفسهم، و خداع غيرهم.

و هكذا يقال بالنسبة للإعجاز التشريعى، و غير ذلك من أمور.

و يبقى سؤال.

ما هو وجه الإعجاز فى القرآن إذن؟

و فى مقام الإجابة على هذا السؤال نقول:

بلاغة القرآن:

قبل كل شىء ينبغى التذكير بأن ما ذكرناه آنفا.

لا يعنى أن الإخبار بالغيب، و غير ذلك مما ذكرناه، و مما لم نذكره، غير موجود فى القرآن. بل هو موجود فيه بأجلى مظاهره و أعظمها، و هى معجزات أيضا لكل أحد و لكننا نقول: إن ذلك ليس هو الملاك الأول و الأخير لإعجاز القرآن، و إنما ملاك الإعجاز فيه هو أمر يستطيع كل أحد أن يدركه، و أن يفهمه- و هو أمر تشتمل عليه حتى السورة التى لا تزيد على السطر الواحد، كسورة الكوثر مثلا. و هو أيضا أمر يجده كل أحد، مهما كان تخصصه، و مهما كان مستواه الفكرى، و أيا كان نوع ثقافته، و فى أى عصر، و فى أى ظرف. و هو كذلك أمر يشمل كل ما تقدم، و سواه مما لم نذكره، و يضمه تحت جناحيه؛ و ذلك الأمر هو:

البلاغة:

فأما أن ما تقدم يرجع: إلى البلاغة؛ فلأن حقيقة البلاغة- كما

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۲،ص:۲۵۸

عرفوها- هى: مطابقة الكلام لمقتضى الحال، أو للاعتبار المناسب.

و القرآن مطابق لمقتضى الحال دائما و فى كل زمان، و الى الابد و مع كل شخص؛ لأنه خطاب لهم جميعا، و معجز له جميعا؛ فحين يخبر عن الغيب، فإنما اقتضى الحال ذلك. و كذلك حين يكشف عن أسرار الكون، و خفايا الطبيعة، و يشير الى بعض الحقائق العلمية، و كذلك أيضا حين يضع أعظم تشريع، و أروع نظام عرفته الإنسانية، إلى غير ذلك مما تقدم ذكره و ما لم نذكره.

بل أن تكون ظروف نشأة الرسول الاعظم هى تلك، فإن ذلك له أهمية كبرى فى قبول الدعوة، و الإذعان لها. و كذلك فان الكلام الذى يختلف صدره و ذيله، أو يختلف من وقت لآخر. مع كون الهدف واحدا، و المخاطب و المتكلم واحدا. لا يمكن أن يكون بليغا، و لا مطابقا لمقتضى الحال، كما يقولون.

الإعجاز بالبلاغة كيف؟ و لماذا؟!

و أما كيف عجزت الإنس و الجن، عن مجاراة هذا القرآن. و كيف أمكن اعتبار البلاغة القرآنية هى سر الإعجاز فيه؛ فان ذلك يحتاج إلى توسع فى القول، و بسط فى البيان، فنقول:

إن لدلالة الكلام على المعنى فى مقام التفهم و التفهيم شروطا:

منها: أن يكون اللفظ الذى يلقيه المتكلم قادرا على تحمل المعنى المطلوب، بأى نحو من أنحاء التحمل، سواء من حيث مفردات الجملة، أو من حيث نوعية تركيبها، أو من جهة المقايسة بينها و بين غيرها.

و منها: أن يكون المستوى الفكرى و الثقافى للمتكلم بحيث يستطيع أن يقصد تلك المعانى التى يقدر اللفظ على تحملها.

و منها: أن يكون ذلك المعنى منسجما أيضا مع نوعية اختصاص

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۲،ص:۲۵۹

ذلك المتكلم، و مع مراميه و أهدافه.

و منها: قدرة المخاطب او المخاطبين على استيعاب مقصود المتكلم، و لو على امتداد الزمن.

هذه هى الشروط التى لابد أن تتوفر فى عملية التفهم و التفهيم بين كل متكلم و مخاطب.

و لكن ذلك يحتاج إلى توضيح و تطبيق بالنسبة لما نحن بصدده، فنقول:

التوضيح و التطبيق:

و فى مجال التوضيح و التطبيق نقول:

إن اللغة العربية بما لها من خصائص و مميزات أقدر اللغات إطلاقا على تحمل المعانى، فنجد أنهم يذكرون للجملة المؤلفة من كلمتين فقط عشرات الخصائص و المميزات التى تشير كل منها إلى العديد من الآثار المحتملة، التى يمكن للفظ أن يتحملها بالنسبة للمعنى المدلول، فالمسند إليه مثلا تارة يكون إسما جامدا، و أخرى مشتقا. و تارة يكون ظاهرا، و أخرى مضمرا، مقدما أو مؤخرا، محذوفا أو مذكورا، منكرا أو معرفا، و التعريف لكل واحد منها له أنحاء، لكل منها آثار و إشارات لخصوصيات فى المعنى.

و كذا الحال فى جانب المسند، الذى تارة يكون فعلا- بأقسامه الثلاثة- و أخرى إسما، جامدا، أو مشتقا، معرفا أو منكرا، مقدما أو مؤخرا، مذكورا أو محذوفا، إلى آخر ما هنالك. و كل واحدة من هذه لها آثار مختلفة و متعددة يحتمل إرادتها أيضا.

فمثلا قد يكون ذكره للتحقير أو عكسه، أو للتبرك به، أو إيهام

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۲،ص:۲۶۰

استلذاذه، أو للتنبيه على غباوة السامع، أو للتقرير، أو للايضاح إلى غير ذلك.

و قد يحذف للتعظيم، أو للتحقير، أو للاستغناء عنه، او لإيقاع السامع فى حيرة، إلى غير ذلك مما هو مذكور فى محله.

و كذا سائر الخصوصيات التى ذكرناها، و مالم نذكره أكثر بكثير.

هذا بالاضافة الى الاستعارات، و الكنايات، و التعريضات، و الإشارات، و غير ذلك مما تكفل لبيانه علم المعانى و البيان و البديع.

حتى إنهم ليذكرون العديد من الإمتيازات لقوله تعالى: فِي الْقِصاصِ حَياةٌ على ما كان أبلغ كلام عند العرب. و هو قولهم: «القتل أنفى للقتل».

و يكفى أن نشير الى أن جملة زيد قائم، إذا لوحظ المسند اليه فيها فإنه ظاهر، و مقدم، و معرف بالعلمية. و كل من هذا الثلاثة يقع على حالات كثيرة. و كذا الحال بالنسبة للمسند و هو كلمة- قائم. ثم لا بد من ملاحظة الهيئة التركيبية، و موقعها من غيرها، و مع مالها من متعلقات.

و هكذا يتضح أن الجملة الواحدة ربما تفيد معنى له العديد من الخصوصيات الهامة، فكيف إذا لوحظت تلك الجملة مع غيرها من الهيئات التركيبية الأخرى، ثم أريد استخلاص المعانى من المجموع.

هذا كله، بالإضافة الى لزوم معرفة أساليب العرب، و طرائق استعمالاتهم للكلام و مقاماتها، فإن ذلك يفيد كثيرا فى الوقوف على معانى القرآن، و فهم مراميه.

و قد روى أن بعضهم كان فى مجلس الإمام السجاد «عليه السلام»؛ فقال له: يا ابن رسول اللّه، كيف يعاتب اللّه، و يوبخ هؤلاء الاخلاف على قبائح اتاها أسلافهم، و هو يقول: لا تَزِرُ وازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرى؟!

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۲،ص:۲۶۱

فقال زين العابدين «عليه السلام»:

«إن القرآن نزل بلغة العرب، فهو يخاطب فيه أهل اللسان بلغتهم؛ يقول الرجل التميمى، قد أغار قومه على بلد، و قتلوا من فيه: أغرتم على بلد كذا، و فعلتم كذا؟!

و يقول العربى: نحن فعلنا ببنى فلان، و نحن سبينا آل فلان، و نحن خربنا بلد كذا، لا يريد أنهم باشروا ذلك، و لكن يريد هؤلاء بالعذل، و أولئك بالافتخار: أن قومهم فعلوا كذا.

و قول اللّه عز و جل هذه الآيات انما هو توبيخ لأسلافهم، و توبيخ العذل على هؤلاء الموجودين؛ لأن ذلك هو اللغة التى نزل بها القرآن؛ و لأن هؤلاء الأخلاف أيضا راضون بما فعل أسلافهم، مصوّبون لهم؛ فجاز أن يقال: أنتم فعلتم؛ إذ رضيتم قبح فعلهم «۱».

و لا بد أيضا من معرفة خصوصيات الألفاظ و أسرار إختياراتها لمواقعها. و قد روى: انه لما نزل قوله تعالى: إِنَّكُمْ وَ ما تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ قال إبن الزبعرى: فنحن نعبد الملائكة و اليهود تعبد عزيرا، و النصارى تعبد عيسى «عليه السلام» فأخبر النبى «صلى اللّه عليه و آله و سلم» فقال: يا ويل أمه، أما علم إن ما لما لا يعقل و من لمن يعقل الخ «۲».

هذا، و لقدرة اللغة العربية على تحمل المعانى الدقيقة و العميقة، نجد أن اللّه تعالى قد اختارها لتكون لغة القرآن، و قد نوه بذلك، و وجه إليه الأنظار و الافكار، و دعا الى استخلاص المعانى الدقيقة من كتابه الكريم

---

(۱) الاحتجاج ج ۲ ص ۴۱ و البحار ج ۴۵ ص ۲۹۶.

(۲) راجع: الكنى و الألقاب ج ۱ ص ۲۹۴.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۲،ص:۲۶۲

فقال: إِنَّا أَنْزَلْناهُ قُرْآناً عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ «۱» و قال: كِتابٌ فُصِّلَتْ آياتُهُ قُرْآناً عَرَبِيًّا لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ «۲» و قال: نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ. عَلى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنْذِرِينَ. بِلِسانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ «۳» إلى غير ذلك من الآيات؛ فلننظر بدقة إلى قوله: لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ و إلى قوله: لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ و إلى قوله: مُبِينٌ فإنه كله يشير الى ما ذكرنا.

و بالنسبة للمستوى الفكرى، و هو الشرط الثانى نقول: لو قال شخص عادى لا اطلاع له على شىء من العلوم: «كل شىء يحتاج الى علة». فإننا لا نفكر فى مقصوده كثيرا، بل ينتقل ذهننا مباشرة إلى أن مراده هو المؤثر الظاهرى فى وجود الشىء؛ فإذا أراد شخص أن يقول: لعله أراد العلة الغائية أو المادية، أو الصورية، أو قصد بالعلة السبب، أو العلة التامة و نحو ذلك. فإننا نقول له فورا: لا، إن كلامه لا يدل على ذلك و لا ينظر إليه.

ولكن- لو قال نفس هذه الكلمة إبن سينا مثلا؛ فإننا لا بدّ أن نفكر لنعرف: هل أراد بالعلة واحدا مما تقدم أم لا؟. و هل أراد بالشىء البسيط أم المركب؟! و هل؟ و هل؟، إلى آخر ما هنالك من احتمالات، يمكن لابن سينا أن يقصدها من كلمة كهذه.

و إذا كان القائل طبيبا مثلا فإننا لا بد أن نفتش عن معان تتناسب مع اختصاصه و نوع ثقافته. و حتى أهدافه، فان كل ذلك يؤثر تأثيرا كبيرا فى تفهيم المعنى، و معرفة نوعه و مستواه، حيث لا بد و ان ينسجم مع تلك الاهداف، و يتلائم مع المستوى الثقافى و الفكرى للمتكلم.

و أما إذا كان القائل يمتاز بسعة الافق و الشمولية، كأمير المؤمنين

---

(۱) يوسف: ۲.

(۲) فصلت: ۳.

(۳) الشعراء: ۱۹۹.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۲،ص:۲۶۳

«عليه السلام»؛ فإننا لا بد و أن نعد أنفسنا لطرح أى احتمال، يتناسب مع شخصية و مستوى و ثقافة و اهداف أمير المؤمنين «عليه السلام». و لا بد أن نبحث الأعوام و السنين لنتمكن من التقرب- و لو بشكل محدود- إلى مراميه و أهدافه؛ لأن فهم جميع الخصوصيات التى يرمى إليها المتكلم لا يمكن إلا من قبل من يدانى ذلك المتكلم فى سعة الافق، و الشمولية، و عمق الفكر، و الغوص فى لجج الحقائق. و أين يمكن أن يوجد من هو مثل على فى مستواه العلمى الشامخ، سوى معلمه و أستاذه، النبى الاعظم «صلى اللّه عليه و آله و سلم»، ثم الائمة من ولده؟

و لعل إلى هذا يشير ما روى عنه «صلى اللّه عليه و آله و سلم»: يا على، ما عرف اللّه إلا أنا و انت، و لا عرفنى إلا اللّه و أنت، و لا عرفك إلا اللّه و أنا «۱».

و بعد هذا فقد أصبح من الواضح: أن اللّه سبحانه و تعالى، و هو محيط بالكائنات، و مهيمن على كل الموجودات. و ليس لعلمه حد محدود، و لا لصفته نعت موجود، إذا اختار اللغة العربية ليحملها بعض مراميه و أهدافه- و هى اللغة القادرة على التحمل بشكل مذهل و هائل، و لا تضارعها فى ذلك أية لغة أخرى- فإن هذا الإنسان المحدود فى ملكاته، و قدراته، و طاقاته النفسية، و الفكرية، و غيرها، لا يمكنه حتى و لو بقى أبد الدهر، و حتى لو استعان بكل مخلوق و موجود، و سخر كل ما لديه من طاقات و إمكانات- لا يمكنه- أن يكتشف إلا القليل القليل من المعارف القرآنية، و لن يكون بإمكانه أن يأتى هو و كل من معه بمثل هذا القرآن، و لو كان بعضهم لبعض ظهيرا.

إذن، فلا بد أن نبقى ننتظر- باستمرار- أن يكتشف الإنسان كل

---

(۱) مدينة المعاجز ص ۱۱۶ عن تأويل الآيات الباهرة فى الأئمة الطاهرة و مستدرك البحار ج ۷ ص ۱۸۱ و ۱۸۰ و البحار ج ۳۹ ص ۸۴.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۲،ص:۲۶۴

جديد فى هذا القرآن، تبعا لتقدم معارفه، و نمو قدراته الفكرية و الثقافية.

و هذا تاريخ القرآن عبر القرون و الأجيال، خير شاهد و دليل على ما نقول؛ حيث إننا نلاحظ: أن كل عصر يمتاز بتقدم علم أو علوم، و يتألق فيه نجمها، و يقوى سلطانها، ثم تعود تدريجا لتتراجع أمام زحف علم أو علوم أخرى لتحتل هى بدورها أيضا مكان الصدارة فى البحث و العمق و التحقيق و هكذا و لكن هذا القرآن العظيم يبقى هو المهيمن فى العصور كلها على العلوم و العلماء جميعا، و يدرك الكل أنه فوق مستواهم، و لا تبلغه عقولهم، و لا تناله قدراتهم، و يجدون فيه ما يوجب خضوعهم لعظمته، و يدركون انه لا يزال فيه ما يعجزون عن إدراكه، و الإحاطة به، فضلا عن مجاراته.

كما أنه مع اختلاف الثقافات، و الإتجاهات، و المستويات على مرّ العصور؛ فإن الكل يجدون هذا القرآن مطابقا لمقتضى الحال دائما و منسجما معه، و هذا هو الإعجاز حقا!!

و خلاصة الأمر: هذه المئات من السنين تمر، و الاجيال تأتى و تذهب، و الإنسان لا- يزال يكتشف المزيد من معارف القرآن، و أسراره، و مراميه. و كلما توصل إلى شىء، فإنه يجد أن هذا القرآن- ليس فقط قد جاء بمعارف و مرام لا تتناسب مع عقلية و ثقافة عصر نزوله، الأمر الذى يؤكد على أنه من عند اللّه تعالى- و إنما يتجاوز ذلك كله، ليثبت لكل أحد: أن أغواره لا تزال تحتضن المزيد من المعانى و الاسرار، التى يرى هذا الإنسان نفسه عاجزا عن الوصول إليها و الحصول عليها. الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ج۲ ۲۶۴ التوضيح و التطبيق: ..... ص : ۲۵۹

و أكثر من ذلك، فلقد أصبح معروفا: أن الإنسان كلما أعاد قراءة هذا القرآن؛ فإنه يجده جديدا عليه فى معانيه و مراميه، و ذلك بسبب اختلاف حالات و توجهات الإنسان، و نوعية الصور الحاضرة آنيا لديه، و الاجواء و الحالات النفسية المهيمنة عليه. و هذه خصوصية ثابته فى

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۲،ص:۲۶۵

القرآن لا تتغير و لا تتبدل على مر الدهور و العصور، و سيأتى انه كلما ذهب قرن يأتى قرن آخر؛ فيطلعون على معنى جديد للآيات القرآنية و لا يزال الناس على ذلك الى يوم القيامة، على اعتبار أنه كلما ترقت البشرية فى مدراكها و معارفها، كلما كانت أقدر على اكتشاف معارف القرآن، و استكناه أسراره. و عن أمير المؤمنين «عليه السلام» حول القرآن: فيه علم ما مضى، و علم ما يأتى إلى يوم القيامة. و حكم ما بينكم. و بيان ما أصبحتم فيه تختلفون «۱»

و عنه «عليه السلام»: «لو شئت لأوقرت سبعين بعيرا من تفسير فاتحة الكتاب» «۲».

و عنهم «عليهم السلام»: «ظاهره أنيق، و باطنه عميق».

و عنهم «عليهم السلام»: «ظاهره حكم، و باطنه علم» «۳» و ما يشير إلى هذا المعنى كثير جدا لا مجال لاستقصائه.

و لعل إلى جميع ذلك يشير ما ورد عن الإمام الصادق «عليه السلام» و عن الإمام الحسين «عليه السلام»: كتاب اللّه على أربعة أشياء، على العبارة، و الإشارة، و اللطائف، و الحقائق؛ فالعبارة للعوام، و الإشارة للخواص، و اللطائف للأولياء، و الحقائق للأنبياء «۴».

---

(۱) البحار ج ۹۲ ص ۸۲ عن تفسير القمى ج ۱ ص ۴.

(۲) البحار ج ۹۲ ص ۱۰۳ عن أسرار الصلاة و ص ۱۰۴ عن الغزالى: أنه (ع) لو أذن له اللّه و رسوله لشرح معانى ألف الفاتحة حتى يبلغ أربعين و قرا أو جملا.

(۳) أصول الكافى ج ۲ ص ۴۳۸.

(۴) البحار ج ۹۲ ص ۱۰۳ و ۲۰ و ج ۷۸ ص ۲۷۸ عن كتاب الأربعين، و عن الدرة الباهرة، و جامع الاخبار ص ۴۸/ ۴۹.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۲،ص:۲۶۶

ترجمة القرآن و تفسيره:

و مما تقدم نعرف: أن ترجمة القرآن و تفسيره غير ممكنين لهذا الإنسان المحدود بحدود الزمان و المكان، و غير المحيط بكل العلاقات الكونية، و لا المطلع على النواميس الطبيعية، فى مختلف المجالات.

نعم، يمكن لمن يتصدى لترجمة القرآن أو لتفسيره أن يقول: هذا ما فهمته من القرآن، بحسب ما توفر لدى من أدوات تساعد على اكتشاف المعانى، من المفردات و الهيئات التركيبية، و بحسب مستوى ثقافتى و معارفى و قدراتى المحدودة بالنسبة الى اللّه الذى ليس لعلمه حد.

للقرآن ظهر و بطن:

قد تقدم آنفا عن أمير المؤمنين «عليه السلام»: لو أردت أن أوقر على الفاتحة سبعين بعيرا لفعلت او بما معناه. و يظهر صدق قوله هذا مما ذكرناه.

و يمكن بعد هذا: أن نفهم معنى قولهم «عليهم السلام»: إن للقرآن ظهرا و بطنا، أو أكثر، و قد روى هذا المعنى من طرق غير الشيعة أيضا.

و فسر بما يشير إلى ما ذكرناه.

ففى خطبة منسوبة له «صلى اللّه عليه و آله و سلم»: «له ظهر و بطن، فظاهره حكم، و باطنه علم، لا- تحصى عجائبه، و لا يشبع منه علماؤه» «۱».

و عنه «صلى اللّه عليه و آله و سلم»: «ما فى كتاب اللّه آية إلا و لها ظهر و بطن، و لكل حد مطلع» «۲».

---

(۱) كنز العمال ج ۲ ص ۱۸۶، و ليراجع ج ۱ ص ۳۳۷، و حياة الصحابة ج ۳ ص ۴۵۶ عنه و عن العسكرى، و راجع: نور القبس ص ۲۶۸/ ۲۶۹.

(۲) الزهد و الرقائق، قسم ما رواه نعيم بن حماد ص ۲۳ و فى الهامش عن المشكاة ص

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۲،ص:۲۶۷

قال ابن المبارك: «سمعت غير واحد فى هذا الحديث: ما فى كتاب اللّه آية إلا و لها ظهر و بطن، يقول: لها تفسير ظاهر، و تفسير خفى، و لكل حد مطلع، يقول: يطلع عليه قوم فيستعملونه على تلك المعانى، ثم يذهب ذلك القرن، فيجيء قرن آخر، فيطلعون منها على معنى آخر، فيذهب عليه ما كان عليه من كان قبلهم؛ فلا يزال الناس على ذلك إلى يوم القيامة» «۱».

و عن إبن عباس قال: «إن القرآن ذو شجون، و فنون، و بطون، و محكم، و متشابه، و ظهر و بطن، فظهره التلاوة، و بطنه التأويل» «۲».

و عن الحسن البصرى: ما أنزل اللّه عز و جل آية الّا و لها ظهر و بطن، و لكل حرف حد، و كل حد مطلع «۳».

و عن إبن مسعود: «إن القرآن نزل على سبعة أحرف ما منها حرف و له ظهر و بطن و إن على بن أبى طالب عنده منه الظاهر و الباطن «۴».

۲۷، و راجع: الاتقان ج ۲ ص ۱۸۴ و ۱۲۸، و الموافقات للشاطبى ج ۳ ص ۳۸۲ و فى الهامش عن روح المعانى و عن المصابيح. و راجع غرائب القرآن (مطبوع بهامش جامع البيان) ج ۱ ص ۲۳ و ۲۱ و لباب التأويل للخازن ج ۱ ص ۱۰ و الفائق ج ۲ ص ۳۸۱ و زاجع التراتيب الإدارية ج ۲ ص ۱۷۶.

(۱) الزهد و الرقائق، قسم ما رواه نعيم بن حماد ص ۲۳.

(۲) الاتقان ج ۲ ص ۱۸۵ عن ابن أبى حاتم.

(۳) كنز العمال ج ۱ ص ۴۸۸ عن أبى عبيد فى فضائله، و عن أبى نصر السجزى فى الإبانة.

(۴) حلية الأولياء ج ۱ ص ۶۵ و الاتقان ج ۲ ص ۱۸۷، و هامش الموافقات ج ۳ ص ۳۸۲ عن كتاب المصابيح، و مصابيح السنة ج ۱ ص ۱۷۶ و فى هامشه عن موارد الظمآن ص ۴۴۰- ۴۴۱ و عن غيره، و جامع البيان ج ۱ ص ۹ و كشف الأستار ج ۳ ص ۹۰ و نزل الأبرار ص ۷۳ و أسمى المناقب ص ۸۲، و مجمع الزوائد ج ۷ ص

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۲،ص:۲۶۸

و أوضح من ذلك فى الدلالة على ما ذكرناه، ما نقل عن أبى الدرداء: «لا تفقه كل الفقه حتى ترى للقرآن وجوها كثيرة» «۱».

و قال على «عليه السلام» لابن عباس، حينما أرسله لحجاج الخوارج: «القرآن حمال ذو وجوه» «۲».

و راجع ما يروى عن الإمام ابى جعفر «عليه السلام» حول أن للقرآن ظهرا و بطنا فى المصادر المعدّة لذلك «۳».

بل قال بعضهم: إن الاخبار تدل على أن «للقرآن بطونا سبعة أو سبعين» «۴»

۱۵۲ عن البزار، و أبى يعلى، و الطبرانى فى الأوسط و لم يذكر الهيثمى قول ابن مسعود فى على (ع) و راجع: الغدير ج ۷ ص ۱۰۸ عن الحلية و مشكل الآثار ج ۴ ص ۱۷۲ و ۱۸۲، و ترجمة الإمام على (ع) من تاريخ ابن عساكر بتحقيق المحمودى ج ۳ ص ۲۵ و فى الهامش عن الحلية و فرائد السمطين، و الغدير ج ۷ ص ۱۰۷/ ۱۰۸ و ج ۲ ص ۴۵ عن الحلية و ج ۳ ص ۹۹ و ۲۲۴ عن مفتاح السعادة ج ۱ ص ۴۰۰.

(۱) المصنف للصنعانى ج ۱۱ ص ۲۵۵، و الاتقان ج ۲ ص ۱۸۵ عن ابن سبع فى شفاء الصدور، و حلية الأولياء ج ۱ ص ۲۱۱ و الطبقات الكبرى ج ۲ قسم ۲ ص ۱۱۴ و الغدير ج ۳ ص ۹۹ و ج ۲ ص ۴۵ عن أبى نعيم و عن مفتاح السعادة ج ۱ ص ۱۰۰.

(۲) نهج البلاغة ج ۲ ص ۱۵۰ بشرح عبده قسم الكتب و الوصايا رقم ۷۷.

(۳) المحاسن للبرقى ص ۲۷۰ و البحار ج ۹۲ ص ۷۸- ۱۰۶ و تفسير العياشى ج ۱ ص ۱۱ و تفسير البرهان ج ۱ ص ۱۹- ۲۱ و تفسير الصافى ج ۱ ص ۲۹ و ۳۱. و معانى الأخبار ص ۲۵۹ و الغدير ج ۷ ص ۱۰۸ عن ابن مسعود، و ميزان الحكمة ج ۱ ص ۹۵.

(۴) كفاية الأصول آخر مبحث استعمال اللفظ فى أكثر من معنى و وسائل الشيعة للكاظمى ص ۱۳.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۲،ص:۲۶۹

و قد ألفوا كتبا فيما تضمنه القرآن من علم الباطن «۱».

و إذن فلماذا ينسب القول بأن للقرآن بطنا و ظهرا إلى الشيعة فقط؟!

و لماذا أيضا يشنعون على الشيعة إذا تفوهوا بهذا الأمر، أو كتبوه، إذا كانت الروايات الدالة عليه موجودة عند غيرهم، كما هى موجودة عندهم؟!

و إذا كان معنى الظهر و البطن: هو أن يكون ذلك المعنى الذى يزاح عنه الستار مما يمكن للفظ أن يتحمله، و للمتكلم أن يقصده ليكون بالنسبة للبعض بمنزلة البطن لهذا المعنى المكشوف؛ فأى محذور عقلى أو شرعى يحصل من الإلتزام بهذا؟!

وليكن للقرآن بطون سبعة أو سبعون، أو أكثر، يكتشفها هذا الإنسان كلما ترقى فى مدارج المعرفة، أو يكشفها له الأئمة الراسخون فى العلم، الذين أشار إليهم القرآن الكريم.

التقوى تعين على فهم القرآن:

و بعد، فإن من الواضح: أن الطهارة من الذنوب تعين على فهم القرآن، ففى دعاء ختم القرآن عن زين العابدين «عليه السلام» قال: «و اجعل القرآن لنا فى ظلم الليالى مؤنسا، و من نزغات الشيطان، و خطرات الوساوس حارسا، و لأقدامنا عن نقلها إلى المعاصى حابسا، و لألسنتنا عن الخوض فى الباطل من غير ما آفة مخرسا، و لجوارحنا عن اقتراف الآثام زاجرا، و لما طوت الغفلة عنا من تصفح الإعتبار ناشرا، حتى توصل الى قلوبنا فهم عجائبه، و زواجر أمثاله الخ» «۲».

---

(۱) التراتيب الإدارية ج ۲ ص ۱۷۹.

(۲) الصحيفة السجادية ص ۱۳۶ الدعاء عند ختم القرآن.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۲،ص:۲۷۰

المحكم و المتشابه:

هذا و قد أشير الى وجود المحكم و المتشابه فى القرآن فى قوله تعالى: «مِنْهُ آياتٌ مُحْكَماتٌ، هُنَّ أُمُّ الْكِتابِ، وَ أُخَرُ مُتَشابِهاتٌ؛ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ؛ فَيَتَّبِعُونَ ما تَشابَهَ مِنْهُ، ابْتِغاءَ الْفِتْنَةِ، وَ ابْتِغاءَ تَأْوِيلِهِ» «۱».

هذا، مع العلم بأن اللّه تعالى لا يريد أن ينزل لعباده كتابا فيه الألغاز و الاحاجى، بل هو كما قال تعالى: كِتابٌ أَنْزَلْناهُ إِلَيْكَ مُبارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آياتِهِ، وَ لِيَتَذَكَّرَ أُولُوا الْأَلْبابِ «۲». و قال: أَنْزَلْناهُ قُرْآناً عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ «۳».

إذن، فلا بدّ أن يراد بالمتشابه معنى ينسجم مع واقع القرآن و أهدافه، و لعل التأمل فيما قدمناه يسهل علينا فهم المراد منه؛ و لأجل إيضاح ذلك نقول:

إن المتشابه هو الكلام الذى لا ينبىء ظاهره عن المراد، بل يحتمل من لم يكن راسخا فى العلم فيه وجوها من المعانى، التى لا يكون بعضها منسجما مع أهداف و مبادىء المتكلم، و لكن لو دقق فى اللفظ و فى خصوصياته، و جمع بين بعضها البعض لأمكنه إدراك عدم إمكان تحملها لذلك المعنى الفاسد.

و لأجل ذلك، نجد الذين فى قلوبهم زيغ يحاولون انتهاز الفرصة للتشبث بهذا النوع من الآيات ابتغاء الفتنة و ابتغاء تأويله، و عطف اتجاهه؛ ليلائم أهواءهم، و من أجل الطعن فى القرآن و الإسلام، و لو ردوه إلى

---

(۱) آل عمران: ۷.

(۲) سورة ص: ۲۹.

(۳) سورة يوسف: ۲.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۲،ص:۲۷۱

الرسول، و الى أولى الامر منهم لعلمه الذين يستنبطونه «۱»؛ لأنهم يردون المتشابه الى المحكم الذى يبين أهداف و مرامى اللّه تعالى، و يوجه التعبير فى المتشابهات ليفيد المعنى المقصود، و يبين بعض ما خفى من وجوهه و خصوصياته.

لابد من وجود المتشابه فى القرآن:

و ينقل الرزاى: أن من الملاحدة من طعن فى القرآن لاشتماله على المتشابه، إذ كيف يكون مرجعا للناس فى كل عصر، مع وفرة دواعى الإختلاف فيه؛ حيث يجد كل صاحب مذهب فيه مأربه؛ فان هذا لا يصدر عن الحكيم «۲».

و لعل ما ذكرناه فيما تقدم يكفى فى الإجابة عن هذه الترهات. و نزيد هنا ما ذكره العلامة الطباطبائى، فإنه قال ما حاصله:

إنه كان لا محيص عن وقوع التشابه فى القرآن، لأنه كان يجرى فى تعابيره الرقيقة مع اساليب القوم، مع سمو معناه، و عمق مغزاه، فى مقابل انحطاطهم فى المستوى الفكرى و الثقافى.

و قد جاء القرآن بمفاهيم جديدة، كانت غريبة عن نوعية أفكار و مفاهيم المجتمع البشرى آنذاك، و لا سيما فى جزيرة العرب، البعيدة عن الثقافة و المعرفة، فى حين التزامه فى التعبير عن تلك المقاصد العالية بنفس الأساليب التى كانت معروفة فى ذلك العهد، الأمر الذى ضاق بتلك الألفاظ التى كانت موضوعة للتعبير عن معان محسوسة، أو قريبة من الحس، و محدودة فى نطاق ضيق، تتناسب مع ذهنية العربى و ثقافته و التعبير عن معان مبتذلة- لقد ضاق الأمر بتلك الألفاظ- عن أن تحيط بتلك

---

(۱) النساء: ۸۳.

(۲) تفسير الرازى ج ۷ ص ۱۷۱.

المفاهيم الرحبة الآفاق، البعيدة الاغوار، و جاء استعمال تلك الألفاظ للتعبير عن هذه المقاصد العالية غريبا عن المألوف العام، و عن ذهنية الإنسان العادى.

و من ثم، فقد قصرت أفهامهم عن إدراك حقائقها و دقائقها، و لا سيما حين رأوا: أن القرآن يستعمل فى التعبير عن مقاصده صنوف المجاز، و الإستعارات، و التشبيهات، و الكنايات، و دقائق الإشارات، و استعمل مختلف خصائص اللغة العربية، سواء منها ما يتعلق بالمفردات، أو بالهيئات التركيبية؛ ليمكن إخضاع تلك المعانى السامية للقوالب اللفظية المحدودة و المألوفة.

و كان ذلك سببا فى تقريب تلك المعانى الى أفهام العامة، من حيث أنه أخضعها للقوالب اللفظية، المأنوسة و المألوفة لديهم، و سببا فى بعدها، من حيث عدم قدرة تلك القوالب اللفظية على استيعاب معان لم تكن هى مستعدة للتعبير عن مثلها «۱». إلا بالتوسل بلطائف الاشارات و الكنايات، و دقائق الخصائص اللفظية للتعبير عنها، حسبما أشرنا اليه من قبل؛ فصعب على الإنسان العادى إدراك تلك المقاصد العالية، و اشتبه عليه الأمر؛ فكان لابد له من الاستعانة بالراسخين فى العلم، الذين اختصهم اللّه بفضله و كرمه لإيضاح مقاصده و أهدافه و مراميه، ممن كانوا على مستوى رفيع من عمق الفهم، و سلامة التفكير، و نفذت بصيرتهم الى الحقائق الراهنة، فنالوها، و هم أئمة أهل البيت الأطهار «عليهم السلام».

التأويل:

لقد أشير الى التأويل فى القرآن الكريم، و أن ثمة من يعرف هذا

---

(۱) راجع: التمهيد فى علوم القرآن ج ۳ ص ۱۹- ۲۲ و الميزان للعلامة الطباطبائى ج ۳ ص ۵۸- ۶۲ و عن تفسير المنار ج ۳ ص ۱۷۰. و قد نقلنا كلامهم بتصرف، فليلاحظ ذلك.

التأويل، و هم الراسخون فى العلم، و ان كانوا يعترفون بعجزهم عن إدراك كل الملابسات التى يمكن ان تكتنف هذا المعنى المقصود، إلا- إذا أوقفهم اللّه تعالى على ذلك. قال تعالى: وَ ما يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَ الرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنا «۱».

و قد رأينا: أن بعض الفئات الضالة تحاول الإستفادة من موضوع التأويل بما يخدم أهدافها الهدامة، و مذاهبها الضالة؛ فجاؤا بالتأويلات التى تضحك الثكلى، حتى إنك لتجد بعض الأحزاب المنحرفة من الذين يعتنقون الماركسية، و يتظاهرون بالاسلام، يحاولون تفسير الاسلام و القرآن بحيث ينسجم مع الماركسية التى تناقضه أساسا، فيقولون- مثلا- فى قوله تعالى: قُلْ لِعِبادِيَ الَّذِينَ آمَنُوا يُقِيمُوا الصَّلاةَ، وَ يُنْفِقُوا مِمَّا رَزَقْناهُمْ سِرًّا وَ عَلانِيَةً مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمٌ لا بَيْعٌ فِيهِ وَ لا خِلالٌ «۲»- يقولون-: إن المراد بهذا اليوم ليس هو يوم القيامة، و إنما المراد به اليوم الذى تتحقق فيه الاشتراكية، و يزول النظام الطبقى، و تنتفى فيه الملكية الشخصية «۳».

بل قالوا: إن المقصود بالمعاد فى الإسلام و القرآن، هو القضاء على النظام الطبقى فى المجتمع ليس إلا.

الى غير ذلك من ترهات بعيدة عن روح الإسلام و القرآن، جاء بها هؤلاء و غيرهم من الفئات الضالة.

و الحقيقة هى: أن هذا ليس هو التأويل الذى أشار إليه القرآن، و إنما هو التفسير بالرأى الذى ورد النهى عنه بشدة من قبل المعصومين

---

(۱) آل عمران: ۷.

(۲) ابراهيم: ۳۱.

(۳) راجع كتاب: توحيد عاشورى (فارسى).

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۲،ص:۲۷۴

«عليهم السلام». و هذا بعينه هو اتباع ما تشابه من القرآن، ابتغاء الفتنة، و ابتغاء تأويله.

و أما التأويل الذى لا يعلمه إلا اللّه و الراسخون فى العلم، الذين هم أهل البيت «عليهم السلام»، حسب نص الروايات «۱» فهو معرفة ما يؤول إليه الأمر، بحسب ما تضمنه الكلام من إشارات و دلالآت؛ كقوله: هذا تأويل رؤياى.

و بعبارة أخرى: التأويل هو الكشف عن المرامى و المعانى التى يشير اليها اللفظ، بما له من خصوصيات، فى مفرداته، و هيئاته التركيبية، و بعد مقايسته بغيره و ملاحظة مدى انسجام ذلك المعنى مع مبادىء و أهداف المتكلم نفسه.

و إذا ما أريد الوصول إلى واقع المعنى، من الآيات القرآنية بما له من خصوصيات و أحوال؛ فلا بد من الرجوع إلى من يتمكن بما أوتى من معارف و علوم، حتى أصبح من الراسخين فى العلم، للكشف عن المعانى القرآنية الدقيقة، التى يخفى على غير الراسخين كيفية تحمل اللفظ لها.

و إن كان بالنسبة إليهم ربما يكون من البديهات. فيرجعون ذلك المتشابه الى ذلك المحكم.

و من هنا تبرز الحاجة المستمرة الى هؤلاء الراسخين فى العلم، الذين ورد فى الروايات أنهم- بالذات- أئمة أهل البيت صلوات اللّه و سلامة عليهم أجمعين.

فالتأويل هو الكشف عما تؤول إليه المعانى، بواسطة معرفة سائر خصوصياتها و مراميها.

---

(۱) راجع تفسير نور الثقلين: ج ۱ ص ۲۶۰- ۲۶۲، و تفسير البرهان: ج ۱ ص ۲۷۰.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۲،ص:۲۷۵

الحروف المقطعة فى القرآن

و قد كثر الحديث عن الحروف المقطعة الواردة فى فواتح السور القرآنية، و تعددت و تشعبت الأقوال فى ذلك، حتى عدّ المفسرون ما يقرب من عشرين قولا حول المراد منها، نذكر منها ما يلى:

۱- هى من المتشابه الذى لا يعلم تأويله إلا اللّه سبحانه.

۱- هى أسماء للسور التى وقعت فى أوائلها.

۳- إنها أسماء لمجموع القرآن.

۴- إنها أسماء للّه سبحانه ف «ألم» معناها: أنا اللّه العالم و «ألمر» معناها: أنا اللّه أعلم و أرى. و هكذا.

۵- إنها أسماء للّه مقطعة لو أحسن تأليفها لعلم إسم اللّه الأعظم، ف «ألر، و حم، و ن». تصير: الرحمان. و هكذا.

۶- إن هذه الحروف شريفة لكونها مبانى كتبه المنزلة و أسمائه الحسنى و صفاته العليا، و أصول لغات الأمم .. و قد أقسم اللّه تعالى بهذه الحروف.

۷- إنها إشارات إلى آلآئه سبحانه، و بلائه، و مدة الأقوام و أعمارهم و آجالهم «۱»!

۸- إنها إشارة إلى بقاء هذه الأمة بحسب حساب الجمل.

۹- إنها تسكيت للكفار الذين تواصوا فيما بينهم أن: «لا تسمعوا لهذا القرآن و الغوا فيها»؛ فكانوا إذا سمعوا هذه الحروف استغربوها، و تفكروا فيها، فيقرع القرآن مسامعهم.

---

(۱) هناك رواية تشير إلى شىء من ذلك أيضا، فراجع: المحاسن للبرقى ص ۲۷۰ و البحار ج ۹۲ ص ۹۰.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۲،ص:۲۷۶

۱۰- إنها للإشارة الى معان فى السورة؛ فكلمة (ن) إشارة الى ما تشتمل عليه السورة من النصر الموعود و كلمة (ق) إشارة الى القرآن، أو الى القهر «۱».

إلى غير ذلك من أقوال لا مجال لتتبعها.

و لعل آخر ما يمكن أن يعتبر رأيا فى هذا المجال .. هو ما ذكره بعض المتاخرين، و اعتبر بمثابة «إعجاز مدهش جديد للقرآن الكريم يكتشفه عالم مصرى». و هو: أن هذه الحروف المقطعة تدخل كعنصر هام و حاسم فى موضوع الإعجاز العددى للقرآن ..

و نحن لا نريد أن نسىء الظن فيما يتعلق بهذا الرأى، على اعتبار أنه يعتمد الرقم (۱۹)، و يتخذه محورا فى مجمل استنتاجاته، و هو الرقم المقدس عند طائفة البهائية الضالة ..

كما أننا لا نريد المبالغة فى التشاؤم إلى حد أن نعتبر أن ذلك يهدف إلى صرف الأنظار عن دقائق المعانى القرآنية الباهرة الى الإهتمام بالظواهر و القوالب اللفظية.

لا .. لا نريد ذلك .. فإننا نأمل أن يكون ثمة قدر كبير من حسن النية، و سمو الهدف. و إنما نريد أن نؤكد على أن بعض الباحثين «۲» قد تتبع هذه النظرية بالبحث و التمحيص، حتى خرج بنتيجة حاسمة، مفادها: الجزم بخطأ هذه النظرية، و ذلك لعدم صحة الأرقام التى قدمتها، و اعتبرتها أساسا صالحا للتدليل على قيمتها العلمية.

فقد قال هذا المحقق الذى رمز لنفسه ب «أبو محمد»:

قولهم: كلمة «اسم» تتكرر ۱۹ مرة بالضبط.

---

(۱) تفسير الميزان ج ۱۸ ص ۶، ۷.

(۲) هو العلامة المحقق السيد مهدى الروحانى.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۲،ص:۲۷۷

أقول: ذكر فى المعجم المفهرس عدد ۱۹ تحت كلمة إسم و ذكر أن كلمة «بسم» تكررت ثلاث مرات فى قوله تعالى: بِسْمِ اللَّهِ مَجْراها، و بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ الْحَمْدُ لِلَّهِ. و إِنَّهُ مِنْ سُلَيْمانَ وَ إِنَّهُ بِسْمِ اللَّهِ.

و ذكر كلمة «إسمه».

و قال: إنها تكررت خمس مرات.

و قولهم: إن كلمة الرحيم تتكرر ۱۱۴ مرة نقول: بل تتكرر ۱۱۵ مرة بالضبط.

و قالوا: إن حرف (ن) قد تكرر فى سورة القلم ۱۳۳ أى ۱۹* ۷

و نقول: بل يتكرر ۱۲۹ مرة فقط. و لو كررنا المشددات مثل أن فإن المجموع يصير أكثر من ذلك بكثير.

و قالوا: إن حرف (ص) يتكرر فى كل من: سورة الاعراف التى أولها (المص) و سورة ص، و سورة مريم التى أولها (كهيعص) ۱۵۳ أى ۱۹* ۸

و نقول: إن عدد الصادات فى سورة الأعراف هو ۹۰ صادا، و لعله قد اشتبه على واحد أو إثنان، و فى سورة مريم ۲۴ (كذلك) و فى سورة ص ۲۷ مرة فليس المجموع ۱۵۳ و لا فى كل واحدة منها ۱۵۳ أيضا «۱»

أما العلامة الطباطبائى قدس سره، فقد أورد على الاقوال التى سلفت باستثناء هذا الاخير، حيث لم يذكره قدس سره .. بأن:

دعوى كون الحروف المقطعة من المتشابهات لا يصح، و ذلك لأن التشابه من صفات الآيات التى لها دلالة لفظية على مداليلها، و ليست الحروف المقطعة من هذا القبيل.

---

(۱) راجع مجلة المنطلق اللبنانية سنة ۱۳۹۹ ه العدد الخامس ص ۸۲.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۲،ص:۲۷۸

و أما سائر الأقوال، فإنما هى تصويرات لا تتعدى الاحتمال، و لا دليل يدل على شىء منها، و أما الروايات التى ربما يستظهر منها بعض التأييد لبعض تلك الأقوال، فقد ردها رحمة اللّه تعالى بضعف السند تارة و لضعف الدلالة أخرى، حيث لا يوجد فيها تقرير من النبى «صلى اللّه عليه و آله و سلم» لما فهمه الآخرون منها أو لأن مفاد الرواية أن هذه الحروف من قبيل الرمز لمعان تكرر بيانها، و لا حاجة لاستعمال الرمز فى التعبير عنها.

ثم استظهر رحمة اللّه: أن هذه الحروف هى رمز بين اللّه سبحانه و بين رسوله، خفى عنا، لا سبيل لأفهامنا العادية إليها إلا بمقدار أن نستشعر أن بينها و بين المضامين المودعة فى السور ارتباطا خاصا، حيث وجد رحمة اللّه تشابها فى سياق و فى مضامين السور التى اشتركت حروف معينة فى فواتحها، كالطواسين و الحواميم، و الميمات و الراءات و نحو ذلك.

و نقول:

إننا لا نستطيع الموافقة على ما ذكره رحمه اللّه تعالى، فإن القرآن ليس كتاب الغاز، أو أحاجى، و إنما أنزله اللّه تعالى: هُدىً لِلنَّاسِ «۱»، لِيَدَّبَّرُوا آياتِهِ «۲»، بِلِسانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ «۳»، قُرْآناً عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ «۴»، كِتابٌ فُصِّلَتْ آياتُهُ قُرْآناً عَرَبِيًّا لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ «۵».

---

(۱) سورة البقرة: ۱۸۵.

(۲) ص ۳۸.

(۳) سورة الشعراء، ۱۹۹.

(۴) سورة يوسف: ۲.

(۵) فصلت: ۳.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۲،ص:۲۷۹

و قد لاحظ بعض المحققين: أن تعقيب هذه الأحرف بأن هذا الكتاب مبين و واضح، و أنه قرآن عربى لقوم يعملون، أو لعلكم تعقلون، لا ينا سب كون تلك الألفاظ رموزا، أو من قبيل الألغاز و الأحاجى، قال تعالى فى سورة يوسف: الر، تِلْكَ آياتُ الْكِتابِ الْمُبِينِ. إِنَّا أَنْزَلْناهُ قُرْآناً عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ.

و مهما يكن من أمر، فإن لدينا من الشواهد و الدلائل ما يكفى لإعطاء فكرة عن المراد من هذه الحروف. و نستطيع بيان ذلك فى ضمن النقاط التالية:

۱- إننا فى نفس الوقت الذى نعتبر فيه أن ما سنذهب إليه ليس هو المقصود النهائى من هذه الأحرف، فإننا نؤكد على أننا لا نستبعد إرادة سائر المعانى، مما ذكر أو لم يذكر منها، إذ دل الدليل على إرادتها أيضا، فإن للقرآن ظهرا و بطنا، و لعل لإختلاف الآزمنة، و تقدم الفكر و العلم، تأثيرا فى فهم الكثير من المعانى الأخرى، التى يمكن أن تكون هذه الأحرف مشيرة إليها، أو دالة عليها كبير، بنحو من أنحاء الإشارة و الدلالة.

۲- إننا نلاحظ: أننا لم نجد فى التاريخ ما يشير إلى أن أيا من الصحابة أو من غيرهم من المشركين أو من أعداء الإسلام قد تصدى للسؤال أو الإستفهام عن معانى هذه الأحرف، و عما ترمى إليه ..

و لو سلمنا جدلا أن سكوت الصحابة يمكن أن يكون ناشئا عن إيمانهم العميق. و عن وصولهم الى درجة التسليم و الخضوع لكل ما يأتى به النبى «صلى اللّه عليه و آله و سلم» نتيجة لما رأوه من الآيات الباهرة، و المعجزات القاهرة- رغم أن ذلك لا ينطبق على كثيرين غيرهم .. و رغم عدم منافاة ذلك للسؤال الاستفهامى عن أمر كهذا- فإننا لا نستطيع أن نفسر سكوت المشركين و غيرهم من أعداء الإسلام عن أمر كهذا. و هم فى موقع التحدى و المجابهة، و يحاولون التشبث و لو بالطحلب للطعن فى

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۲،ص:۲۸۰

الإسلام و النبوة و القرآن.

فسكوتهم هذا- و الحالة هذه- لا يعنى إلا أنهم قد فهموا منها معنى قريبا إلى أذهانهم، و أن ذلك المعنى الذى فهموه كان يكفى للإجابة عما يمكن أن يراود أذهانهم من تساؤلات ..

۳- إننا نجد: أن هذه الحروف قد وردت فى تسع و عشرين سورة.

ستة و عشرون منها نزلت فى مكة، و ثلاث منها نزلت فى المدينة. و حتى هذه السور التى نزلت فى المدينة يلاحظ: أن إثنتين منها قد نزلتا فى أوائل الهجرة، حيث كان الوضع الدينى و الإيمانى فيها لا يختلف كثيرا عنه فى مكة، و لا سيما مع وجود اليهود و شبهاتهم و مؤامراتهم إلى جانب المشركين فيها.

و واحدة منها و هى سورة الرعد قد نزلت بعد ان كثر الداخلون فى الإسلام رغبا أو رهبا، و كثر المنافقون حتى ليرجع إبن أبى بثلث الجيش فى غزوة أحد .. و أصبح اليهود و غيرهم ممن و ترهم الإسلام يهتمون بالكيد للإسلام من الداخل، بعد أن عجزوا عن مقاومته عسكريا و فكريا، و عقائديا بشكل سافر .. فجاءت سورة الرعد لتكرر التحدى بهذه المعجزة: القرآن، كأسلوب أمثل لبعث عمق عقيدى و إيمانى جديد فى المسلمين، و مواجهة غيرهم بالواقع الذى لا يجدون لمواجهته سبيلا إلا بالتسليم و البخوع و الإنقياد له.

و هذا ما يفسر لنا السر فى أننا نجد أسلوب و أجواء سورة الرعد لا تختلف كثيرا عن أجواء و أسلوب غيرها من السور المكية، و أن هنالك توافقا فيما بينها فى إدانة و ضرب كل أساليب التضليل أو التزوير، و الصدود عن الحق ..

و نستطيع بعد كل ما تقدم أن نصل إلى النتيجة التالية، و هى:

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۲،ص:۲۸۱

أن ورود هذه الحروف فى خصوص السور المكية، و فى ثلاث سور نزلت فى أجواء لا تختلف كثيرا عن أجواء مكة ليدل دلالة قاطعة على أنها إنما جاءت فى مقام التحدى للمشركين، و لأعداء الإسلام .. و أن عدم اعتراض هؤلاء، أو حتى عدم سؤالهم، و كذلك عدم سؤال أى من الصحابة المؤمنين عن معانى هذه الحروف إنما يشير الى انهم إنما فهموا منها معان قريبة إلى أذهانهم، كافية للإجابة على ما ربما يختلج فى نفوسهم من أسئلة حولها. و ليس ذلك إلا ما ذكرنا من التحدى بهذا القرآن، المركب من أمثال هذه الحروف التى هى تحت اختيار الجميع، مع أنه يعجز عن مجاراته و الإتيان بمثله و حتى بسورة من مثله، الجميع.

۴- إننا إذا راجعنا الآيات التى وقعت بعد هذه الحروف، فإننا نجد:

ألف: أن جميع السور التى وقعت الحروف المقطعة فى فواتحها باستثناء سورتين أو ثلاث نجد الأيات التى وقعت بعد هذه الحروف تتحدث عن الكتاب و آياته، أو القلم أو القرآن، و نحو ذلك كقوله تعالى:

المص. كِتابٌ أُنْزِلَ إِلَيْكَ (الاعراف).

الر. كِتابٌ أَنْزَلْناهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُماتِ إِلَى النُّورِ (إبراهيم).

حم. وَ الْكِتابِ الْمُبِينِ. إِنَّا جَعَلْناهُ قُرْآناً عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ (الزخرف).

الر. كِتابٌ أُحْكِمَتْ آياتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ (هود).

حم. وَ الْكِتابِ الْمُبِينِ. إِنَّا أَنْزَلْناهُ فِي لَيْلَةٍ مُبارَكَةٍ (الدخان)

ص. وَ الْقُرْآنِ ذِي الذِّكْرِ

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۲،ص:۲۸۲

ن. وَ الْقَلَمِ وَ ما يَسْطُرُونَ.

و حتى تلك السور الاثنتان أو الثلاث يمكن أن يكون فى تلك القصة، أو التنبؤات، أو الحكم التى تذكر بعد هذه الحروف من الاعجاز ما يكفى لأن يجعل تركيبها من أمثال تلك الحروف المذكورة، و عجز الغير عن الإتيان بمثلها كافيا عن التصريح فى ذلك ..

ب: إننا نجد أن الآيات التى وقعت بعد الأحرف المقطعة قد صدّرت باسم الإشارة ليكون خبرا عن الحروف المقطعة، لأنه إشارة لما قبله. و لا يصح أن يكون إشارة لما بعده لأن ما بعده ليس الالف ليكون بدلا أو عطف بيان له .. و ذلك مثل قوله تعالى:

الر. تِلْكَ آياتُ الْكِتابِ الْمُبِينِ. إِنَّا أَنْزَلْناهُ قُرْآناً عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ (يوسف).

الر. تِلْكَ آياتُ الْكِتابِ وَ قُرْآنٍ مُبِينٍ (الحجر)

الر. تِلْكَ آياتُ الْكِتابِ الْحَكِيمِ (يونس).

و كذلك الحال بالنسبة لسورة الرعد، و الحجر و غيرها من السور.

أما مثل قوله تعالى: الم. ذلِكَ الْكِتابُ فالكتاب بدل أو عطف بيان.

ج: ما هو من قبيل قوله تعالى:

حم. تَنْزِيلٌ مِنَ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ. كِتابٌ فُصِّلَتْ آياتُهُ قُرْآناً عَرَبِيًّا لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ (فصلت). فإن قوله تنزيل خبر لقوله: حم. كما قاله الفراء، و كما هو الظاهر ..

و جعل كتاب خبرا لتنزيل، لا يستسيغه الذوق السليم، و لا ينسجم مع المعنى المقصود، و لا سيما مع تنوين كلمة تنزيل و تنكيرها. و كذلك

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۲،ص:۲۸۳

الحال فى قوله تعالى:

الم. تَنْزِيلُ الْكِتابِ لا رَيْبَ فِيهِ مِنْ رَبِّ الْعالَمِينَ (السجدة).

حم. تَنْزِيلُ الْكِتابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ (المؤمن).

و كذا الحال فيما ورد فى أول سورة الجاثية و الاحقاف ..

و قد أعرب المفسرون، و غيرهم هذه الموارد على ان كلمة (تنزيل) خبر لمبتدأ محذوف، أو نحو ذلك مع إن إعرابها على النحو الذى ذكرناه هو الأنسب و الأظهر، و إن كان إعرابهم لا ينافى ما ذكرناه أيضا، فإن تقدير كلمة (هو)، أو كلمة: (هذا) المقدرة مبتدأ ظاهرها الإشارة إلى ما قبلها أيضا ..

د: قوله تعالى:

حم عسق. كَذلِكَ يُوحِي إِلَيْكَ وَ إِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ اللَّهُ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ (الشورى).

فإن قوله (كذلك) يشاربها فى القرآن عادة إلى ما قبلها. أى كتلك الحروف التى سبقت يوحى إليك اللّه تعالى، أى أن آيات اللّه هى من جنس هذه الأحرف.

ه: و بعد، فلقد جاء فى رواية عن الإمام العسكرى صلوات اللّه و سلامه عليه، أنه قال: كذبت قريش و اليهود بالقرآن، و قالوا: سحر مبين تقوله.

فقال اللّه: الم. ذلِكَ الْكِتابُ أى يا محمد هذا الكتاب الذى انزلناه عليك هو الحروف المقطعة التى منها (ألف، لام، ميم) و هو بلغتكم و حروف هجائكم، فأتوا بمثله إن كنتم صادقين، و استعينوا على ذلك بسائر شهدائكم.

ثم بين أنهم لا يقدرون عليه بقوله: قل: لَئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۲،ص:۲۸۴

وَ الْجِنُّ عَلى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هذَا الْقُرْآنِ لا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَ لَوْ كانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيراً .. «۱».

و ضعف هذه الرواية لا يضر ما دامت مؤيدة بما قدمناه من الشواهد و الدلائل .. هذا على الرغم من أننا نجد فى كلام المجلسى ما يشير إلى إمكان الاعتماد على روايات تفسير العسكرى .. مع أننا لا نجد ما يبرر الوضع و الجعل فى أمر كهذا ..

آخر ما نقوله حول الحروف المقطعة:

و أخيرا فإنه يمكن أن تكون فى القصة التى تذكر بعد هذه الحروف المقطعة، أو فى الحكم، أو التنبؤات من الإعجاز ما يكفى لأن يجعل تركيبها من الحروف المذكورة فى بداية السورة، و عجز الغير عن الاتيان بمثلها كافيا فى ذلك.

و مع كل ما قدمناه، فإننا نعود و نؤكد على أن ما ذكرناه ليس هو كل المراد من هذه الحروف، فقد يكون لها إشارات و مرامى أخرى تضاف الى ما ذكرناه، و لا مانع مع صحة كثير من الإحتمالات التى ذكرت فى معانيها. و لربما يكون لاختلاف الأزمنة تأثير فى فهم هذه المعانى، كما أشرنا إليه حين الكلام حول أن للقرآن ظهرا و بطنا.

---

(۱) معانى الأخبار ص ۲۲، و تفسير البرهان ج ۱ ص ۵۴ و تفسير نور الثقلين ج ۱ ص ۴۳ و البحار ج ۹۲ ص ۳۷۷ و تفسير الميزان ج ۱۸ ص ۱۶.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۲،ص:۲۸۵

الفصل الثانى: روايات بدء الوحى

اشارة

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۲،ص:۲۸۷

ما روى فى بدء الوحى:

روى البخارى و مسلم و غيرهما، عن الزهرى، عن عروة بن الزبير، عن عائشة فى بدء الوحى، ما ملخصه: أن الملك جاء للنبى، (ص) و هو فى غار حراء، فقال: إقرأ. قال: ما أنا بقارىء، قال: فأخذنى فغطنى حتى بلغ منى الجهد، ثم أرسلنى، فقال: إقرأ: فقلت: ما أنا بقارىء، فأخذنى فغطنى الثانية، حتى بلغ منى الجهد، ثم ارسلنى، فقال: إقرأ.

فقلت: ما أنا بقارىء. فأخذنى فغطنى الثالثة، ثم أرسلنى؛ فقال: اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِى خَلَقَ. خَلَقَ الْإِنْسانَ مِنْ عَلَقٍ. اقْرَأْ وَ رَبُّكَ الْأَكْرَمُ.

فرجع بها رسول اللّه (ص) يرجف فؤاده؛ فدخل على خديجة بنت خويلد، فقال زمّلونى، زمّلونى، حتى ذهب عنه الروع؛ فقال لخديجة- و قد أخبرها الخبر-: لقد خشيت على نفسى. فقالت خديجة: كلا و اللّه، ما يخزيك اللّه أبدا، إنك لتصل الرحم، و تحمل الكل، و تكسب المعدوم، و تقرى الضيف، و تعين على نوائب الحق، فانطلقت به خديجة، حتى أتت به ورقة بن نوفل، بن أسد، بن عبد العزى، ابن عم خديجة، و كان امرءا قد تنصر فى الجاهلية، و كان يكتب الكتاب العبرانى، فيكتب من الإنجيل بالعبرانية ما شاء اللّه أن يكتب، و كان شيخا كبيرا قد

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۲،ص:۲۸۸

عمى، فقالت له خديجة: يا بن عم إسمع من ابن أخيك. فقال له ورقة:

ماذا ترى؟ فأخبره رسول اللّه (ص) خبر ما رأى. فقال له ورقة: هذا الناموس الذى نزل اللّه على موسى، يا ليتنى فيها جذعا، ليتنى أكون حيا إذ يخرجك قومك. فقال رسول اللّه (ص): أو مخرجىّ هم؟ قال: نعم، لم يأت رجل قط بمثل ما جئت به إلا- عودى، و إن يدركنى يومك أنصرك نصرا مؤزرا.

ثم لم ينشب ورقة أن توفى. و فتر الوحى «۱».

و ثمة روايات كثيرة أخرى متناقضة و متعارضة، و نذكر منها على سبيل المثال:

۱- هناك رواية تقول: إن خديجة أرسلته مع أبى بكر الى ورقة بن نوفل فأخبره (ص) أنه يسمع نداء خلفه: يا محمد، يا محمد، فينطلق هاربا فى الارض، فأمره ورقة أن يثبت؛ ليسمع ما يقول ثم يخبره، ففعل فناداه: يا محمد، قل: بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ حتى بلغ، وَ لَا الضَّالِّينَ قل لا إله إلا اللّه. فأخبر ورقة؛ فبشره بأنه هو الذى بشر به إبن مريم؛ فلما توفى ورقة قال (ص): لقد رأيت القس فى الجنة، عليه ثياب الحرير؛ لأنه آمن بى و صدقنى «۲».

۲- و رواية أخرى تقول: بعد أن ذكرت: أن خديجة أخبرت ورقة

---

(۱) صحيح البخارى ط مشكول ج ۱ ص ۵- ۶ و ج ۹ ص ۳۸، و صحيح مسلم ج ۱ ص ۹۷، و ليراجع تاريخ الطبرى ج ۲ ص ۴۷، و المصنف لعبد الرزاق ج ۵ ص ۳۲۲/ ۳۲۳، و تاريخ الخميس ج ۱ ص ۲۸۲، و السيرة النبوية لدحلان ج ۱ ص ۸۲ و السيرة الحلبية ج ۱ ص ۲۴۲/ ۲۴۳ و راجع: الأوائل ج ۱ ص ۱۴۵/ ۱۴۶.

(۲) البداية و النهاية ج ۳ ص ۹/ ۱۰ و الروض الأنف ج ۱ ص ۲۷۴/ ۲۷۵ و السيرة النبوية لدحلان ج ۱ ص ۸۳/ ۸۴ و السيرة الحلبية ج ۱ ص ۲۵۰، و سيرة مغلطاى ص ۱۵.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۲،ص:۲۸۹

بالأمر، فأخبرها أنه نبى هذه الأمة- إنه بعد مدة التقى بالنبى (ص) و هما يطوفان، فسأله ورقة عما رأى و سمع؛ فأخبره. فأخبره ورقة انه

نبى هذه الأمة «۱»

۳- انه لما أخبر النبى «صلى اللّه عليه و آله و سلم» خديجة بما رأى، بشرته بأنه نبى هذه الأمة، و أن الذى أخبرها بذلك هو غلامها ناصح، و بحيرا الراهب. و أمرها أن تتزوجه منذ أكثر من عشرين سنة، و لم تزل برسول اللّه حتى طعم، و شرب، و ضحك، ثم خرجت إلى الراهب، و كان قريبا من مكة فأخبرته، فأخبرها: أن جبرئيل هو أمين اللّه، و رسوله إلى الأنبياء. ثم أتت عداسا، فسألته، فأخبرها بمثل ذلك.

ثم أتت ورقة، فأخبرها بمثل ذلك. ولكنها حلفته أن يكتم الأمر، فطلب منها أن ترسل إبن عبد اللّه اليه؛ ليسأله، و يسمع منه؛ مخافة أن يكون الذى جاءه هو غير جبرئيل، فإن بعض الشياطين يتشبه ليضل و يفسد، حتى يصير الرجل بعد العقل الرضى مدلّها مجنونا، فرجعت الى النبى «صلى اللّه عليه و آله و سلم»، و أخبرته بمقالة ورقة، فنزل قوله تعالى: ن. وَ الْقَلَمِ وَ ما يَسْطُرُونَ. ما أَنْتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِمَجْنُونٍ. و لكنها أصرت عليه أن يذهب إلى ورقة، ففعل، و صدقه ورقة، فذاع قول ورقة و تصديقه لرسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله و سلم»، فشق ذلك على الملأ من قومه «۲».

۴- إن خديجة طلبت منه أن يخبرها حين يأتيه الملك ففعل، فأمرته أن يجلس إلى شقها الأيمن؛ ففعل، فلم يذهب الملك، فأجلسته فى حجرها، فلم يذهب. فتحسرت فشالت خمارها، و رسول اللّه «صلى اللّه

---

(۱) البداية و النهاية ج ۳ ص ۱۲/ ۱۳ و سيرة ابن هشام ج ۱ ص ۲۵۴، و السيرة الحلبية ج ۱ ص ۲۳۹/ ۲۴۰، و السيرة النبوية لدحلان ج ۱ ص ۸۱/ ۸۲.

(۲) البداية و النهاية ج ۳ ص ۱۴/ ۱۵ و راجع: الأوائل لابى هلال العسكرى ج ۱ ص ۱۴۶.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۲،ص:۲۹۰

عليه و آله و سلم» فى حجرها، فذهب الملك، فقالت: ما هذا بشيطان، إن هذا لملك يا ابن عم، فاثبت و ابشر.

و فى رواية: أنها أدخلت رسول اللّه بين جلدها و درعها، و أخرجت رأسه من جيبها؛ فذهب جبرئيل (ع) عند ذلك «۱».

و فى رواية: أن ذلك كان بإشارة ورقة «۲».

۵- و فى رواية: إن ورقة قال لخديجة: إسأليه من هذا الذى ياتيه، فإن كان ميكائيل، فقد أتاه بالخفض و الدعة و اللين و إن كان جبرئيل، فقد أتاه بالقتل و السبى؛ فسألته، فقال: فقال جبرئيل. فضربت خديجة جبهتها «۳».

۶- و فى رواية: أنه لما أتاه الوحى قال: (... ان الأبعد- يعنى نفسه- لشاعر أو مجنون، لا تحدّث بها قريش عنى أبدا، لأعمدن إلى حالق من الجبل؛ فلأطرحن نفسى منه، فلأقتلنها، و لأستريحن. قال:

فخرجت أريد ذلك) حتى إذا كان فى وسط جبل سمع صوتا من السماء يقول يا محمد أنت رسول اللّه.

ثم تستمر الرواية حتى تذكر: أنه ذكر لخديجة: أن الأبعد لشاعر أو مجنون. فقالت: أعيذك باللّه من ذلك، ثم التقت بورقة؛ فأرسل إليه بالثبات، ثم التقى به فى الطواف، فجرى له معه ما جرى «۴».

و عند السهيلى و غيره: أن خديجة سألت ورقة، و عداسا، و نسطورا،

---

(۱) البداية و النهاية ج ۳ ص ۱۵/ ۱۶، و سيرة ابن هشام ج ۱ ص ۲۵۵، و الطبرى ج ۲ ص ۵۰ و تاريخ الخميس ج ۱ ص ۲۸۳، و السيرة الحلبية ج ۱ ص ۲۵۱، و السيرة النبوية لدحلان ج ۱ ص ۸۴.

(۲) السيرة الحلبية ج ۱ ص ۲۵۲.

(۳) تاريخ اليعقوبى ط صادر ج ۲ ص ۲۳.

(۴) تاريخ الطبرى ج ۲ ص ۴۹/ ۵۰.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۲،ص:۲۹۱

عن أمر رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله و سلم» «۱».

۷- و فى رواية: أن عداسا أعطاها كتابا لتضعه على النبى «صلى اللّه عليه و آله و سلم»؛ فان كان مجنونا شفى، و إلّا لم يضره شيئا، فلما عادت إليه بالكتاب وجدت معه جبرئيل يقرئه الآيات من سورة القلم، ففرحت، و أخذته إلى عداس، فكشف عداس عن ظهره؛ فوجد خاتم النبوة بين كتفيه إلخ .. «۲».

و يروى البعض: أنه «صلى اللّه عليه و آله و سلم» لما أخبرها بجبرئيل كتبت إلى بحيرا الراهب، و قيل: سافرت بنفسها إليه لتسأله عن الأمر «۳».

۸- و فى رواية: أنه حين ذهب ليتردّى من شواهق الجبال، كان إذا ارتقى بذروة جبل، تبدّى له جبرئيل، و يخاطبه بالرسالة، فيسكن جأشه، و تطمئن نفسه «۴».

۹- و يروون أيضا: أنه كان قبل النبوة يتعرض للرعدة، و تغميض العينين، و تربّد الوجه، و لما يشبه الاغماء، و يغط كغطيط البكر. «۵»

۱۰- و فى رواية: انه (ص) عاد إلى أهله مسرورا موقنا: أنه قد رأى أمرا عظيما، فلما دخل على خديجة قال: أريتك الذى كنت حدثتك: أنى رأيته فى المنام؛ فإن جبرئيل استعلن إلى، أرسله إلى ربى عز و جل، و أخبرها بالذى جاءه من اللّه، و ما يسمع منه، فقالت له: أبشر، فو اللّه لا يفعل اللّه بك إلا خيرا، و اقبل الذى جاءك من أمر اللّه، فإنه حق، و أبشر؛

---

(۱) الروض الأنف ج ۱ ص ۲۷۳، و الأوائل لأبى هلال العسكرى ج ۱ ص ۱۴۶.

(۲) تاريخ الخميس ج ۱ ص ۲۸۴، و السيرة النبوية لدحلان ج ۱ ص ۸۳، و السيرة الحلبية ج ۱ ص ۲۴۳/ ۲۴۴.

(۳) السيرة النبوية لدحلان ج ۱ ص ۸۳ و السيرة الحلبية ج ۱ ص ۲۴۴.

(۴) المصنف ج ۵ ص ۳۲۳.

(۵) السيرة النبوية لدحلان ج ۱ ص ۸۴، و السيرة الحلبية ج ۱ ص ۲۵۲.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۲،ص:۲۹۲

فإنك رسول اللّه حقا.

ثم انطلقت إلى عداس النصرانى، غلام عتبة بن ربيعة من أهل نينوى، فسألته عن جبرائيل؛ فتعجب من ذكر جبرائيل بتلك الارض، ثم أخبرها بأنه أمين اللّه بينه و بين الأنبياء. ثم جاءت إلى ورقة إلخ .. «۱».

هذا غيض من فيض، مما قيل و يقال حول ما جرى حين بدء الوحى، و كيفيته و ملابساته، من روايات، و أقاويل متضاربه و متناقضة.

و لننتقل الآن إلى الإشارة الى بعض ما لنا من مناقشات فى تلك الأراجيف المتقدمة، متوخين الإيجار و الإختصار مهما أمكن فنقول:

مناقشة روايات بدء الوحى:

إننا فى مجال بيان ما فى تلك الروايات من خلل و خطل، لا نستطيع أن نستوعب كل ما فيها من نقاط ضعف؛ لأن استيعاب ذلك- كما يبدو- يحتاج إلى وقت طويل، بل إلى مؤلف مستقل .. و لكن ما لا يدرك كله لا يترك كله، لأننا نريد أن نسهم بدورنا فى الذب عن مقام النبوة الأقدس، و لو بشكل محدود و مقتضب، و ما نريد أن نشير إليه هنا هو:

أولا: من حيث السند. و حيث إن العمدة فى ذلك هو ما ورد فى الصحيحين و غيرهما، عن الزهرى، عن عروة بن الزبير، عن عائشة، فنحن نكتفى بالإشارة الاجمالية إلى حال هؤلاء، فنقول:

۱- الزهرى: كان من أعوان الظالمين، و من الذين يركنون لهم «۲»، و كان عاملا لبنى أمية «۳» و يقول المحقق التسترى: إنه كان كاتبا لهشام بن

---

(۱) البداية و النهاية ۳ ص ۱۳.

(۲) راجع: سفينة البحار ج ۱ ص ۵۷۲ و ۵۷۳ و معجم رجال الحديث ج ۱۶ ص ۱۸۲ عن ابن شهر اشوب.

(۳) كشف الغمة ج ۲ ص ۳۱۷.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۲،ص:۲۹۳

عبد الملك، و معلما لأولاده «۱».

وعده الثقفى من فقهاء الكوفة الذين خرجوا عن طاعة على «عليه السلام»، و كانوا أهل عداوة له و بغض، و خذلوا عنه «۲».

و جلس هو و عروة فى مسجد المدينة فنالا من على «عليه السلام»، فبلغ ذلك السجاد «عليه السلام»، فجاء حتى وقف عليهما؛ فقال: أما أنت يا عروة، فإن أبى حاكم أباك، فحكم لأبى على أبيك و أما أنت يا زهرى؛ فلو كنت أنا و أنت بمكة لأريتك كنّ «۳» أبيك «۴».

و نحن لا نستطيع أن نثق بأعوان الظلمة، و بمبغضى على «عليه السلام»، كيف و قد قال (ص): «من سب عليا فقد سبنى «۵»؟.

۲- عروة بن الزبير. عن عروة قال: أتيت عبد اللّه بن عمر بن الخطاب (رض)؛ فقلت له: يا أبا عبد الرحمان، إنا نجلس إلى ائمتنا هؤلاء، فيتكلمون بالكلام، نعلم أن الحق غيره؛ فنصدقهم، و يقضون بالجور، فنقويهم، و نحسنه لهم؛ فكيف ترى فى ذلك؟ فقال: يا ابن أخى، كنا مع رسول اللّه (ص) نعد هذا النفاق؛ فلا أدرى كيف هو عندكم «۶».

---

(۱) راجع ترجمة الزهرى فى قاموس الرجال ج ۶.

(۲) الغارات للثقفى ح ۲ ص ۵۵۸- ۵۶۰ و راجع: سفينة البحار ج ۱ ص ۵۷۲.

(۳) الكن: البيت.

(۴) شرح النهج للمعتزلى ج ۴ ص ۱۰۲، و الغارات للثقفى ج ۲ ص ۵۷۸، و البحار ج ۴۶ ص ۱۴۳ و راجع: سفينة البحار ج ۱ ص ۵۷۲.

(۵) مستدرك الحاكم ج ۳ ص ۱۲۱ و صححه الذهبى فى تلخيص المستدرك هامش نفس الصفحة.

(۶) سنن البيهقى ج ۸ ص ۱۶۵، و قريب منه ما فى ص ۱۶۴ من دون ذكر اسم «عروة» و مثله الترغيب و الترهيب ج ۴ ص ۳۸۲ عن البخارى و إحياء علوم الدين ج ۳ ص

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۲،ص:۲۹۴

فعروة يعتبر أئمة الجور أئمته، و إبن عمر يحكم عليه بالنفاق.

وعده الاسكافى من التابعين، الذين كانوا يضعون أخبارا قبيحة فى على «عليه السلام «۱». و كان يتألف الناس على روايته «۲».

و روى عبد الرزاق، عن معمر، قال: كان عند الزهرى حديثان عن عروة، عن عائشة فى على «عليه السلام»، فسألته عنهما يوما، فقال: ما تصنع بهما و بحديثهما؟ إنى لأتهمهما فى بنى هاشم «۳».

و كان عروة إذا ذكر عليا نال منه «۴»، و يصيبه الزمع؛ فيسبه، و يضرب إحدى يديه على الأخرى إلخ «۵».

و بعد ذلك كله؛ فإنه لم يثبت سماع الزهرى عنه. و لكن أهل الحديث اتفقوا على ذلك «۶»،

۳- أما عائشة: التى حاربت عليا و عادته، و التى يتهمها الزهرى بأنها لا تؤمن فى بنى هاشم؛ فقد أرسلت هذه الرواية، و لم تبين لنا

عمن روتها، فإنهم يقولون: إنها قد ولدت بعد البعثة، و إن كنا نحن نناقش فى ذلك «۷».

و أخيرا، فإن لنا كلاما طويلا فى بقية الاسانيد فى الصحاح و غيرها

---

۱۵۹ و فى هامشه عن الطبرانى و حياة الصحابة ج ۲ ص ۷۶.

(۱) شرح النهج للمعتزلى ج ۴ ص ۶۳.

(۲) صفة الصفوة ج ۲ ص ۸۵، و تهذيب التهذيب ج ۷ ص ۱۸۲.

(۳) شرح النهج للمعتزلى ج ۴ ص ۶۴، و قاموس الرجال ج ۶ ص ۲۹۹.

(۴) الغارات ج ۲ ص ۵۷۶، و شرح النهج ج ۴ ص ۱۰۲.

(۵) قاموس الرجال ج ۶ ص ۳۰۰.

(۶) تهذيب التهذيب ج ۹ ص ۴۵۰.

(۷) سيأتى ذلك إن شاء اللّه فى فصل: حتى بيعة العقبة.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۲،ص:۲۹۵

لا مجال له هنا. و نكتفى بهذا القدر، لنشير الى بقية ما فى الرواية من هنات.

و ثانيا: تناقض الروايات الظاهر لدى كل أحد، و يظهر ذلك بالملاحظة و المقارنة، و نكل ذلك الى القارىء نفسه. و لو أن الاختلاف كان بالزيادة و النقيصة لا- مكن قبوله؛ على اعتبار أن أحدهما حفظ دون الآخر، أو تعلق غرضه بهذا النحو من النقل، و ذاك بنحو آخر. و كذا لو كان التناقض فى مورد واحد مثلا، فلربما يمكن الاعتذار عن ذلك بأن من الممكن وقوع الإشتباه غير العمدى من أحد النقلة.

و لكن الأمر هنا أبعد من ذلك؛ فإن التناقض و الإختلاف إن لم يكن فى كل ما تضمنته تلك الروايات من نقاط، ففى جلها مما يعنى أن ثمة تعمدا للوضع و الجعل. و قديما قيل: «لا حافظة لكذوب».

هذا كله، مع غض النظر عن المناقضة بين هذه الروايات و بين الرواية التى يذكرها البخارى نفسه فى أول كتابه بعد هذه الرواية مباشرة من أن أول ما نزل عليه «صلى اللّه عليه و آله و سلم» هو سورة المدثر.

و يلاحظ انه ليس فى تلك الرواية ذكر لأى شىء من تلك الأمور الغريبة و العجيبة التى تضمنتها رواية عائشة السابقة عليها؛ فإن عدم ذكرها لشىء من ذلك يورث الشك و الريب، و يثير أكثر من سؤال عن السبب فى إهمال التعرض لذلك.

و ثالثا: إن رواية الصحاح، بل و سائر الروايات تذكر: أن جبرئيل قد أخذ النبى (ص) فغطه، أى عصره و حبس نفسه او خنقه حتى بلغ منه الجهد، أو حتى ظن أنه الموت، ثم أرسله، و أمره بالقراءة؛ فأخبره النبى (ص): أنه لا يعرفها، فلم يقنع منه، بل عاد فغطه، ثم أرسله، و هكذا ثلاث مرات.

و لنا على هذا الكلام العديد من الأسئلة.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۲،ص:۲۹۶

فإننا لا نعرف ما هو المبرر لذلك كله؟ و كيف جاز لجبرئيل أن يروع النبى الأعظم «صلى اللّه عليه و آله و سلم»، و أن يؤذيه بالعصر و الخنق، إلى حد أنه «صلى اللّه عليه و آله و سلم» يظن أنه الموت، يفعل به ذلك، و هو يراه عاجزا عن القيام بما يأمره به و لا يرحمه، و لا يلين له!!

و لماذا يفعل به ذلك ثلاث مرات، لا أكثر و لا أقل؟!.

و لماذا صدقه فى الثالثة، و لا يصدقه فى المرة الأولى؟ أو الثانية؟! و إذا كان النبى «صلى اللّه عليه و آله و سلم» قد كذب عليه أولا،

فكيف بقى أهلا للنبوة؟! و إذا كان قد صدقه فلماذا لم يقتنع جبرئيل بكلامه، و عاد فخنقه حتى ليظن أنه الموت؟!.

و أيضا، هل جاء جبرئيل اليه بكتاب ليقرأه؛ إذ أن قوله «صلى اللّه عليه و آله و سلم»: «ما أنا بقارىء» إنما يصح لو كان «صلى اللّه عليه و آله و سلم» قد فهم أن جبرئيل يأمره بالقراءة نفسها- لا بتعلم القراءة- كما ذكره السندى «۱».

و إذا كان المراد: القراءة بمعنى التلاوة؛ فلماذا يطلب منه جبرائيل ذلك، قبل أن يتلو عليه شيئا؟. ثم لماذا يعاند هو و يرفض ذلك؟!

و بعد هذا كله، لماذا يستسلم النبى «صلى اللّه عليه و آله و سلم» لجبرائيل ليعذبه على هذا النحو الذى لا مبرر له؟

ثم لماذا يرجع مرعوبا خائفا؟! ألم يكن باستطاعته أن يلطمه لطمة يقلع بها عينه؟ كما فعل موسى بملك الموت من قبل؟! حيث إنه لما جاء ليقبض روحه، لطمه على عينه فقلعها، كما نص عليه البخارى، و كثير من المصادر الأخرى «۲»!!

---

(۱) حاشية السندى على البخارى بهامشه ج ۱ ص ۳ ط سنة ۱۳۰۹.

(۲) البخارى ط سنة ۱۳۰۹ ج ۱ ص ۱۵۲، أبواب الجنائز، و ج ۲ ص ۱۵۹ باب وفاة

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۲،ص:۲۹۷

أم يعقل: أنه كان- و العياذ باللّه- جبانا إلى هذا الحد؟! و كانت الشجاعة من مختصات نبى اللّه موسى وحده؟!

و أخيرا، كيف يخاف نبينا هنا، و اللّه تعالى يقول: يا مُوسى لا تَخَفْ إِنِّى لا يَخافُ لَدَىَّ الْمُرْسَلُونَ «۱».

قد ورد ان زرارة بن أعين سأل الإمام الصادق «عليه السلام»: كيف لم يخف رسول اللّه (ص) فيما يأتيه من قبل اللّه أن يكون مما ينزع به الشيطان؟ فقال: ان اللّه إذا اتخذ عبدا رسولا أنزل عليه السكينة و الوقار، فكان الذى يأتيه من قبل اللّه مثل الذى يراه بعينه «۲».

إشارة:

هذا، و من المضحك المبكى هنا: أن نجد البعض يحاول أن يستدل بهذه الرواية على رأى يكذبه العقل و النقل، و بالذات يكذبه نص القرآن الكريم؛ فنراه يجعل ذلك دليلا على جواز التكليف بما لا يطاق «۳»- كما هو مذهبهم- الأمر الذى يصادم العقل و الفطرة، و يخالف القرآن، كما فى قوله تعالى: لا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْساً إِلَّا وُسْعَها «۴»، و قوله: وَ ما جَعَلَ

موسى عليه السلام، و صحيح مسلم ج ۷ ص ۱۰۰ باب فضائل موسى، و مسند أحمد ج ۲ ص ۳۱۵، و مصنف الحافظ عبد الرزاق ج ۱۱ ص ۲۷۴، و سنن النسائى ج ۴ ص ۱۱۸، و تاريخ الطبرى ج ۱ ص ۳۰۵، و البدآية و النهاية ج ۱ ص ۳۱۷، و الغدير ج ۱۱ ص ۱۴۰ و ۱۴۱ عن بعض من تقدم، و عن: مختصر تذكرة القرطبى للشعرانى ص ۲۹، و العرائس للثعلبى ص ۱۳۹. و كشف الأستار عن مسند البزار ج ۱ ص ۴۰۴ و مجمع الزوائد ج ۸ ص ۲۰۴.

(۱) النمل/ ۱۰.

(۲) تفسير العياشى ج ۲ ص ۲۰۱ و البحار ج ۱۸ ص ۲۶۲.

(۳) فتح البارى ج ۸ ص ۵۵۱، و إرشاد السارى ج ۱ ص ۶۳.

(۴) البقرة: ۲۸۶.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۲،ص:۲۹۸

عَلَيْكُمْ فِى الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ «۱»، و قوله: يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ، وَ لا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ «۲» و غير ذلك كثير.

رابعا: حول ما يذكر من خوفه «صلى اللّه عليه و آله و سلم»، و دور زوجته و ورقة و غيرهما فى بعث الطمأنينة فى نفسه نذكر:

ألف: كيف يجوز إرسال نبى يجهل نبوة نفسه، و يحتاج فى تحقيقها الى الاستعانة بإمرأة، أو نصرانى؟ ألم تكن هى فضلا عن ذلك

النصرانى اجدر بمقام النبوة من ذلك الخائف المرعوب الشاك؟

و حتى لو قبلنا ذلك، فمن أين علم: أن تلك المرأة و ذلك الرجل قد صدقاه، و قالا الحقيقة؟

و لماذا لم يستطع هو أن يدرك ما ادركته تلك المرأة، و ذلك النصرانى؟! أم يعقل أن يكون كلاهما أكبر عقلا و أكثر معرفة باللّه و تفضلاته منه؟!- نعوذ باللّه من الزلل فى القول و العمل.

و إذا جاز أن يرتاب هو مع معاينته لما يأتيه من ربه، فكيف ينكر على من ارتاب من سائر الناس، مع عدم معاينتهم لشيء من ذلك؟!.

قال السندى: «مقتضى جواب خديجة، و الذهاب الى ورقة: أن هذا كان منه على وجه الشك. و هو مشكل بأنه لما تم الوحى صار نبيا، فلا يمكن أن يكون شاكا بعد فى نبوته، و فى كون الجائى عنده ملكا من اللّه، و كون المنزل عليه كلام رب العالمين»!!

ثم حاول السندى توجيه ذلك بأنه (ص) أراد اختبار خديجة، و أن يمهد لاعلامها بالامر «۳».

---

(۱) الحج: ۷۸.

(۲) البقرة: ۱۸۵.

(۳) حاشية السندى بهامش البخارى ط سنة ۱۳۰۹ ه ج ۱ ص ۳.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۲،ص:۲۹۹

و هو توجيه عجيب، فإننا لم نعهد منه (ص) إتباع مثل هذه الأساليب الملتوية فى الوصول الى مقاصده و نحن نجله (ص) عن نسبة الكذب اليه على خديجة- معاذ اللّه، ثم معاذ اللّه!!. ثم .. كيف يتناسب ذلك مع كونه أراد أن يلقى نفسه من شواهق الجبال، و غير ذلك مما تقدم مما ذكرته روايات الوحى؟!

و أيضا، كيف يبعث اللّه رجلا، قبل أن يربيه تربية صالحة و يعده إعدادا تاما، بحيث يستطيع أن يكون فى مستوى الحدث العظيم الذى ينتظره؟! نعم، كيف أهمله هكذا، حتى إنه حين بعثته ليبدو مذعورا خائفا، ظانا بنفسه الجنون، يريد أن يلقى بنفسه من شواهق الجبال، حتى كأنه طفل تائه، يملأ قلبه الهم، يحتاج إلى من يطمئنه، و يهديه، و يأخذ بيده، و لو امرأة أو أى انسان عادى آخر؟! هذا كله عدا عن أن ذلك يدل و العياذ باللّه على ضعف إرادته، و ضآلة شخصيته.

و أين ذهبت عن ذاكرته تلك الكرامات التى كان يواجهها، دون كل أحد، كتسليم الشجر و الحجارة عليه «۱». و الرؤيا الصادقة، و غير ذلك مما ذكره المؤلفون و المؤرخون؟!.

ب: قال تعالى: «وَ قالَ الَّذِينَ كَفَرُوا: لَوْ لا نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً واحِدَةً، كَذلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤادَكَ» «۲».

و قال تعالى: «قُلْ: نَزَّلَهُ رُوحُ الْقُدُسِ مِنْ رَبِّكَ بِالْحَقِّ؛ لِيُثَبِّتَ الَّذِينَ آمَنُوا، وَ هُدىً وَ بُشْرى لِلْمُسْلِمِينَ» «۳».

و قال: «إِنِّي عَلى بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّي» «۴» و قال تعالى: «قُلْ: هذِهِ سَبِيلِي أَدْعُوا إِلَى اللَّهِ عَلى بَصِيرَةٍ أَنَا وَ مَنِ اتَّبَعَنِي» «۵».

---

(۱) سيرة ابن هشام ج ۱ ص ۲۳۴/ ۲۳۵.

(۲) الفرقان: ۳۲.

(۴) الأنعام: ۵۷.

(۳) النحل: ۱۰۲.

(۵) يوسف: ۱۰۸.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۲،ص:۳۰۰

إذن، فالنبوة، و تنزيل القرآن، ليس إلا لتثبيت المؤمنين، و لتثبيت فؤاد النبى (ص)، و هذا يتنافى مع قولهم: إن نفسه الشريفة قد سكنت

اعتمادا على قول نصرانى، أو امرأة.

كما أن من الواضح: أنه لا حجة بينة فى قول ورقة، أو خديجة، فكيف صح أن يقول: قل هذه سبيلى أدعو إلى اللّه على بصيرة أنا و من اتبعنى.

و خامسا: لابد من الاشارة إلى بعض الكلام حول ورقة، و نسطور، و عداس، و بحيرا و غيرهم، ممن ذكرت اسماؤهم فيما تقدم، و عمدة الروايات تتجه نحو ورقة، و تركز عليه. لا سيما و أنه هو الذى نص عليه البخارى، و غيره من المصادر الموثوقة لدى غير الشيعة.

۱- أما نسطور، و بحيرا، فهما الراهبان اللذان تنسب اليهما القضية التى جرت للنبى (ص) فى صغره، حينما سافر مع أبى طالب إلى الشام، و بصرى حيث بشر نسطور أو بحيرا بنبوة النبى (ص)، و أمر بإعادته (ص) إلى مكة كما تقدم.

و إذا كان بحيرا أو نسطور فى بصرى- و هى قصبة كورة حوران فى الشام من اعمال دمشق- فيرد السؤال: كيف سافرت خديجة من مكة إلى الشام هذه السفرة الطويلة؟، أو متى كتبت إليه فاجابها. مع أنهم يقولون:

إنه (ص) بعث فى أول يوم، فأسلم على و خديجة «عليها السلام» فى اليوم الثانى، و صليا معه مسلمين مؤمنين بنبوته «۱».

---

(۱) مستدرك الحاكم ج ۳ ص ۱۱۲ و تلخيصه للذهبى بهامش نفس الصفحة و فرائد السمطين ج ۱ ص ۲۴۳. و الاستيعاب (مطبوع بهامش الإصابة) ج ۳ ص ۳۲ و المناقب للخوارزمى ص ۲۱ و الجامع الصحيح ج ۵ ص ۶۴۰ و تفسير الوصول ج ۲ ص ۱۴۷.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۲،ص:۳۰۱

و هل كان فى ذلك الزمان طائرات؟، أو أنها سافرت على بساط الريح، أو طويت لها الأرض؟! و لا ندرى، فلعلهم قد انتقلوا ليسكنوا قرب مكة، لتتمكن خديجة من استشارتهم فى الوقت المناسب، ثم لا يعود يسمع لهما ذكر أصلا، لأن مهمتهما قد انتهت (!!!).

۲- و عداس، اليس هو الذّى اسلم على يد النبى (ص) فى الطائف بعد عشر سنين من البعثة أى بعد وفاة أبى طالب «عليه السلام».

و تروى القصة بنحو يدل أن عداسا لم يكن يعرف النبى (ص) قبل ذلك «۱» و لا سمع به.

كما أن الروايات تنص على أن جوابه هو نفس جواب ورقة، و على أنه كان- كورقة- راهبا، كبير السن، قد وقع حاجباه على عينيه، و قد ثقل سمعه إلخ ... و هذه الأوصاف يشاركه فيها غيره ممن سألتهم خديجة ما عدا ثقل السمع، الذى عوض عنه ورقة المسكين بالعمى ...

و احتمال أن يكون عدّاس هذا غير ذاك، ليس له ما يؤيده، أو يشير اليه.

و يبقى هنا سؤال أخير، و هو: أنه كيف لم يسمع باسلام هؤلاء:

بحيرا، و عداس، و نسطور، من حين بعثته (ص)، مع معرفتهم بان النبى (ص) قد بعث، و مع أن سند نبوته قد تلقاه (ص) منهم، حسب نص الروايات المتقدمة؟ ...

كما أن رواية عداس تقول: إنه لما عادت خديجة من عند عداس، اذا بجبرئيل يقرىء النبى (ص) سورة القلم. و هذا مخالف لما يذكره المفسرون: من أن هذه السورة إنما نزلت حينما وصف المشركون النبى (ص) بأنه مجنون «۲»، و واضح: أن هذا لم يحصل إلا بعد انتهاء

---

(۱) سيأتى ذلك فى الجزء الثالث من هذا الكتاب فى فصل: الهجرة إلى الطائف.

(۲) الدر المنثور ج ۶ ص ۲۵۰، و السيرة الحلبية ج ۱ ص ۲۴۴.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۲،ص:۳۰۲

فترة الدعوة السرية، و حينما صدع بما يؤمر به، كما هو معلوم.

۳- أما ورقـة: فانهم بالاضافة إلى ما ينسبونه اليه من دور هام فى تثبيت نبوة نبينا الأعظم (ص)، نجدهم يذكرون: أنه (ص) قد قال عن ورقة كلاما يدل على أنه فى الجنة، و لكنهم اختلفوا فى نص ذلك الكلام.

ففى روايـة انه (ص) قال: «لا تسبوا ورقـة فانى رأيت له جنـة، أو جنتين ...» أو «رأيته فى ثياب بيض» و فى أخرى: «لقـد رأيت القس- يعنى ورقة- فى الجنة عليه ثياب الحرير.» و فى ثالثة: «أبصرته فى بطنان الجنة و عليه ثياب السندس». و فى رابعة: «قد رأيته فرأيت عليه ثيابا بيضا، و أحسبه لو كان من أهل النار لم تكن عليه ثياب بيض» «۱».

و عده ابن مندة فى الصحابة، و عدّه الزين العراقى على: أنه أول من أسلم، و مال إليه البلقينى «۲».

و تقدم فى الروايات حول بدء الوحى، التى هى موضع المناقشة:

أنه صدق النبى (ص)، و عرّفه أنه نبى، و وعده النصر، ثم لم ينشب أن توفى.

هذا ما قيل عنه، و لكننا نجد فى مقابل ذلك:

۱- ان ابن عساكر يقول: «لا أعرف أحدا قال: إنه اسلم» «۳».

۲- و ابن الجوزى يقول انه: «آخر من مات فى الفترة، و دفن فى

---

(۱) راجع تلكـم النصـوص فى مسـتدرك الحـاكم ح ۲ ص ۶۰۹ و تلخيصـه للـذهبى هـامش نفسه الصـفحة، و صـححاه على شـرط الشيخين، و سيرة مغلطاى ص ۱۵ عن الحاكم، و المصنف ج ۵ ص ۳۲۴، و نسب قريش لمصعب الزبيرى ص ۲۰۷، و البداية و النهاية ج ۳ ص ۹، و الروض الأنف ج ۱ ص ۲۷۵، و السيرة الحلبية ج ۱ ص ۲۵۰، و أسد الغابة ج ۵ ص ۸۹، و الإصابة ج ۳ ص ۶۳۵، و غير ذلك.

(۲) شرح بهجة المحافل ج ۱ ص ۷۴، و إرشاد السارى ج ۱ ص ۶۷.

(۳) الإصابة ج ۳ ص ۶۳۳.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۲،ص:۳۰۳

الحجون، فلم يكن مسلما.» و كذا قال غيره «۱».

۳- و ابن عباس يقول: «مات على نصرانيته» «۲».

۴- لقد مات على نصرانيته، مع أنه عاش بعد البعثة عدة سنوات، فكيف يدخل الجنة إذن. و يدل على أنه عاش بعد البعثة عدة سنوات، مـا رواه غير واحـد، من أنه كـان يمر ببلالـ و هو يعـذب، و نهـاهم عنه فلم ينتهوا؛ فقـال: و اللّه، لئن قتلتموه لأتخـذن قبره حنانـا «۳» و تعذيب بلال إنما كان بعد الاعلان بالدعوة كما هو معروف.

و كيف يصح قول البعض: إنه مات بعد النبوة و قبل الرسالة «۴»؟!.

و قد اسلم على و خديجة، وصليا ثانى يوم البعثة، بدعوة منه (ص)، فلماذا بقى ورقة على نصرانيته هذه السنين المتعددة.

هـذا، عـدا عن أن البعض قـد اسـتنتج مما رواه البخارى و غيره، من أن سورة المـدثر كانت أول ما نزل عليه (ص)، و بالذات من قوله: «قم فأنذر»- استنتج-: أن البعثة كانت مقترنة بالنبوة «۵».

۵- قال فى الامتاع و غيره: إن ورقة قد توفى فى السنة الرابعة

---

(۱) الإصابة ج ۳ ص ۶۳۴، و السيرة النبوية لدحلان ج ۱ ص ۸۳/ ۸۴ و السيرة الحلبية ج ۱ ص ۲۵۰.

(۲) السيرة الحلبية ج ۱ ص ۲۵۰، و الإصابة ج ۳ ص ۶۳۴.

(۳) حلية الأولياء ج ۱ ص ۱۴۸، و نسب قريش لمصعب ص ۲۰۸، و إرشاد السارى، ج ۱ ص ۶۷، و فتح البارى ج ۱ ص ۲۶، عن ابن

إسحاق، و ج ۸ ص ۵۵۴، و السيرة النبوية لدحلان ج ۱ ص ۸۴ و ۱۲۵، و السيرة الحلبية ج ۱ ص ۲۵۲، و الإصابة ج ۳ ص ۶۳۴، و ليراجع نهاية ابن الأثير ج ۱ ص ۲۶۶، و السيرة النبوية لابن كثير ج ۱ ص ۴۹۲.

(۴) السيرة النبوية لدحلان ج ۱ ص ۸۴ و غيره.

(۵) السيرة الحلبية ج ۱ ص ۲۵۱.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۲،ص:۳۰۴

للمبعث أو بعد تتابع الوحى «۱».

۶- نقل عن الواقدى: أنه توفى بعد الأمر بالقتال «۲»- و كان ذلك بعد الهجرة.

و عليه فكيف يكون ورقة فى الجنة عليه ثياب السندس أو الحرير؟!- و كيف يكون هو فى الجنة، و أبو طالب حامى الاسلام و الدين فى ضحضاح من نار؟!.

و بعد ذلك كله، فاننا لم نفهم سبب تردد النبى (ص) فى أن يكون له جنة او جنتان، و لا نفهم أيضا، لماذا قال: و أحسبه لو كان من أهل النار لم يكن عليه ثياب بيض. أم لعله نسى أنه قد قال: إنه رآه فى الجنة عليه ثياب السندس أو الحرير؟! أو أن النبى نفسه (ص) قد ترقى و تدرج فى التعرف على مالورقة من مقام؟! أم أن ورقة نفسه قد ترقى فى مدارج القرب و الزلفى؟!.

و أخيرا، فاننا لا ندرى بعد ورود تلك الأقوال فيه لماذا لم يحكم المسلمون جميعا بأنه أول من أسلم، لا على و لا خديجة، و لا غيرها؟! و لماذا لا يعدونه من جملة الصحابة؟!.

و كيف يقولون: إنه توفى و هو على نصرانيته، ثم كيف يدخل هذا النصرانى الجنة؟!.

كانت تلك بعض الاسئلة التى تحتاج إلى جواب. و أنى؟!.

وثمة أسئلة أخرى:

هذا غيض من فيض مما يرد على تلك الروايات، و بقى فيها الكثير

---

(۱) السيرة الحلبية ج ۱ ص ۲۵۰ و ۲۵۲ عن كتاب الخميس عن الصحيحين، و السيرة النبوية لدحلان ج ۱ ص ۸۴.

(۲) إرشاد السارى ج ۱ ص ۶۷.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۲،ص:۳۰۵

من الاسئلة، التى تحتاج إلى جواب:

فمثلا: حول ذهاب الملك حينما كشفت خديجة قناعها، و أدخلته (ص) بين درعها و جلدها.

يرد سؤال: إنه هل كان الحجاب فى ذلك الوقت مفروضا تلتزم به النساء؟، و كيف؟ و هم يقولون: إن الحجاب قد فرض فى المدينة بعد الهجرة؟ و بعد وفاة خديجة (عليها السلام)؟! فكيف إذن أدركت خديجة أن الملك يذهب إذا كانت بلا قناع؟!.

و أيضا هل الملك مكلف بعدم النظر إلى نساء البشر؟! و هل للملك شهوة كشهوة الانسان لابد من الاحتراس منها؟ و من أين عرفت خديجة كل ذلك.

إلى غير ذلك من الاسئلة الكثيرة التى لن تجد لها عند هؤلاء الجواب المقنع و المفيد.

و من الطعن فى النبوة أيضا:

و بالمناسبة، فان كل ما تقدم لم يكفهم، بل زادوا عليه قولهم: إنه قد كان للنبى (ص) عدو من شياطين الجن يسمى الابيض، كان يأتيه فى صورة جبرئيل، و لعله هو الشيطان الذى أعانه اللّه عليه فاسلم- كما يقولون «۱».

و شيطانه هذا الذى اسلم كان يجرى منه مجرى الدم «۲».

---

(۱) السيرة الحلبية ج ۱ ص ۲۵۳، و راجع: إحياء علوم الدين ج ۳ ص ۱۷۱ و فى هامشه عن مسلم، و الغدير ج ۱۱ ص ۹۱ عنه، و المواهب اللدنية ج ۱ ص ۲۰۲، و مشكل الآثار ج ۱ ص ۳۰، و راجع حياة الصحابة ج ۲ ص ۷۱۲ عن مسلم و عن المشكاة ص ۲۸۰ و راجع: المحجة البيضاء ج ۵ ص ۳۰۲/ ۳۰۳.

(۲) مشكل الآثار ج ۱ ص ۳۰.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۲،ص:۳۰۶

و كان يدعو اللّه بأن يخسأ شيطانه؛ فلما اسلم ذلك الشيطان ترك ذلك «۱».

و رووا انه عرض للنبى (ص) فى صلاته قال: فأخذت بحلقه فخنقته فانى لأجد برد لسانه على ظهر كفى «۲».

و يروون أيضا: أنه (ص) قد صلى بهم الفجر، فجعل يهوى بيديه قدامه، و هو فى الصلاة؛ و ذلك لأن الشيطان كان يلقى عليه النار؛ ليفتنه عن الصلاة «۳».

و نقول:

و نحن لا نشك فى أن هذا كله من وضع أعداء الدين؛ بهدف فسح المجال أمام التشكيك فى النبوة، و فى الدين الحق. و قد أخذه بعض المسلمين- لربما- بسلامة نية، و حسن طوية، و بلا تدبر أو تأمل، سامحهم اللّه، و عفا عنهم.

و الغريب فى الأمر: اننا نجدهم فى مقابل ذلك يروون عنه (ص) قوله لعمر: «و الذى نفسى بيده ما لقيك الشيطان قط سالكا فجا، إلا سلك فجا غير فجك «۴»»، و قوله له: «إن الشيطان ليخاف او ليفرق منك يا

---

(۱) المصدر السابق.

(۲) مسند أبى يعلى ج ۱ ص ۵۰۶ و ۳۶۰ و مسند أبى عوانة ج ۲ ص ۱۴۳ و السنن الكبرى ج ۲ ص ۲۶۴ و مسند أحمد ج ۲ ص ۲۹۸ و أخرجه البخارى فى مواضع من صحيحه، و ثمة مصادر كثيرة أخرى و راجع الغدير ج ۸ ص ۹۵.

(۳) المصنف ج ۲ ص ۲۴، و راجع: البخارى ط سنة ۱۳۰۹ ه ج ۱ ص ۱۳۷، و ج ۲ ص ۱۴۳.

(۴) صحيح مسلم ج ۷ ص ۱۱۵، و البخارى ط سنة ۱۳۰۹ ج ۲ ص ۱۴۴ و ۱۸۸، و مسند أحمد ج ۱ ص ۱۷۱ و ۱۸۲ و ۱۸۷. و الرياض النضرة ج ۲ ص ۲۹۹ و شرح النهج للمعتزلى ج ۱۲ ص ۱۷۸ و الغدير ج ۸ ص ۹۴.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۲،ص:۳۰۷

عمر «۱»» و قوله: «إن الشيطان لم يلق عمر منذ اسلم إلا- خر لوجهه «۲»» و عن مجاهد: كنا نتحدث، أو نحدث: ان الشياطين كانت مصفدة فى امارة عمر، فلما أصيب بثّت «۳».

و صارع عمر الشيطان مرات، و فى كل مرة يصرعه عمر «۴».

هذا عمر! و هذه حالة الشيطان معه! و ذلك هو نبى الاسلام الاعظم (ص)، و تلك هى حالته مع الشيطان، عند هؤلاء، الذين تروق لهم مثل هذه الترهات، و يتقبلونها من اعداء الاسلام، و المتاجرين به بسذاجة هى إلى الغباء أقرب.

و لربما يكون الدافع لدى بعضهم أن يجد لأبى بكر الذى قال حين أصبح خليفة: إن له شيطانا يعتريه أن يجد له نظيرا، و لكن من مستوى لا يدانى و لا يجارى؛ فوقع اختياره على النبى الاعظم (ص)، ليكون هو ذلك النظير؛ فانا للّه و إنا إليه راجعون.

ما هو الصحيح فى قضية بدء الوحى:

و الذى نطمئن إليه هو أنه قد أوحى إلى النبى (ص)، و هو فى غار حراء فرجع إلى أهله مستبشرا مسرورا بما اكرمه اللّه به، مطمئنا إلى

---

(۱) صحيح الترمذى كتاب ۴۶ باب ۱۷ و فيض القدير عنه و عن أحمد و ابن حبان.

و راجع تاريخ عمر ص ۳۵. و الغدير ج ۸ ص ۹۶.

(۲) عن فيض القدير ج ۲ ص ۳۵۲ عن الطبرانى و ابن مندة، و أبى نعيم، و الإصابة ج ۴ ص ۳۲۶ عنهم.

(۳) منتخب كنز العمال، هامش مسند أحمد ج ۴ ص ۳۸۵/ ۳۸۶، عن ابن عساكر و حياة الصحابة ج ۳ ص ۶۴۷ عن المنتخب.

(۴) حياة الصحابة ج ۳ ص ۶۴۶ عن مجمع الزوائد ج ۷ ص ۷۱ عن الطبرانى و صحح بعض طرقه، و عن أبى نعيم فى الدلائل ص ۱۳۱.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۲،ص:۳۰۸

المهمة التى أوكلت إليه- كما يرويه ابن اسحاق، و اشارت إليه الرواية الأخيرة التى تقدمت عند ذكر نصوص الروايات- و ان كان قد زيد فيها مالا يصح- فشاركه أهله فى السرور، و اسلموا، و قد روى هذا المعنى عن أهل البيت «عليهم السلام».

فعن زرارة أنه سال الامام الصادق «عليه السلام»: كيف لم يخف رسول اللّه (ص) فيما يأتيه من قبل اللّه: أن يكون مما ينزع به الشيطان؟.

فقال: إن اللّه إذا اتخذ عبدا رسولا، أنزل عليه السكينة و الوقار، فكان الذى يأتيه من قبل اللّه، مثل الذى يراه بعينه «۱».

و سئل «عليه السلام»: كيف علمت الرسل انها رسل؟ قال: كشف عنهم الغطاء «۲».

و قال الطبرسى: «إن اللّه لا يوحى إلى رسوله إلا بالبراهين النيرة، و الآيات البينة، الدالة على ان ما يوحى إليه إنما هو من اللّه تعالى؛ فلا يحتاج إلى شىء سواها، و لا يفزع و لا يفزع، و لا يفرق «۳»».

و قال عياض: «لا يصح ان يتصور له الشيطان فى صورة الملك، و يلتبس عليه الامر، لا فى أول الرسالة و لا بعدها. و الاعتماد فى ذلك على دليل المعجزة. بل لا يشك النبى ان ما ياتيه من اللّه هو الملك، و رسوله الحقيقى، إما بعلم ضرورى يخلقه اللّه له، أو ببرهان جلى يظهره اللّه لديه؛ لتتم كلمة ربك صدقا و عدلا، لا مبدل لكلمات اللّه «۴»».

---

(۱) التمهيد فى علوم القرآن ج ۱ ص ۴۹ عن العياشى ج ۲ ص ۲۰۱، و البحار ج ۱۸ ص ۲۶۲.

(۲) التمهيد ج ۱ ص ۵۰، و البحار ج ۱۱ ص ۵۶.

(۳) مجمع البيان ج ۱۰ ص ۳۸۴، و التمهيد ج ۱ ص ۵۰ عنه.

(۴) التمهيد ج ۱ ص ۵۰ عن رسالة الشفاء ص ۱۱۲.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۲،ص:۳۰۹

لماذا الكذب و الافتعال إذن؟!

و بعد كل ما تقدم؛ فإننا نرى أن افتعال تلك الاكاذيب يعود لأسباب، أهمها:

۱- إن حديث الوحى هو من أهم الأمور التى يعتمد عليها الاعتقاد بحقائق الدين و تعاليمه. و له أهمية قصوى فى اقناع الانسان بضرورة الاعتماد فى التشريع، و السلوك، و الاعتقاد، و الاخبارات الغيبية، و كل المعارف و المفاهيم عن الكون، و عن الحياة، على

الرسل و الانبياء، و الائمة و الاوصياء، و له أهمية كبرى فى اقناعه بعصمة ذلك الرسول، و صحة كل مواقفه و سلوكه، و اقواله و افعاله. فاذا أمكن أن يتطرق الشك فى نفسه الى الوحى، على اعتبار أنه إذا لم يستطع النبى (ص) نفسه أن يفرق بين الملاك و الشيطان، و الوسوسة، و الحقيقة، و هو يعاين و يشاهد؛ فان غيره و هو لا يتيسر له الاطلاع الحسى على شىء من ذلك يكون أولى بالشك، و عدم الاعتماد.

و قد نقل الحجة البلاغى ان بعض أهل الكتاب قد نقض على المسلمين بذلك فقال: «الشيطان قرين محمد، و تشبث بنقله عن بعض المفسرين قولهم: إنه كان لرسول اللّه عدو من شياطين الجن، كان يأتيه بصورة جبرئيل. و انه يسمى الابيض «۱»».

و بعد هذا، فاننا نستطيع أن نعرف سر محاولات أعداء الاسلام الدائبة للتشكيك فى اتصال نبينا الاعظم (ص) باللّه تعالى، فافتعلوا الكثير مما رأوه مناسبا لذلك، من الوقائع و الأحداث التى رافقت الوحى فى مراحله الأولى، أو حرفوه و حوروه حسب أهوائهم، و خططهم، و مذاهبهم،

---

(۱) الهدى إلى دين المصطفى ج ۱ ص ۱۶۹ عن كتاب الهداية فى الرد على إظهار الحق، و السيف الحميدى ج ۳ ص ۵.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۲،ص:۳۱۰

على اعتبار أنها فترة بعيدة نسبيا عن متناول الايدى عادة، فلما فشلوا فى ذلك حاولوا ادعاء أن ما جاء به نبينا (ص) كان نتيجة عبقريته و نبوغه، و عمق تفكيره، و معرفته بطرق استغلال الظروف، و انتهاز الفرص. و ليس لأجل اتصاله بالمبدأ الاعلى تبارك و تعالى.

و هكذا، فاننا نستطيع أن نتهم يد أهل الكتاب فى موضوع الاحداث غير المعقولة، التى تنسب زورا و بهتانا الى مقام نبينا الاعظم (ص) حين بعثته، و لا أقل من تشجيعهم لمثل هذه الترهات.

۲- كما أنه لابد أن يحتاج نبينا (ص) إليهم لإمضاء صك نبوته، و تصديق وحيه، و يكون مدينا لهم، و على كل مسلم أن يعترف بفضلهم، و بعمق وسعة اطلاعهم، و معرفتهم بأمور لا يمكن أن تعرف إلا من قبلهم؛ فكان اختراع هذا الدور لورقة، و عداس، و بحيرا، و ناصح، و نسطور، و كلهم من أهل الكتاب!!.

۳- و اما سؤال: لماذا اختص نبينا الاعظم (ص) بكل تلك المصاعب و الأهوال، و بهذه المعاملة السيئة من جبرائيل، حتى لقد صرح البعض: بأنه لم ينقل عن أىّ من الانبياء السابقين: أنه تعرض لمثل ذلك عند ابتداء الوحى، حتى عدّ ذلك من خصائص نبينا (ص) «۱».

إن هذا السؤال لا يبقى له وقع، إذا لاحظنا: أن بعض الامور و الأحوال غير المعقولة، قد تسربت إلى بعض المسلمين من قبل أهل الكتاب، حتى أصبحت جزءا من التاريخ، و الفقه، و العقائد و الخ. و ذلك من أجل أن يكون لنبى المسلمين نفس الحالات التى تذكر لغيره من الانبياء فى كتب اهل الكتاب.

---

(۱) بهجة المحافل ج ۱ ص ۶۲، و فتح البارى ج ۸ ص ۵۵۲، و إرشاد السارى ج ۱ ص ۶۳، و السيرة الحلبية ج ۱ ص ۲۴۲.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۲،ص:۳۱۱

و إذن، فليس غريبا أن نجد ملامح هذه القصة موجودة فى العهدين، فقد جاء فى الكتابين الذين يطلق عليهما اسما التوراة و الانجيل: أن دانيال خاف و خر على وجهه، و زكريا اضطرب، و وقع عليه الخوف، و يوحنا سقط فى رؤياه كميت، و عيسى تغيرت هيئة وجهه، و بطرس حصلت له غيبوبة و اغماء، و هكذا الحال بالنسبة ليعقوب و ابراهيم و غيرهم «۱».

و لكن ذلك لا يعنى: أننا ننكر ثقل الوحى عليه (ص): فان ذلك بحث آخر «۲». و لكننا ننكر اضطرابه و خوفه (ص)، حتى أراد أن يتردى من شواهق الجبال، و خاف على نفسه الجنون. و ننكر ما فعله به جبرئيل، حسب ما ذكرته الروايات المتقدمة، فان الظاهر ان

ذلك قد تسرب من قبل أهل الكتاب إلى المحدثين الاتقياء. أو فقل: الاغبياء! الاشقياء، كما هو الحال فى كثير من نظائر المقام، حسبما يظهر للناقد البصير، و المتتبع الخبير.

۴- انك تجد فى العهدين أن الشيطان يتصرف بالانبياء و غيرهم حتى بابن الاله بزعمهم فيقولون: إن الروح أصعد المسيح إلى البرية أربعين يوما ليجرب من قبل ابليس، فأصعده الشيطان الى جبل عال، و أراه جميع ممالك المسكونة فى لحظة من الزمان، و قال له: أعطيك هذا السلطان كله و اسجد لى إلخ «۳».

و قال فى موضع آخر: و لما اكمل ابليس كل تجربة (أى مع

---

(۱) راجع فى ذلك كله: الهدى إلى دين المصطفى، للحجة البلاغى ج ۱ ص ۱۴.

(۲) و قوله تعالى: «إِنَّا سَنُلْقِى عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا» يرى المحقق السيد مهدى الروحانى أن معناه: أن مهمة دعوة الناس إلى الحق، و ترك عاداتهم و ما هم عليه حتى يزكيهم، من أثقل الأمور و أصعبها.

(۳) إنجيل متى الإصحاح ۴ الفقرة ۳- ۱۳ و الهدى إلى دين المصطفى ج ۱ ص ۱۷۰ عنه.

المسيح) فارقه إلى حين «۱».

و يقول بولس الرسول: و لئلا أرتفع بفرط الاعلانات اعطيت شوكة فى الجسد ملاك الشيطان ليلطمنى؛ لئلا أرتفع؛ من جهة هذا تضرعت إلى الرب ثلاث مرات أن يفارقنى «۲».

و فى موضع آخر: لذلك أردنا أن نأتى أنا و بولس مرة و مرتين، و إنما عاقنا الشيطان «۳».

كما أن الانجيل يذكر: أن المسيح قد عبر عن بطرس بأنه شيطان «۴».

إلى غير ذلك مما لا مجال لتتبعه «۵».

۵- و عدا عن ذلك كله. فاننا لا نستبعد: أن يكون الهدف من جعل تلك الترهات، هو الحط من كرامة النبى الاعظم (ص)، و الطعن فى قدسيته و مقامه فى نفوس الناس، و تصويره لهم على أنه رجل عادى مبتذل، و لا أدل على ذلك من إحتياجه الى أبسط الناس حتى النساء ليرشده إلى طريق الهدى، و يدله على الحق؛ مما يدل على أنه قاصر محتاج باستمرار الى مساعدة الآخرين؛ الذين هم أحسن تصرفا و أكثر تعقلا منه.

و قد أشرنا فى تمهيد الكتاب إلى بعض ما يمكن أن يقال فى ذلك،

---

(۱) الهدى إلى دين المصطفى ج ۱ ص ۱۷۱ عن إنجيل لوقا ۱۳.

(۲) كورنتوش الثانية الإصحاح ۱۲ فقرة ۷- ۹.

(۳) تسالونيكى الأولى الإصحاح الثانى فقرة ۱۸. و الهدى إلى دين المصطفى ج ۱ ص ۱۷۲ عنه.

(۴) إنجيل متى الإصحاح ۱۶ فقرة ۲۳، و الهدى إلى دين المصطفى ج ۱ ص ۱۷۱.

(۵) راجع: الهدى إلى دين المصطفى ج ۱ ص ۱۶۹- ۱۷۳.

و قلنا: إن الظاهر هو أن تلك خطة السياسيين، الذين يريدون أن يرغموا أنوف بنى هاشم، و يبزّونهم سياسيا، من أمثال: معاوية الذى أقسم على أن يدفن ذكر النبى (ص)، و مع معاوية سائر الامويين و اعوانهم.

و من أمثال عبد اللّه بن الزبير، الذى قطع الصلاة على النبى (ص) مدة طويلة؛ لأن له أهيل سوء إذا ذكر شمخت آنافهم «۱».

۶- لقد كان الزبيريون يواجهون و ينافسون الامويين، و يعادون الهاشميين، و يحسدونهم على مالهم من شرف و سؤدد.

و اذا لا حظنا نصوص الرواية المتقدمة لقضية ورقة بن نوفل، فإن عمدة رواتها هم من الزبيريين و حزبهم،

كعروة بن الزبير، الذى اصطنعه معاوية ليضع أخبارا قبيحة فى على.

و كإسماعيل بن حكيم- مولى آل الزبير.

و كذلك وهب بن كيسان.

ثم أم المؤمنين عائشة خالة عبد اللّه بن الزبير.

ثم لا حظنا فى المقابل: أن خديجة هى بنت خويلد بن أسد، و ورقة هو ابن نوفل بن أسد، و الزبير هو ابن العوام بن خويلد بن أسد.

فتكون النسبة بين الجميع واضحة المعالم «۲»- إذا لا- حظنا ذلك كله- فإننا نستطيع أن نعرف: أنه كان لابد و أن يكون لأقارب عبد اللّه بن الزبير بن العوام بن خويلد بن أسد، و من ثم للزبيريين بشكل عام، دور حاسم فى انبعاث الإسلام، إذ لولاهم لقتل النبى (ص) نفسه، أو على الأقل لم

---

(۱) تقدمت مصادر ذلك حين الكلام على حلف الفضول فراجع.

(۲) لكن من الواضح: أن كون ورقة هو ابن عم خديجة؛ يبعد كون ورقة شيخا كبيرا، قد وقع حاجباه على عينيه، كما تزعم النصوص المتقدمة.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۲،ص:۳۱۴

يستطع أن يكتشف نبوة نفسه.

و إذا كان للزبيريّين هذا التاريخ المجيد، فليس للأمويين أن يفخروا عليهم بخلافة عثمان، و ليس للهاشميين أن يفخروا بمواقف أبى طالب، و ولده على أمير المؤمنين «عليه السلام».

و إذن، فلا بد من دعوى: أن ورقة قد تنصر، و أنه كان يكتب من الإنجيل بالعبرانية ماشاء، إلى آخر ما قيل و يقال فى ذلك.

النتيجة:

و هكذا فإن النتيجة تكون هى: أن الأمويين يستفيدون من افتعال القصة على هذا النحو، و يحققون أعز أهدافهم و أغلاها، كما أن الزبيريين أيضا يستفيدون منها، أما أهل الكتاب فيكون لهم منها حصة الأسد.

و بذلك ينعقد الإجماع من قبل مسلمة أهل الكتاب، الذين لم يسلموا و لكنهم إستسلموا، إلى جانب منافقى هذه الأمة و طلقائها، و طلاب الدنيا، فأدخلوا فى الإسلام من إسرائيليات أولئك، و ترهات هؤلاء كل غريبة؛ و نسبوا إلى نبى الإسلام كل عجيبة، بعد أن نجحوا فى إبعاد أهل البيت «عليهم السلام» عن موقعهم الذى جعله اللّه سبحانه لهم، ليحتل القصاصون و أذناب الحكام محلهم، و كانت هذه الجريمة النكراء حينما التقت المصالح و الأهواء، و اجتمعت على هذا الأمر، فلماذا لا يدلى كل بدلوه؟ أو كيف لا تشجع أمثال هذه الترهات و الأباطيل.

عصمنا اللّه من الزلل، فى القول و العمل.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۲،ص:۳۱۵

الفصل الثالث: الدعوة فى مراحلها الاولى

اشارة

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۲،ص:۳۱۷

أول من أسلم:

إن أول من أسلم، و اتبع و صدق، و آزر و ناصر، هو أمير المؤمنين، و إمام المتقين، على بن أبى طالب صلوات اللّه و سلامه عليه و على أبنائه الأئمة الطاهرين.

و أورد العلامة الأمينى فى كتابه القيم «۱»: أقولا عن العشرات من كبار الصحابة، و التابعين، و غيرهم من الأعلام، و عن العشرات من المصادر غير الشيعية، تؤيد و تؤكد على ان أمير المؤمنين «عليه السلام» هو أول الأمة اسلاما.

و من هؤلاء الأعلام: ۱- على «عليه السلام» نفسه، ۲- الإمام الحسن «عليه السلام»، ۳- الإمام الباقر «عليه السلام»، ۴- عمر بن الخطاب، ۵- سلمان الفارسى، ۶- أنس بن مالك، ۷- إبن عباس، ۸- أبوذر، ۹- المقداد بن عمرو، ۱۰- خباب بن الارت، ۱۱- جابر بن عبد اللّه الأنصارى، ۱۲- أبو سعيد الخدرى، ۱۳- حذيفة بن اليمان،

---

(۱) راجع: الغدير ج ۳ ص ۹۵ و ۹۶ و ۹۹ و ۲۲۴- ۲۳۶ و ج ۱۰ ص ۱۵۶ و ۱۵۸ و ۱۶۴ و ۱۶۸ و ۲۹۰ و ۳۲۲ و ج ۹ ص ۱۱۵ و ۱۲۲ و راجع دلائل الصدق، و الأوائل للطبرانى ص ۷۸/ ۷۹.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۲،ص:۳۱۸

۱۴- عبد اللّه بن مسعود، ۱۵- أبو أيوب الأنصارى، ۱۶- خزيمة بن ثابت «ذو الشهادتين»، ۱۷- عمرو بن العاص، ۱۸- سعد بن أبى و قاص، ۱۹- زيد بن أرقم، ۲۰- محمد بن أبى بكر، ۲۱- جرير بن عبد اللّه البجلى، ۲۲- بريدة الأسلمى، ۲۳- عفيف الكندى، ۲۴- أبو رافع، ۲۵- أبو مرازم، ۲۶- هاشم المرقال، ۲۷- عبد اللّه بن حجل، ۲۸- ابو عمرة «بشير بن محصن»، ۲۹- عبد اللّه بن خباب بن الارت، ۳۰- عبد اللّه بن بريدة، ۳۱- مالك الأشتر، ۳۲- عدى بن حاتم، ۳۳- محمد بن الحنفية، ۳۴- طارق بن شهاب الأحمسى، ۳۵- عبد اللّه بن هاشم المرقال، ۳۶- عمرو بن الحمق، ۳۷- سعيد بن قيس الهمدانى، ۳۸- عبد اللّه بن أبى سفيان، ۳۹- كعب بن زهير، ۴۰- ربيعة بن الحرث بن عبد المطلب، ۴۱- الفضل بن أبى لهب، ۴۲- أبو الأسود الدؤلى، ۴۳- جندب بن زهير، ۴۴- مالك بن عبادة، ۴۵- زفر بن يزيد بن حذيفة الأسدى، ۴۶- النجاشى بن الحارث بن كعب، ۴۷- عبد اللّه بن حكيم، ۴۸- عبد الرحمن بن حنبل، ۴۹- عامر الشعبى، ۵۰- الحسن البصرى، ۵۱- قتامة، ۵۲- إبن شهاب الزهرى، ۵۳- محمد بن المكندر، ۵۴- أبو حازم سلمة بن دينار، ۵۵- ربيعة بن عبد الرحمن، ۵۶- محمد بن السائب الكلبى، ۵۷- جنيد بن عبد الرحمن، ۵۸- محمد بن إسحاق، ۵۹- الوليد بن جابر، و زاد العسقلانى: ۶۰- عبد اللّه بن فضالة المزنى، ۶۱- عمر بن مرة الجهنى «۱».

بعض ما جاء فى سبق على الى الإسلام:

هذا كله، عدا عن الكثير من الروايات الواردة عن النبى الأعظم «صلى اللّه عليه و آله و سلم»، و كلمات أمير المؤمنين نفسه، و عدا

---

(۱) الإصابة ج ۲ ص ۳۵۷/ ۳۵۸.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۲،ص:۳۱۹

عن كلمات الصحابة و التابعين و أشعارهم، بل لقد ادعى البعض الإجماع عليه «۱».

و لعل حصر ذلك متعذر على أى باحث و متتبع، و لذا فلا محيص لنا عن الإكتفاء بأمثلة قصيرة لتكون عنوانا و إشارة لغيرها من الكثير

الطيب الذى لم نذكره. و نحيل القارىء الى ما كتبه العلامة الأمينى «۲» فليراجعه إن أراد.

فإنهم يقولون:

لقد بعث النبى «صلى اللّه عليه و آله و سلم» يوم الإثنين، و أسلم على «عليه السلام» يوم الثلاثاء «۳».

و مما ورد عن النبى الأعظم «صلى اللّه عليه و آله و سلم» بسند صحيح قوله: أولكم وروودا على الحوض، أولكم إسلاما على بن أبى طالب «۴».

و عنه «صلى اللّه عليه و آله و سلم»: إنه لأول أصحابى إسلاما، أو أقدم أمتى سلما «۵».

---

(۱) راجع: الصواعق المحرقة الفصل الأول، الباب التاسع، و معرفة علوم الحديث للحاكم ص ۲۲.

(۲) راجع: الغدير ج ۳ ص ۲۲۰- ۲۴۳ و ج ۱۰ ص ۱۵۸- ۱۶۲.

(۳) راجع: الأوائل ج ۱ ص ۱۹۵.

(۴) مستدرك الحاكم ج ۳ ص ۱۳۶ و صححه، و تاريخ بغداد للخطيب ج ۲ ص ۸۱، و الاستيعاب هامش الإصابة ج ۳ ص ۲۸ و شرح النهج للمعتزلى و السيرة الحلبية، و السيرة النبوية لدحلان، و مناقب الخوارزمى، و الغدير ج ۳ ص ۲۲۰ عنهم فراجعه، و الآحاد و المثانى، مخطوط فى مكتبة كوپر لى رقم ۲۳۵.

(۵) الغدير ج ۳ ص ۹۵/ ۹۶ عن: مسند أحمد ج ۵/ ۲۶ و الاستيعاب ج ۳ ص ۳۶، و الرياض النضرة، و مجمع الزوائد، و المرقاة، و كنز العمال، و السيرة النبوية لدحلان،

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۲،ص:۳۲۰

و عنه أنه أخذ بيد على «عليه السلام»، فقال: هذا أول من آمن بى، و هذا أول من يصافحنى يوم القيامة، و هذا الصديق الأكبر «۱».

و عنه «صلى اللّه عليه و آله و سلم»: هذا أول من آمن بى، و صدقنى، و صلى معى «۲».

و عنه «صلى اللّه عليه و آله و سلم»: إن أول من صلى معى على «۳».

تصريحات أمير المؤمنين «عليه السلام» فى ذلك:

و على «۴» نفسه يصرح فى كثير من المناسبات بذلك؛ فيقول عن نفسه: إنه لم يسبقه أحد فى الصلاة مع رسول اللّه، و أنه أول من أسلم مع رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله و سلم» و أنه الصديق الأكبر «عليه السلام»، و أنه لا يعرف أحدا فى هذه الأمة عبد اللّه قبله غير النبى «صلى اللّه عليه و آله و سلم». و أنه صلى قبل أن يصلى الناس سبع سنين «۵».

و لعل المراد التعبد مع النبى «صلى اللّه عليه و آله و سلم» قبل البعثة بسنتين، أو خمس سنين؛ حيث بدأت إرهاصات النبوة، ثم يضم إليها

و السيرة الحلبية، و ليراجع: مستدرك الحاكم ج ۳، و المنمق، و جمع الجوامع و مجمع الزوائد ج ۹ ص ۱۰۲ عن الطبرانى عن ابن إسحاق، و قال: هو مرسل صحيح:

الإسناد، و أخرجه الطبرانى و أحمد قال الهيثمى ج ۹ ص ۱۰۱ و فيه خالد بن طهمان و ثقه أبو حاتم و بقية رجاله ثقات.

(۱) الغدير ج ۲ ص ۳۱۳ عن الطبرانى و البيهقى، و العدنى، و مجمع الزوائد و كفاية الطالب و إكمال كنز العمال و لسوف يأتى فى حديث الغار حين الكلام عن تلقيب أبى بكر بالصديق المزيد من المصادر لهذا الحديث، و فرائد السمطين ج ۱ ص ۳۹.

(۲) شرح النهج للمعتزلى ج ۱۳ ص ۲۲۵.

(۳) الغدير ج ۳ ص ۲۲۰ عن فرائد السمطين باب ۴۷ بأربعة طرق.

(۴) الغدير ج ۲ ص ۳۱۳ عن الطبرانى و البيهقى، و العدنى، و مجمع الزوائد و كفاية الطالب و إكمال كنز العمال و لسوف يأتى فى حديث الغار حين الكلام عن تلقيب أبى بكر بالصديق المزيد من المصادر لهذا الحديث، و فرائد السمطين ج ۱ ص ۳۹.

(۵) مصادر ذلك ستأتى بعد الهامش التالى.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۲،ص:۳۲۱

ثلاث أو خمس سنين فترة الدعوة الإختيارية غير المفروضة بعد البعثة.

أو لعله عبد اللّه حقا مع رسول اللّه قبل البعثة سبع سنين إذا كان قد أسلم (ع) و هو إبن إثنى عشر سنة أو حتى عشر سنين. حيث كان الرسول «صلى اللّه عليه و آله و سلم» يتعبد قبل البعثة و كان «صلى اللّه عليه و آله و سلم» على دين الحنيفية، فكان على «عليه السلام» يعبد اللّه معه «صلى اللّه عليه و آله و سلم».

إلّا أن يكون الصحيح فى الرواية هو ما ذكره إبن بطريق أنه قال:

صلت الملائكة علىّ و على على سبع سنين «۱».

و مهما يكن من أمر فإن الكلمات الدالة على هذا الأمر كثيرة، كما أنه، «عليه السلام» قد كتب هو نفسه بهذا الأمر الى معاوية، و ردده فى كلماته الكثيرة المتضافرة «۲».

دليل آخر:

و إن إحتجاجه «عليه السلام» بأنه أول من أسلم، و احتجاج أصحابه

---

(۱) كشف الغمة للإربلى ج ۱ ص ۳۳۴.

(۲) راجع هذه النصوص كلها عن أمير المؤمنين فى الغدير ج ۳ ص ۲۱۳ و ۲۲۱ و ۲۲۲ و ج ۱۰ ص ۱۵۸- ۱۶۴ و ج ۲ ص ۲۵- ۳۰ و ۳۱۴ عن: شرح النهج ج ۱ ص ۵۰۳ و ۴۰۴ و ۲۸۳ و ج ۲ ص ۱۰۲ و أبى داود بإسناد صحيح، و تاريخ بغداد للخطيب ج ۴ ص ۲۲۴، و مجمع الزوائد ج ۹ ص ۱۰۲ عن أبى يعلى، و أحمد، و البزار و الطبرانى فى الأوسط، و فرائد السمطين باب ۴۸، و الأوائل ج ۱ ص ۱۹۵ و وقعة صفين لنصر بن مزاحم ص ۳۵۵ و ۳۶۰ و ۱۳۲ و ۱۰۰ و ۱۶۸ و جمهرة الخطب ج ۱ ص ۱۷۸ و ۵۴۲ و ۴۲۸ و جمهرة الرسائل ج ۱ ص ۵۴۲، و مروج الذهب ج ۲ ص ۵۹، و تذكرة سبط ابن الجوزى ص ۱۱۵، و مطالب السؤل ص ۱۱، و المحاسن و المساوى ج ۱ ص ۳۶ و تاريخ القرمانى هامش الكامل ج ۱ ص ۲۱۸.

و ثمة مصادر أخرى فى الغدير ج ۱۰ ص ۳۲۲ فراجع.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۲،ص:۳۲۲

من الصحابة و التابعين بهذه الكثرة العجيبة على خصومهم، فى صفين و غيرها و اهتمامهم الواضح بهذا الأمر ليدل على ذلك دلالة واضحة.

و لم نجد أحدا من أعدائه «عليه السلام» حاول إنكار ذلك، أو التشكيك فيه، أو طرح إسم رجل آخر على أنه هو صاحب هذه الفضيلة دونه، رغم توفر الدواعى لذلك، و رغم أن الطرف المقابل لا يتورع حتى عن الإختلاق و الكذب على الرسول الأعظم «صلى اللّه عليه و آله و سلم»، بل على اللّه سبحانه و تعالى. فلو أنهم عرفوا: أن كذبتهم هذه تجوز على أحد لكانوا لها من المبادرين. و لكن التسالم على هذا الأمر كان بحيث لا يمكنهم معه التوسل بأية حيلة، فكل ذلك يدل على أن ذلك قد كان أمرا مسلما به و مجمعا عليه، و لا يمكن إنكاره لأحد.

و كشاهد على هذا التسالم نذكر هنا حادثة واحدة فقط، جرت لسعد بن أبى و قاص، الذى كان منحرفا عن على «عليه السلام»،- كما سيأتى فى معركة أحد إن شاء اللّه تعالى- و نترك ما عداها و هو كثير جدا.

و هذه الحادثة هى أنه:

سمع رجلا- يشتم عليا، فوقف عليه و قرره بقوله: يا هذا، علاماتشتم على بن أبى طالب؟ ألم يكن أول من أسلم؟ ألم يكن أول من صلى مع رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله و سلم»؟ ألم يكن أعلم الناس؟ إلخ «۱».

كما أن المقداد كان يتعجب من قريش لدفعها هذا الأمر عن أول المؤمنين إسلاما، يعنى عليا «۲».

---

(۱) مستدرك الحاكم ج ۳ ص ۵۰۰، و صححه هو و الذهبى فى تلخيصه هامش نفس الصفحة، و حياة الصحابة ج ۲ ص ۵۱۴/ ۵۱۵.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ج۲ ۳۲۲ دليل آخر: ..... ص : ۳۲۱

(۲) الغدير ج ۹ ص ۱۱۵ عن اليعقوبى ج ۲ ص ۱۴۰.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۲،ص:۳۲۳

خاتمة المطاف:

و أظن أن ما ذكرناه كاف و واف فى هذا المجال، و من أراد المزيد فعليه بالمراجعة إلى الكتب المعدة لذلك.

و بعد هذا، فلا يصغى لقول النواصب و الحاقدين، الذين يهتمون فى طمس فضائله «عليه السلام» بكل وسيلة، و لو عن طريق الدجل و التزوير، و منهم إبن كثير، الذى قال: «و قد ورد فى أنه أول من أسلم أحاديث كثيرة، لا يصح منها شىء «۱»».

لايا إبن كثير: لقد تجنيت على الحقيقة و على التاريخ كل التجنى، و لم تستطع أن تكتم ما يعتلج فى صدرك من إحن- فجرّك ذلك إلى المكابرة، و إلى إنكار ما يكاد يلحق بالضروريات. فإن الروايات الصحيحة و الصريحة الدالة على هذا الامر كثيرة و كثيرة جدا، كما يعلم بالمراجعة «۲».

القول بأن خديجة أول من أسلم:

و نجد فى مقابل ذلك قولا آخر مفاده: أن خديجة كانت هى السباقة إلى الإسلام و انها أول مخلوق آمن به. بل لقد ادعى البعض الإجماع على هذا القول «۳».

و لكنه قول مردود، لأن العديد من الروايات عن النبى «صلى اللّه

---

(۱) البداية و النهاية ج ۷ ص ۳۳۵.

(۲) راجع الغدير ج ۳ و إحقاق الحق، قسم الملحقات، و غير ذلك.

(۳) راجع: السيرة الحلبية ج ۱ ص ۲۶۷، و فى تهذيب الأسماء و اللغات ج ۲ ص ۱۸۲ نقل عن الثعلبى الاتفاق عليه. و قال ابن الأثير: إنها أول خلق اللّه إسلاما بإجماع المسلمين. راجع السيرة النبوية لدحلان ج ۱ ص ۹۰. و إسعاف الراغبين بهامش نور الأبصار ص ۱۴۸ و الأوائل للطبرانى ص ۸۰.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۲،ص:۳۲۴

عليه و آله و سلم»، و عن على «عليه السلام»، و عن الصحابة و التابعين تعبر بأن عليا أول من صلى، أو أول من آمن، أو أول الأمة أو

الناس إسلاما «۱»، و لا يمكن أن يكون المقصود بالأمة أو الناس خصوص الرجال بناء على هذا القول، و لا خصوص الصبيان، بناء على قول آخر يأتى.

أبو بكر، و سبقه إلى الإسلام:

و بعد كل ما تقدم نعرف: أن ادعاء سبق غير أمير المؤمنين «عليه السلام» إلى الإسلام قد جاء متأخرا عن عهد الخلفاء الأربعة، و وضع بعد وفاة أمير المؤمنين «عليه السلام»، و لربما يكون قد حصل ذلك حينما كتب معاوية إلى الأقطار يأمرهم أن لا يدعوا فضيلة لعلى إلا و يأتوه بمثلها لغيره من الصحابة «۲».

و من هنا، فإننا نعتقد: بأن القول بأولية إسلام أبى بكر، و المروى عن: ۱- إبن عباس ۲- الشعبى ۳- أبى ذر ۴- عمرو بن عبسة ۵- ابراهيم النخعى ۶- حسان بن ثابت، الذى يروى عنه قوله:

إذا تذكرت شجوا من أخى ثقةفاذكر أخاك أبا بكر و ما فعلا

خير البرية أتقاها و أعدلهاإلا النبى و أوفاها بما حصلا

و الثانى الصادق المحمود مشهدهو أول الناس منهم صدق الرسلا

عاش حميدا، لأمر اللّه متبعابهدى صاحبه الماضى و ما انتقلا «۳»

---

(۱) راجع: السيرة النبوية لدحلان ج ۱ ص ۹۱، و السيرة الحلبية ج ۱ ص ۲۶۸ و ۲۷۵ و مناقب المغازلى، و مناقب الخوارزمى، ص ۱۸- ۲۰ و الغدير ج ۳ ص ۲۲۰- ۲۳۶ و ج ۱۰ ص ۱۶۸ و ۲۹۰ و ۳۲۲ و ج ۹ ص ۳۹۲ تجد الكثير من التصريحات بذلك و كذا فى تاريخ بغداد ج ۴ ص ۲۳۳ و حلية الأولياء ج ۱ ص ۶۶ و تهذيب تاريخ دمشق ج ۳ ص ۴۰۷.

(۲) راجع: النصائح الكافية لمن يتولى معاوية من ۷۲ حتى ص ۷۴.

(۳) ديوان حسان ص ۲۹ ط أوروبا.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۲،ص:۳۲۵

نعم، إننا نعتقد: أن ذلك كله موضوع فى وقت متأخر، تزلفا للأمويين، كما أن شعر حسان هذا لا يبعد أن يكون منحولا، إذ لا يمكن أن يبادر إلى مخالفة ما كان متسالما عليه بين الأمة، و لا سيما الصحابة منهم.

كما أننا نلاحظ: أن البيتين الأخيرين، فيهما حشو ظاهر، و ليس لهما صياغة منسجمة «۱».

و لربما يقال: إنهما بعيدان عن نفس حسان، و عن شاعريته، و عن سبكه، و طريقته

و مما يدل على عدم صحة ذلك بالإضافة الى ما تقدم:

أولا: إنه قد تقدم: أن إبن عباس، و الشعبى، و أبا ذر الذين روى عنهم القول بأولية أبى بكر هم أنفسهم يقولون: إن أمير المؤمنين «عليه السلام» هو أول من أسلم. و يقول الإسكافى «۲»: إن حديثهم فى على أقوى سندا، و أشهر من الحديث الآخر المنسوب إليهم فى أبى بكر.

و أما رواية أبى ذر، و عمر بن عبسة؛ فهى مضطربة، لأنها تذكر: أن أبا ذر، و عمرو بن عبسة كلاهما ربع الإسلام، و أن بلالا أسلم قبل أبى بكر، و لا تذكر عليا «عليه السلام»، و لا خديجة، و هذا يعنى: أن بلالا قد أسلم قبل خديجة و على؛ مع أن العكس هو الصحيح، فإذا كانت خديجة رحمها اللّه و على «عليه السلام» و بلال، و عمرو بن عبسة قد أسلموا أولا؛ فأين يكون إسلام أبى بكر بعد هذا؟!

و ثانيا: إن عائشة نفسها تعترف بأن أباها كان رابعا فى الإسلام، و قد

---

(۱) فليلاحظ مثلا: كلمة منهم فى البيت الثالث.

و قوله فى الرابع: (متبعا بهدى) و قوله: و ما انتقلا إلى غير ذلك من وجوه الضعف فى السبك و الصياغة.

(۲) راجع، الغدير، و شرح النهج للمعتزلى ج ۱۳، و آخر كتاب العثمانية.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۲،ص:۳۲۶

سبقه إلى ذلك خديجة، و زيد بن حارثة، و على «عليه السلام» «۱».

و ثالثا: قد تقدم: أننا لم نجد أحدا يعترض على الصحابة، و لا على التابعين، و لا على أمير المؤمنين «عليه السلام» فى إحتجاجاتهم المتعددة على معاوية و غيره بأن عليا هو أول الأمة إسلاما- لم نجد أحدا يعترض، و يقول: بل أبو بكر هو الأول.

و ما روى من ذلك من أن أبا بكر قد احتج به، فقد فنّده العلامة الأمينى فى الغدير و اثبت أنه غير صحيح فليراجع «۲».

فإلى متى يدخرون هذه الحجة؟! و لماذا يدخرونها؟!

بل إننا لم نجد أبا بكر، و لا أحدا من أنصاره و محبيه يحتج له بأنه أول من أسلم، رغم احتياجاتهم الشديدة إلى ذلك، و لا سيما فى السقيفة؛ حيث لم يجدوا ما يحتجون به من فضائله إلا كونه كبير السن، و صاحب رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله و سلم» فى الغار- كما احتج به صاحبه عمر، و غيره ثمة «۳»- و ستأتى الإشارة إلى إحتجاجاتهم تلك حين الحديث على قضية الغار إن شاء اللّه تعالى.

هذا كله، عدا عن تصريح البعض بأن أبا بكر كان رابع أو خامس من أسلم «۴».

---

(۱) راجع: الأوائل ج ۱ ص ۲۰۲ و راجع ص ۲۰۶.

(۲) راجع: الغدير ج ۷ ص ۹۱- ۹۴ و ۲۲۴ فما بعدها.

(۳) مستدرك الحاكم ج ۳ ص ۶۶، و سنن البيهقى ج ۸ ص ۱۵۳ و الغدير ج ۵ ص ۳۶۹ و ج ۷ ص ۹۲ و ج ۱۰ ص ۷ و ۱۳ عن عدد كبير من المصادر، و كنز العمال ج ۸ ص ۱۳۹ عن ابن أبى شيبة، و عن الكنز أيضا ج ۳ ص ۱۴۰. و لسوف نذكر طائفة من المصادر حين الكلام عن قضية الغار.

(۴) راجع: سير اعلام النبلاء ج ۱ ص ۲۱۶.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۲،ص:۳۲۷

و عدا عن قول أمير المؤمنين على «عليه السلام»: أنا الصديق الأكبر، أسلمت قبل أن يسلم أبو بكر «۱».

و عدا عن الرواية التى تقول: إن العباس قد أخبر عفيفا بأنه لم يسلم سوى خديجة و على، فلو أن عفيفا أسلم حينئذ كان فى الإسلام ثانيا «۲».

و رابعا: إننا نقول: إن إسلام أبى بكر قد تأخر عن البعثة عدة سنوات و يدل على ذلك- و نحن نلزمهم بما ألزموا به أنفسهم- الأمور التالية:

۱- ما قالوه من أنه لما أسلم سماه النبى «صلى اللّه عليه و آله و سلم» صديقا «۳» مع أن تسميته هذه- كما يدّعون- إنما كانت بعد الإسراء حين صدقه أبو بكر و كذبته قريش «۴».

أو حين الهجرة فى الغار (و كلاهما لا يصح أيضا كما سيأتى فى حديث الغار إن شاء اللّه تعالى). و هم يدّعون: أن الإسراء كان بعد البعثة بإثنتى عشرة سنة و إن كنا نحن نعتقد بخلاف ذلك. و أنه كان فى السنة الثانية أو الثالثة، كما سيأتى فى الفصل الآتى.

۲- يروى البعض: أنه أسلم و آمن بعد الإسراء و المعراج فسمى يومئذ ب «الصديق» «۵» مع قولهم: أن الإسراء و المعراج كان قبل الهجرة بقليل- كما سنرى-

---

(۱) ستأتى مصادر ذلك فى أواخر الجزء الثانى من هذا الكتاب.

(۲) راجع: لسان الميزان ج ۱ ص ۳۹۵ و غير ذلك.

(۳) السيرة الحلبية ج ۱ ص ۲۷۳، و السيرة النبوية لدحلان ج ۱ ص ۸.

(۴) السيرة الحلبية ج ۱ ص ۲۷۳.

(۵) مجمع الزوائد ج ۱ ص ۷۶ عن الطبرانى فى الكبير.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۲،ص:۳۲۸

۳- لقد روى الطبرى- بسند صحيح كما يقول الأمينى «۱»- عن محمد بن سعيد، قال: قلت لأبى: أكان أبو بكر أولكم إسلاما؟ فقال: لا، و لقد أسلم قبله أكثر من خمسين «۲».

و هذا يعنى: أنه قد أسلم بعد انتهاء الفترة الإختيارية للدعوة، و بعد خروجه «صلى اللّه عليه و آله و سلم» من دار الأرقم، لأنهم قد خرجوا بعد أن تكاملوا أربعين رجلا، كما يقولون. و سيأتى ذلك إن شاء اللّه تعالى.

حين الكلام حول إسلام عمر بن الخطاب.

۴- و لسوف نذكر إن شاء اللّه فى أواخر حديث الغار: أن أبا قحافة يذكر: أن إبن مسعود قد أسلم هو و جماعة قبل إسلام أبى بكر، و إبن مسعود قد أسلم قبل إسلام عمر كما ذكره النووى فى تهذيب الأسماء و اللغات.

۵- لقد ورد: أنه «صلى اللّه عليه و آله و سلم» قد بعث و أبو بكر غائب فى اليمن، قال أبو بكر، فقدمت مكة، و قد بعث النبى «صلى اللّه عليه و آله و سلم» فجاءنى صناديد قريش. إلى أن قال: «فقالوا: يا أبا بكر، أعظم الخطب، و أجل النوائب، يتيم أبى طالب يزعم أنه نبى. و لو لا أنت- أو: و لو لا انتظارك ما انتظرنا به؛ فإذ قد جئت فأنت الغاية و الكفاية «۳»».

و الذى عند أبى هلال، عن الشعبى، عن أشياخه، منهم جرير، فى خبر طويل هو: «قال أبو بكر: فلما قدمت مكة استبشروا، و ظنوا أنه فتح عليهم بقدومى فتح، و اجتمعوا إلى، و شكوا أبا طالب، و قالوا: لولا

---

(۱) الغدير ج ۳ ص ۲۴۰.

(۲) تاريخ الطبرى ج ۲ ص ۶۰ و البداية و النهاية ج ۳ ص ۲۸ و التعجب للكراجكى ص ۳۴.

(۳) الصواعق المحرقة ص ۱۴۸ ط سنة ۱۳۲۴ ه. و السيرة الحلبية ج ۱ ص ۲۷۵، و السيرة النبوية لدحلان ج ۱ ص ۸۹ و تاريخ الخميس ج ۱ ص ۲۸۷.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۲،ص:۳۲۹

تعرّضه دونه لما انتظرنا به. قلت: و من تبعه على مخالفة دينكم؟ قالوا:

بنى أبى طالب «۱»».

و لكن لنا تحفظ على هذا النص الذى يعطى لأبى بكر منزلة كبيرة فى قريش، و هى منزلة لا يؤيد التأريخ أن أبا بكر كان قد بلغها أصلا، كما سنشير اليه فى موضعه.

۶- و عن إبن اسحاق، قال: إن أبا بكر لقى رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله و سلم»، فقال: أحق ما تقول قريش يا محمد، من تركك آلهتنا، و تسفهيك عقولنا، و تكفيرك آباءنا إلخ. ثم ذكر إسلام أبى بكر «۲».

و ان كنا نشك فى صحة هذا النص الأخير، إذ أن رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله و سلم» لم يعبد تلك الآلهة قط، فما معنى سؤاله عن ذلك؟! إلا إذا قلنا إنه لم يكن يتجاهر برفضها، فصحّ أن يسأله عن ذلك.

و يؤيد ذلك مارواه المقدسى، قال: «إسلام أبى بكر- زعم بعض الرواة: أنه كان فى تجارة له بالشام، فأخبره راهب بوقت خروج النبى

«صلى اللّه عليه و آله و سلم» من مكة، و أمره باتباعه، فلما رجع سمع رسول اللّه يدعو الى اللّه، فجاء و أسلم «۳».

و يؤيد ذلك أيضا قولهم: إن أبا بكر قال للنبى «صلى اللّه عليه و آله و سلم»: فقدت من مجالس قومك، و اتهموك بالعيب لآبائها و أمهاتها.

فدعاه «صلى اللّه عليه و آله و سلم» إلى الإسلام فأسلم «۴».

---

(۱) الأوائل للعسكرى ج ۱ ص ۱۹۴.

(۲) دلائل النبوة للبيهقى ج ۱ ص ۴۱۶/ ۴۱۷. و السيرة النبوية لابن كثير ج ۱ ص ۴۳۲/ ۴۳۳. و سيرة ابن إسحاق ص ۱۳۹.

(۳) البدء و التاريخ ج ۵ ص ۷۷.

(۴) البداية و النهاية ج ۳ ص ۲۹/ ۳۰ و السيرة النبوية لابن كثير ج ۱ ص ۴۳۹.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۲،ص:۳۳۰

فكل ذلك يدل على أن إسلام أبى بكر كان بعد الفترة السرية و بتعبير أدق بعد (فترة الدعوة الإختيارية، و غير المفروضة) التى استمرت ثلاث أو خمس سنوات.

و بعد أن أنذر عشيرته الأقربين، و بعد أن أمر بالصدع بالأمر، و دعوة الناس عامة.

و بعد تكفيره للآباء و الأمهات.

و بعد عرض قريش على أبى طالب أن يقنع ولده بالعدول عن هذا الأمر.

و بعد عرضهم عليه ولدا آخر على أن يخلى بينه و بينهم.

و بعد وقوع المواجهة بين قريش و بينه، ثم قيام أبى طالب دونه، و لو لا انتظارهم لأبى بكر ما انتظروا به. و كل ذلك يدل على أن إسلامه قد تأخر إلى السنة الرابعة أو الخامسة إن لم يكن بعد ذلك أيضا؛ فقد قال أبو القاسم الكوفى: إن أبا بكر قد أسلم بعد سبع سنين من البعثة «۱».

و لربما يكون ذلك صحيحا أو قريبا من الصحيح، إذا أخذنا بالروايات المتقدمة الدالة على أنه قد أسلم بعد اشتداد المواجهة بين الرسول و بين المشركين، و قيام أبى طالب دونه، و بعد أكثر من خمسين رجلا، فلربما يكون المراد بالخمسين هو خصوص من أسلم بعد الإعلان بالدعوة. أو بعد الهجرة الى الحبشة.

و هكذا يتضح أن القول بأن أبا بكر هو أول من أسلم لا يمكن إلا أن يكون من القول الجزاف، و الدعوى الفارغة، و من المختلقات التى افتعلت فى وقت متأخر.

---

(۱) الاستغاثة ج ۲ ص ۳۱.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۲،ص:۳۳۱

طريق جمع فاشل:

و قال البعض: الأورع أن يقال: أول من أسلم من الرجال الأحرار أبو بكر، و من الصبيان على، و من النساء خديجة، و من الموالى زيد بن حارثة، و من العبيد بلال «۱».

و هو كلام فارغ، بعد أن ثبتت أولية على «عليه السلام» على كل احد.

و قولهم: إنه أول من أسلم من الصبيان عجيب، و ذلك لما يلى:

۱- إنه قد جاء عنه «عليه السلام»، و عن غيره القول: بأنه أول رجل أسلم «۲»، مما يعنى أنه كان حينئذ رجلا بالغا. و قد قلنا: إنه قد أسلم و عمره عشر سنوات أو إثنتا عشرة سنة و من الواضح: أن الرجولية و البلوغ لا ينحصر بالسن، فإن عمرو بن العاص- كما يقولون- كان يكبر ولده عبد اللّه بإثنتى عشرة سنة فقط «۳». و الراشد باللّه قد وطأ جارية و هو إبن تسع سنين، فحملت منه كما يدّعون «۴».

كما أن ثمة أقوالا كثيرة فى سن على «عليه السلام» حين إسلامه، و قد راينا الحافظ عبد الرزاق، و ابن ابى شيبة، و الكلينى، و الحسن البصرى، و الاسكافى و غيرهم كثير، يذكرون فى سن على رقما يتراوح ما بين ۱۲ سنة الى ۱۶ سنة، و بعضهم يتجاوز ذلك ايضا، كما تقدم بيانه فى

---

(۱) السيرة الحلبية ج ۱ ص ۲۷۵، و السيرة النبوية لدحلان ج ۱ ص ۹۰ و نزهة المجالس ج ۲ ص ۱۴۷ و البداية و النهاية ج ۳ ص ۱۷ و ۲۶ و ۲۹.

(۲) و فى سيرة إبن إسحاق ص ۱۳۸: أول الرجال إسلاما. و فى مصادر أخرى: أول أصحابى إسلاما: راجع السيرة الحلبية ج ۱ ص ۲۶۸.

(۳) المعارف لابن قتيبة ص ۱۲۵ ط دار إحياء التراث العربى سنة ۱۳۹۰ ه.

(۴) السيرة الحلبية ج ۱ ص ۲۶۹.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۲،ص:۳۳۲

مبحث ولادته عليه السلام.

۲- قد ذكر غير واحد: ان البلوغ قد حدد بعد الهجرة، اى فى غزوة الخندق، فى قضية ردّ ابن عمر و قبوله فى الغزو. اما قبل ذلك فقد كان المعتمد هو التمييز و الإدراك «۱»، و عليه يدور مدار التكليف، و الدعوة الى الاسلام و الايمان و عدمه.

و لو لا ان امير المؤمنين عليه السلام كان فى مستوى الاسلام و الايمان، لم يقدم النبى الاعظم «صلى اللّه عليه و آله و سلم» على دعوته الى الاسلام، ثم قبوله منه. و الا لكان ذلك سفها، و لا يمكن صدور السفه من الرسول الاكرم «صلى اللّه عليه و آله و سلم».

۳- بل اننا نستطيع ان نستفيد من دعوته الى الاسلام و هو صبى امتيازا له خاصا، يؤهله لأن يكون هو الوصى له «صلى اللّه عليه و آله و سلم»، او ليس قد تكلم عيسى فى المهد صبيا. و يحيى ايضا قد أوتى الحكم صبيا كما نص عليه القرآن؟

۴- و أيضا، لو كان الأمر كما ذكروه؛ فلا يبقى معنى لقول النبى «صلى اللّه عليه و آله و سلم» عنه: إنه أول من أسلم، أو: أولكم إسلاما؛ فإن معنى ذلك هو أن أوليته بالنسبة إلى النساء و الرجال و العبيد و الأحرار على حد سواء.

۵- و أخيرا، فإن هذا الورع المصطنع لم يوجد إلا عند هؤلاء المتأخرين، و لم نجد أحدا واجه احتجاج أمير المؤمنين و الصحابة و التابعين بحجة من هذا القبيل، و لعله لم يكن لديهم ورع يبلغ ورع هؤلاء الغيارى على أبى بكر و على فضائله!!.

---

(۱) راجع إسعاف الراغبين بهامش نور الأبصار ص ۱۴۹ و السيرة الحلبية ج ۱ ص ۲۶۹.

و الكنز المدفون ص ۲۵۶/ ۲۵۷ عن البيهقى.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۲،ص:۳۳۳

هدف الورعين من الجمع بين الروايات.

و نستطيع أن نرجح: أن هدف أولئك الورعين من هذا الجمع بين الروايات هو إظهار: أن إسلام غير على (ع) كان أفضل من إسلامه، لأن إسلام ذلك الغير كان عن تدبر و تعقل، و نظر و تبصر. أما أمير المؤمنين «عليه السلام»، فقد كان إسلامه عن طيش و تقليد، كما

هو شأن الصبيان كما ذكره الجاحظ «۱».

و لا نريد أن نفيض فى الرد على هذه المزعمة، فإن إسلام على «عليه السلام» كان عن تدبّر و تعقّل، و عن تفكير و تأمل و قد أسلم استنادا الى فكره و رأيه، و لم يستشر حتى أباه رضوان اللّه تعالى عليه «۲».

و قد أجاب الإسكافى و إبن طاووس عن كلام الجاحظ بما فيه الكفاية، فليراجع «۳».

تنبيه:

و بالمناسبة فإن من الملاحظ: أن عمر بن الخطاب كان يعتبر البلوغ بالشبر؛ فمن بلغ ستة أشبار أجرى عليه الأحكام، و من نقص عنها و لو أنملة تركه. و كذلك كان رأى إبن الزبير أيضا «۴».

و على ذلك جرى العباسيون من بعد، فقد أمر ابراهيم الإمام

---

(۱) راجع: العثمانية ص ۶ و ۷.

(۲) الفصول المختارة ص ۲۲۷.

(۳) راجع شرح النهج للمعتزلى ج ۱۳ حينما يورد كلام الإسكافى و راجع أيضا: بناء المقالة الفاطمية، الصفحات الأولى من الكتاب، و البحار ج ۳۸ ص ۲۸۶.

(۴) المصنف ج ۱۰ ص ۱۷۸ و عن خصوص عمر راجع: الغدير ج ۶ ص ۱۷۱ عن كنز العمال ج ۳ ص ۱۱۶ عن ابن أبى شيبة و عبد الرزاق، و مسدد، و ابن المنذر فى الأوسط.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۲،ص:۳۳۴

العباسى أبا مسلم الخرسانى: أن يقتل فى خراسان كل من يتهمه، إذا كان قد بلغ خمسة أشبار «۱».

و نحن لا نريد التعليق على هذا، و نكل ذلك إلى القارىء نفسه؛ ليحكم حسبما يقتضيه ضميره و وجدانه.

مقارنة، و هدف:

و جدير بالملاحظة هنا: أن البعض يذكر: أن النبى «صلى اللّه عليه و آله و سلم» قال لعلى: «أدعوك إلى ترك (أو الكفر ب) اللات و العزى «۲»».

و نحن نجزم بعدم صحة هذا القول عنه «صلى اللّه عليه و آله و سلم»؛ إذ لم يسبق لعلى «عليه السلام» إيمان بها، ليدعوه «صلى اللّه عليه و آله و سلم» إلى تركها «۳». كيف و قد تربى فى حجر الرسول الأعظم «صلى اللّه عليه و آله و سلم»، و تلقى التوحيد، و كل المكارم و الفضائل عنه «صلى اللّه عليه و آله و سلم».

و لنقارن بين هذا و بين ما يذكره البعض عن أبى بكر من أنه لم يسجد لصنم قط «۴»، رغم أنه كان حين أسلم قد بلغ الأربعين أو تجاوزها؟!

فأبو بكر إذن قد ضارع النبى «صلى اللّه عليه و آله و سلم» فى عدم

---

(۱) راجع حياة الإمام الرضا للمؤلف ص ۱۲۲ عن: الطبرى ط ليدن ج ۹ ص ۱۹۷۴ و ج ۱۰ ص ۲۵، و الكامل لابن الأثير ج ۴ ص ۲۹۵، و البداية و النهاية ج ۱۰ ص ۲۸ و ۶۴ و الإمامة و السياسة ج ۲ ص ۱۱۴، و النزاع و التخاصم للمقريزى ص ۴۵، و العقد الفريد ط دار الكتاب ج ۴ ص ۴۷۹، و شرح النهج للمعتزلى ج ۳ ص ۲۶۷ و ضحى الإسلام ج ۱ ص ۳۲.

(۲) السيرة الحلبية ج ۱ ص ۲۶۸، و السيرة النبوية لدحلان ج ۱ ص ۹۱.

(۳) الامتاع للمقريزى ص ۱۶.

(۴) السيرة النبوية لدحلان ط دار المعرفة ج ۱ ص ۳۹ و ۹۲.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۲،ص:۳۳۵

السجود للأصنام.

و لكننا لا نـدرى لماذا ترك دين قومه؟، و كيف لم يشـتهر هـذا الأمر عنه، فى زمن الصـحابة و التابعين؟ و بقى هكذا مخفيا الى زمان متأخر جدا، حتى اكتشفه هؤلاء؟

و كيـف غفـل عنه الصـحابة و منـافسوه منهم، و غفـل عنه هـو نفسه و أنصـاره يوم السـقيفة، فلم يحتـج و لا ـ احتجوا به على اسـتحقاقه للخلافة، رغم أنهم احتجوا بكبر سنه، و ما شاكل ذلك، مما لا يجدى و لا يسمن و لا يغنى من جوع؟!.

من أسلم بدعاية أبى بكر:

و يذكرون أن عددا من كبار الصحابة قد أسلموا على يد أبى بكر، و استجابة لدعوته، منهم: «طلحة، و الزبير، و سعد بن أبى و قاص، و عبـد الرحمن بن عوف، و أبو عبيـدة الجراح، و خالـد بن سـعيد بن العاص، و أبوذر، و عثمان بن عفان، و أبو سـلمة بن عبـد الأسد، و الأرقم بن أبى الأرقم «۱»».

قال الجاحظ: «و قالت أسماء بنت أبى بكر: ما عرفت أبى إلا و هو يدين بالدين. و لقد رجع الينا يوم أسلم فدعانا إلى الإسلام، فما دمنا حتى أسلمنا، و أسلم أكثر جلسائه «۲»».

و لكن ذلك كله محل شك و ريب و ذلك للأمور التالية:

---

(۱) راجع: البدايـة و النهاية ج ۳ ص ۲۹، و السـيرة النبوية لدحلان ج ۱ ص ۹۴- و السـيرة الحلبية ج ۱ ص ۲۷۶ و تهذيب الأسماء و اللغات ج ۲ ص ۱۸۲، و تاريخ الإسلام للذهبى ج ۲ ص ۷۸.

(۲) شرح النهج للمعتزلى ج ۱۳ ص ۲۷۰ و عثمانية الجاحظ ص ۳۱.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۲،ص:۳۳۶

۱- إنه قد تقدم ما يدل على أن إسـلام أبى بكر قد كان بعد الخروج من دار الأرقم، و بعد اشتداد الأمر بين النبى «صلى اللّه عليه و آله و سـلم» و قريش، و قيام أبى طالب دونه ينافح عنه و يكافح. و هؤلاء قد أسـلم أكثرهم قبل ذلك، و ذلك لأنه «صلى اللّه عليه و آله و سلم» قبل نزول قوله تعالى:

وَ أَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ لم يكن مأمورا بدعوة أحد. بل كان من يسلم إنما يسلم باختياره. ثم أمر «صلى اللّه عليه و آله و سلم» بدعوة عشيرته، ثم أمر بإنذار أم القرى و من حولها، حتى انتهى الأمر بإنذار كافة الناس.

و لكنه «صـلى اللّه عليه و آله و سـلم» لما أسـلم معه من أسلم و خشى حصول بعض الصدامات لهم مع قريش اختار دار الأرقم ليصلى أصحابه فيها، و بعد شهر اعلن بالأمر، فلم تكن هناك سرّية فى دار الأرقم بالمعنى الدقيق للكلمة.

و أما الذين أسلموا قبل المواجهة مع قريش، فنذكر منهم:

زيد بن حارثة الذى أسلم ثانيا، و فى نفس الوقت أسلم خالد بن سعيد بن العاص، و سعد بن أبى و قاص، و عمرو بن عبسة، و عتبة بن غزوان، و مصـعب بن عمير «۱» أمـا الأرقم ابن أبى الأرقم فكان سابعا «۲»، و قصة إسـلام أبى ذر معروفة، و كان إسـلامه على يد النبى «صلى اللّه عليه و آله و سلم» نفسه، و على هو الواسطة، و سيأتى ذلك بعد صفحات يسيرة.

و من الأـولين أيضـا: جعفر بن أبى طـالب، و بلالـ، و خبـاب بن الأرتّ، و الزبير بن العوام، و كل هؤلاء اسـلم قبل أبى بكر- على حد

تعبير الاسكافى فى نقض العثمانية «۳»، و يرى المقدسى: أن الزبير أسلم رابعا،

---

(۱) تاريخ اليعقوبى ج ۲ ص ۲۳۲ و سيرة ابن هشام ج ۱ ص ۲۶۴ و غير ذلك.

(۲) الإصابة، ترجمة الأرقم ج ۱ ص ۲۸.

(۳) شرح النهج ج ۱۳ ص ۲۲۴، و العثمانية فى أواخرها حيث ينقل كلام الإسكافى ص ۲۸۶ و الغدير ج ۳ ص ۲۴۱.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۲،ص:۳۳۷

أو خامسا.

۲- و عدا عما تقدم، فان ابا اليقظان خالد بن سعيد بن العاص، كان هو نفسه يزعم: أنه أسلم قبل أبى بكر «۱»

و عليه فلا يصغى لما حكاه البيهقى من أنه رأى فى منامه النار، ثم لقى أبا بكر فأخذه الى النبى «صلى اللّه عليه و آله و سلم»، فاسلم «۲» فان أبا اليقظان نفسه يكذب ذلك و ينكره. و هو أعرف بنفسه من كل أحد.

و أما عثمان فقد اشترط لإسلامه أن يزوجه الرسول «صلى اللّه عليه و آله و سلم» رقية، ففعل، فأسلم «۳» فأين هى دعوة أبى بكر له، و الحالة هذه؟!.

و يروى المدائنى عن عمر بن عثمان: أن عثمان قال: إنه دخل على خالته أروى بنت عبد المطلب يعودها، فدخل رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله و سلم»، فجعل ينظر إليه، و قد ظهر من شأنه يومئذ شىء؛ فجرى له معه «صلى اللّه عليه و آله و سلم»، حديث، و قرأ عليه «صلى اللّه عليه و آله و سلم» بعض الآيات، ثم قام «صلى اللّه عليه و آله و سلم» فخرج. قال عثمان: فخرجت خلفه فأدركته، و أسلمت «۴». فإذا أخذنا بهذه الرواية ايضا لم يكن لأبى بكر فى اسلام عثمان يد و لا نصيب.

و أما سعد بن أبى وقاص ف «كان سبب اسلامه: أنه رأى فى المنام قال: كأنى فى ظلام، فأضاء قمر، فاتبعته، فإذا أنا بزيد و على قد سبقانى

---

(۱) البدء و التاريخ ج ۵ ص ۹۶.

(۲) مستدرك الحاكم ج ۳ ص ۲۴۸، و البداية و النهاية ج ۳ ص ۳۲ و طبقات ابن سعد ج ۴ ص ۶۷/ ۶۸ و الاستيعاب ج ۱ ص ۴۰۱/ ۴۴۲ و الإصابة ج ۱ ص ۴۰۶ و مع ذلك فإن الرواية لا تدل على أنه أسلم بدعوة أبى بكر بل هى فى ضد ذلك أظهر.

(۳) مناقب آل أبى طالب ج ۱ ص ۲۲.

(۴) الاستيعاب ج ۴ ص ۲۲۵.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۲،ص:۳۳۸

إليه، و روى: فاذا أنا بزيد و أبى بكر، قال: ثم بلغنى: أن رسول اللّه يدعو الى الاسلام مستخفيا، فلقيته بأجياد، فأسلمت، و رجعت الى أمى إلخ «۱»».

و عن اسلام طلحة يقولون: انه كان فى بصرى، فسمع خبر خروج نبى اسمه أحمد فى ذلك الشهر من راهب، فلما قدم مكة سمع الناس يقولون: تنبّى محمد بن عبد اللّه، فأتى إلى أبى بكر، فسأله فأخبره، ثم أدخله على رسول اللّه فاسلم، فأخذهما نوفل بن خويلد و قرنهما بحبل، فسميا القرينين «۲».

و لكن هذه الرواية كما ترى، لا تدل على أنه اسلم بدعوة ابى بكر إياه، بل هى فى خلاف ذلك أظهر كما هو واضح، كما أنهم يذكرون رواية أخرى مفادها: أن طلحة ذهب بنفسه إلى رسول اللّه فأسلم «۳». و أما أن أبا بكر و طلحة قد سميا القرينين فسيأتى أنه لا يصح أيضا، و ذلك ضعف آخر فى هذه الرواية.

بل لقد كذّب على «عليه السلام» أن يكون أحد من قريش قد عذّب كما سنرى فكيف يكون طلحة و ابو بكر قد عذّبا، و قرن احدهما الى الآخر؟!

۳- يقول الاسكافى هنا ما ملخصه: إن أبا بكر قد عجز عن إدخال أبيه، مع أنه معه فى بيت واحد، و ابنه الوحيد عبد الرحمن فى الاسلام، و بقيا على شركهما إلى عام الفتح، و كذا الحال فى أخته أم فروة، و زوجته نملة- أو قتيلة- بنت عبد العزى، التى فارقها حين نزل قوله تعالى: و لا

---

(۱) البدء و التاريخ ج ۵ ص ۸۴/ ۸۵.

(۲) مستدرك الحاكم ج ۳ ص ۳۶۹، و البدء و التاريخ ج ۵ ص ۸۲ و البداية و النهاية ج ۳ ص ۲۹ و دلائل النبوة للبيهقى ج ۱ ص ۴۱۹.

(۳) البدء و التاريخ ج ۵ ص ۸۲.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۲،ص:۳۳۹

تمسكوا بعصم الكوافر، بعد الهجرة بعدة سنين.

و يمضى الاسكافى هنا فيقول: كيف استطاع أبو بكر أن يهيمن على سعد، و الزبير، و طلحة، و عبد الرحمن و غيرهم و هم ليسوا من أترابه، و لا من جلسائه، و لا كان له معهم صداقة أو مودة، و لم يستطع أن يقنع عتبة و شيبة ابنى ربيعة، و هما من جلسائه، بل و اكبر منه سنا، و يأنسان إلى حديثه و طرائفه- كما يزعم أنصاره-؟! و ماله لم يدخل جبير بن مطعم فى الاسلام، و هو الذى أدبه و علمه، و عرفه أنساب العرب، و قريش و طرائفها و أخبارها كما يدعون؟!.

و كيف لم يقبل منه عمر بن الخطاب الدخول فى الاسلام فى تلك الفترة، و كان صديقه و أقرب الناس شبها به، و بحالاته. و لئن رجعتم إلى الانصاف لتعلمن بأن اسلام هؤلاء لم يكن إلا بدعاء النبى «صلى اللّه عليه و آله و سلم» و على يديه «۱».

۴- و أما ما تقدم نقله عن اسماء، فهو يقتضى أن تكون اسماء و أهل بيت أبى بكر أسبق الناس إلى الاسلام، و قد عد ابن هشام ممن اسلم فى الفترة الأولى من الدعوة بحيث يعد من السابقين الأول اسماء و عائشة ابنتى أبى بكر «۲»، و عند النووى و غيره: أن عائشة قد اسلمت بعد ثمانية عشر إنسانا و أختها أسماء أسلمت بعد سبعة عشر «۳».

---

(۱) شرح النهج للمعتزلى ج ۱۳ ص ۲۷۱ عن الإسكافى. و لا يرد على الإسكافى بامرأة نوح و ولده؛ حيث لم يكونا مؤمنين، فإن الإسكافى يريد أن يقول: إن المستفاد من القرائن العامة هو أن أبا بكر لم يكن يملك المؤهلات و الكفاءات التى تعطيه القدرة على أن يقنع أحدا بالدخول فى الإسلام.

(۲) سيرة ابن هشام ج ۱ ص ۲۷۱.

(۳) تهذيب الأسماء و اللغات ج ۲ ص ۳۲۹ و ۳۵۱ عن ابن أبى خيثمة فى تاريخه عن ابن إسحاق، و الإصابة ج ۴ ص ۲۲۹ بالنسبة لأسماء فقط.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۲،ص:۳۴۰

و لكن قد فات هؤلاء: أن كل ما تقدم يكذب هذا الذى ذكروه هنا.

أضف الى ذلك: أن عمر اسماء كان حين البعثة أربع سنين على أبعد التقادير. أما عمر عائشة فنحن نقول: إنها أيضا كان عمرها قريبا من هذا «۱». و لكن نفس اولئك يقولون: إنها قد ولدت بعد البعثة بخمس سنين «۲»، فكيف تكونان قد اسلمتا بعد ثمانية عشر انسانا؟ مع أن الفترة السرية أو فقل الدعوة الاختيارية، و عدم الاعلان، قد انتهت باسلام اربعين؟! و أما جلساؤه و أهل بيته فقد تكلمنا عنهم، و

لم يبق الا ولده محمد، و هو إنما ولد بعد مبعث النبى «صلى اللّه عليه و آله و سلم» بثلاث و عشرين سنة، أى قبل وفاته «صلى اللّه عليه و آله و سلم» بقليل.

سر التأكيد على دور أبى بكر:

و أما سر التأكيد على دور أبى بكر فقد أوضحه لنا الجاحظ، حين قال: «و لذلك قالوا: إن من اسلم بدعاء أبى بكر اكثر ممن اسلموا بالسيف. و لم يذهبوا فى ذلك إلى العدد، بل عنوا الكثرة فى القدر، لأنه اسلم على يديه خمسة من أهل الشورى، كلهم يصلح للخلافة، و هم اكفاء على «عليه السلام» و منازعوه فى الرياسة و الامامة، فهؤلاء اكثر من جميع الناس «۳»».

نعم يا جاحظ: لقد تجاوز أبو بكر كل التوقعات، حتى لقد بز النبى نفسه، و لم يستطع و هو الرسول الاعظم أن يجاريه فى تلك الفضائل

---

(۱) وعد المقدسى عائشة مع الذين أسلموا فى السنوات الأولى من البعثة فى الفترة السرية قبل أن يدخل (ص) دار الأرقم و قال: انها كانت صغيرة فراجع البدء و التاريخ ج ۴ ص ۱۴۶.

(۲) سيأتى بعض الكلام فى ذلك، فى فصل: حتى بيعة العقبة.

(۳) العثمانية للجاحظ ص ۳۱/ ۳۲ و شرح النهج ج ۱۳ ص ۲۷۰/ ۲۷۱.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۲،ص:۳۴۱

المجعولة- كما قدمنا- و لا ندرى لماذا غلط جبرئيل و نزل عليه دونه!.

و حسبنا هنا ما ذكرناه حول هذا الموضوع؛ فان استقصاء الكلام فيه يحتاج إلى جهد مضن و وقت طويل.

هل عمير بن أبى و قاص من السابقين؟!

و يذكر ابن هشام هنا: أن عمير بن أبى و قاص كان من جملة السابقين إلى الاسلام «۱».

و لكن ذلك لا يصح؛ لأنهم يقولون: إن عميرا قد قتل فى بدر، و له ستة عشر عاما. فيكون عمره حين البعثة سنة واحدة «۲»؛ فكيف يكون من السابقين إذن؟!.

اسلام أبى قحافة:

و فى رواية: أنه لما نبىء رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله و سلم»، و هو ابن أربعين سنة، صدّقه أبو بكر و هو ابن ثمانية و ثلاثين سنة، فلما بلغ أبو بكر أربعين سنة، قال: «رب أوزعنى أن أشكر نعمتك التى انعمت على و على والدى «۳»». و استجاب اللّه له فاسلم والداه و أولاده كلهم.

و لكن هذه الرواية لا تصح، و ذلك.

---

(۱) سيرة ابن هشام ج ۱ ص ۲۷۲.

(۲) تهذيب الأسماء و اللغات ج ۲ ص ۳۹ و الإصابة ج ۳ ص ۳۶.

(۳) فتح القدير ج ۵ ص ۱۱۸ و الغدير ج ۷ ص ۳۲۷ عنه و عن الكشاف ج ۳ ص ۹۹، و تفسير القرطبى ج ۲ ص ۱۹۳/ ۱۹۴ و الرياض

النضرة ج ۱ ص ۴۷، و مرقاة الأصول ص ۱۲۱، و تفسير الخازن ج ۴ ص ۱۳۲، و تفسير النسفى بهامشه ج ۴ ص ۱۳۲.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۲،ص:۳۴۲

أولا: لما تقدم من أن أبا بكر إنما اسلم بعد عدة سنوات من البعثة.

و كان عمره حينئذ حوالى خمس و أربعين سنة.

و ثانيا: إن أبا قحافة إنما اسلم سنة ثمان عام الفتح «۱» و أم أبى بكر أسلمت- كما قالوا- سنة ست من البعثة «۲»، و أولاد أبى بكر حالهم معلوم، حتى إن احدهم قد طلب مبارزة أبيه- أبى بكر- يوم أحد أو بدر، كما سيأتى، فكيف يقول: انه قد أنعم اللّه عليه و على والديه بعد النبوّة بسنتين، و يطلب من اللّه أن يوفقه لشكر هذه النعمة؟!.

و ثالثا: إن الآية المذكورة هى التى فى سورة الاحقاف رقم ۱۵، لأنها هى التى ذكرت الأربعين سنة، دون الآية التى فى سورة النمل رقم ۱۹.

و على هذا نقول: الأحقاف قد نزلت فى المدينة، لا فى مكة.

و اسلام ابى بكر كان فى مكة قبل عدة سنوات.

الدعوة فى مراحلها، التى اجتازتها:

و يرى البعض: أن الدعوة قد مرت بمراحل أربع:

الأولى: المرحلة السرية، و استمرت ثلاث أو خمس سنوات.

الثانية: الإعلان بالدعوة إلى اللّه بالقول فقط، دون اللجوء إلى العنف، و استمرت حتى الهجرة.

الثالثة: مرحلة الدفاع عن الدعوة بالسيف. و استمرت إلى صلح الحديبية.

---

(۱) أسد الغابة ج ۵ ص ۲۷۵ و الاستيعاب (مطبوع بهامش الإصابة) ج ۴ ص ۱۶۲ و قاموس الرجال ج ۱۰ ص ۱۶۶ عن المعارف لابن قتيبة.

(۲) راجع الغدير ج ۷ ص ۳۲۴.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۲،ص:۳۴۳

الرابعة: قتال كل من وقف فى سبيل الإسلام، من الوثنيين و المشركين، و غيرهم، و هو ما استقر عليه أمر الدعوة و حكم الجهاد «۱».

المرحلة السرية:

و لكننا لا نوافق على إستعمال مصطلح «الفترة السرية» هنا إذ أن الظاهر هو أن النبى «صلى اللّه عليه و آله و سلم» لم يكن حينما بعث مأمورا بدعوة عموم الناس كما قدمنا، و لكنه كان يعرض هذا الدين بصورة طوعية و عفوية، و بدون أن يوجه الأنظار الى ذلك. فكان هناك أفراد يسلمون تباعا.

و قد كان هذا الأسلوب فى تلك الفترة ضروريا من أجل الحفاظ على مستقبل الدعوة، حتى لا تتعرض لعمل مسلح يقضى عليها فى مهدها، حيث لا بد من إيجاد ثلة من المؤمنين، و من مختلف القبائل يحملون هذه العقيدة و يدافعون عنها، حتى لا يبقى مجال لتصفيتهم السريعة و الحاسمة من قبل أعدائهم الأشرار.

كما أنه «صلى اللّه عليه و آله و سلم» أراد أن لا تهدر الطاقات، و تذهب الجهود سدى، و ينتهى الأمر الى تمزق، و توزع فى الثلة

المؤمنة، ثم الى ضياع مدمّر.

و أيضا، فقد كانت هذه الفترة بمثابة إعداد نفسى، و تربية عقيدية و روحية لتلك الصفوة المؤمنة بربها، و برسالة نبيه الأكرم «صلى اللّه عليه و آله و سلم»، تمكنهم من الصمود فى وجه التحديات التى تنتظرهم.

و إذا كان «صلى اللّه عليه و آله و سلم» يريد: أن يقود عملية تغيير شاملة، فلا بد له من إتاحة الفرصة لتهيئة و إعداد القوى، التى تستطيع أن تحقق هدفا كبيرا كهذا، و تتمكن من الحفاظ و الإحتفاظ بالوجود الفعال

---

(۱) فقه السيرة للبوطى ص ۹۱.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۲،ص:۳۴۴

و المؤثر فى بقاء ذلك الهدف.

دخول النبى «صلى اللّه عليه و آله و سلم» دار الأرقم:

قال المؤرخون: و لما صار عدد المسلمين ثلاثين رجلا- كما قيل- و صار بعض المسلمين يخرجون الى الشعاب و الجبال خارج مكة لأداء الفرائض، و إقامة الشعائر، و صار بعض المشركين يترصدونهم، و يتعمدون إيذائهم، و حصلت صدامات فردية لهم معهم، و منها أنه كما يقولون:

خرج جماعة من المسلمين الى شعاب مكة للصلاة، فظهر عليهم نفر من قريش كانوا يرصدونهم، و يتبعون آثارهم، و هم يصلون؛ فناكروهم، و عابوا عليهم ما يصنعون، حتى قاتلوهم، فضرب سعد ابن أبى و قاص- و العهدة على الراوى- يومئذ رجلا من المشركين بلحى بعير، فشجه، فكان أول دم اهريق فى الإسلام «۱».

و لكن قد قال الزبير (أى إبن بكار): و طليب أول من دمّى مشركا فى الإسلام؛ بسبب النبى «صلى اللّه عليه و آله و سلم» فإنه سمع عوف بن صبرة السهمى يشتم النبى «صلى اللّه عليه و آله و سلم»، فأخذ له لحى جمل، فضربه فشجه الخ «۲».

و مرة أخرى تعقب مشركان مسلمين، خرجا للصلاة فى أحد الشعاب، فباطشاهما «۳».

فهذه الحوادث الجزئية- على ما يظهر- قد دفعت بالنبى «صلى اللّه

---

(۱) تاريخ الطبرى ج ۲ ص ۶۲ و سيرة ابن هشام ج ۱ ص ۲۸۲، و البداية و النهاية ج ۳ ص ۳۷، و السيرة الحلبية ج ۱ ص ۲۸۳، و السيرة النبوية لدحلان ج ۱ ص ۹۹.

(۲) الإصابة ج ۲ ص ۲۳۳.

(۳) أنساب الأشراف للبلاذرى ج ۱ ص ۱۱۷.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۲،ص:۳۴۵

عليه و آله و سلم» الى اختيار دار الأرقم «۱»، الواقعة على الصفا ليجعلها مركزا لدعوته، و محلا لاجتماع أصحابه به، ثم الإبتعاد عن أنظار المشركين فى عبادتهم و شعائرهم، بدلا من الخروج الى الشعاب من أجل الصلاة.

فكانت هذه الدار هى مركز حركته و نشاطاته و بقى فيها شهرا «۲» و لم يخرج منها حتى تكامل المسلمون أربعين رجلا كما قيل «۳».

و قيل: أكثر.

و قيل: أقل. و حينئذ خرج «صلى اللّه عليه و آله و سلم» ليعلن دعوته، و ليبدأ مرحلة جديدة هى أصعب مرحلة، و أخطرها، و أكثر عنفا، و أشد بلاء.

هذا، و لكن بعض المحققين «۴»، يحتمل أن يكون «صلى اللّه عليه و آله و سلم» قد دخل دار الأرقم مرة أو مرات، و لكن يد السياسة قد طوّرت هذا الأمر؛ لتكون دار الأرقم فى مقابل شعب أبى طالب، بل يدعون: أنها دعيت دار الإسلام «۵».

لكننا فى المقابل لا نرى أن دار الأرقم كانت لها هذه الأهمية، و لا هذا الدور، و لذلك تجد ابن اسحاق و هو من نعرف- لا يشير إلى دار الأرقم لا من قريب و لا من بعيد- كما أن البلاذرى يذكرها بصورة عابرة، دون أية أهمية.

---

(۱) أسلم سابع سبعة، أو بعد عشرة كما فى الإصابة ج ۱ ص ۲۸ و الاستيعاب هامش الإصابة ج ۱ ص ۱۰۷.

(۲) و قيل: أربع سنين. راجع السيرة الحلبية ج ۱ ص ۲۸۳ و السيرة النبوية لدحلان ج ۱ ص ۹۹.

(۳) الإصابة ج ۱ ص ۲۸ و السيرة الحلبية ج ۱ ص ۲۸۵ و السيرة النبوية لدحلان ج ۱ ص ۹۹ و الاستيعاب هامش الإصابة ج ۱ ص ۱۰۸.

(۴) هو العلامة السيد مهدى الروحانى حفظه اللّه.

(۵) التراتيب الإدارية ج ۱ ص ۴۰۸.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۲،ص:۳۴۶

و الذى يهتم بدار الأرقم و يبرزها على انها مفصل تاريخى هو الواقدى بالدرجة الأولى. فلعل المسلمين ترددوا على هذه الدار مرات، فعظمت السياسة ذلك و طورته، حتى دعيت هذه الدار دار الإسلام، للتعتيم على شعب أبى طالب حسبما تقدم، و ذلك عن منطق السياسة الذى عرفناه و ألفناه غير بعيد.

قريش لا تهتم لمرحلة ما قبل الإعلان:

كان المشركون قد عرفوا بتنبؤ النبى «صلى اللّه عليه و آله و سلم» من أول الأمر، و لكنهم لم يهتموا كثيرا بالأمر- بادىء ذى بدء- ربما لأنهم اعتبروا أن القضية ليست بذات أهمية كبيرة؛ إلّا من وجهة قبلية بالدرجة الاولى، و لكنهم ظلوا يتنسمون الاخبار، و يستطلعونها و كانوا يقولون: ان فتى عبد المطلب ليكلّم من السماء.

اسلام ابى ذر رحمة اللّه:

و فى هذه الفترة كان اسلام ابى ذر «رحمه اللّه» الذى كان رابع، او خامس من اسلم «۱»، حيث انه سمع بمبعث النبى «صلى اللّه عليه و آله و سلم» فارسل اخاه ليستقصى له الخبر، فرجع اليه، و لم يشف له غليلا.

فذهب هو بنفسه الى مكة؛ فكره ان يسأل عن النبى «صلى اللّه عليه و آله و سلم» علانية و رآه على «عليه السلام» مضطجعا فى ناحية المسجد

---

(۱) دلائل النبوة للبيهقى ج ۱ ص ۴۵۸، طبقات ابن سعد ج ۴ قسم ۱ ص ۱۶۴، و حلية الأولياء ج ۱ ص ۱۵۷. و مستدرك الحاكم ج ۳ ص ۳۴۲، و الاستيعاب هامش الإصابة ج ۱ ص ۳۱۳، و الإصابة ج ۴ ص ۶۳، و أسد الغابة ج ۵ ص ۱۸۶، و الغدير ج ۸ ص ۳۰۸- ۳۰۹ عن بعض من تقدم و عن شرح الجامع الصغير للمناوى ج ۵ ص ۴۲۳.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۲،ص:۳۴۷

الحرام، فعرف انه غريب، فاستضافه ثلاثة ايام لا يسأله عن شىء، ثم سأله ابوذر عن النبى «صلى اللّه عليه و آله و سلم»، فاخذه اليه

بصورة سرية؛ حيث امره ان يتبعه، فان رأى ما يخاف منه عطف كأنه يريد أن يقضى حاجة، او يصلح نعله.

و بعد ان أسلم أبوذر خرج الى المسجد الحرام؛ فنادى باعلى صوته: أشهد ان لا إله إلا اللّه، و ان محمدا رسول اللّه، فقام اليه المشركون فضربوه حتى اضجعوه، فاتى العباس؛ فاكبّ عليه، و قال:

و يحكم، الستم تعلمون: أنه من غفار، و ان طريق تجارتكم الى الشام؛ فتركوه، و لكنه عاد فى اليوم الثانى الى مثل ذلك، فخلصه العباس «۱».

و ثمة نصوص اخرى لا مجال لذكرها هنا.

و لما ضرب أبوذر جاء الى النبى «صلى اللّه عليه و آله و سلم» فقال:

يا رسول اللّه، اما قريش فلا ادعهم حتى أثأر منهم، ضربونى.

فخرج حتى اقام بعسفان، و كلما اقبلت عير لقريش، يحملون الطعام، ينفّر بهم على ثنية غزال؛ فتلقى احمالها؛ فجمعوا الحنط، و يقول ابوذر لقومه: لا يمسّ احد حبة حتى تقولوا: لا إله إلا اللّه. فيقولون: لا إله إلا اللّه، و يأخذون الغرائر «۲».

و حسب نص آخر: كان ابوذر رجلا شجاعا يتفرد وحده بقطع الطريق، و يغير على الصرم فى عماية الصبح على ظهر فرسه، أو على

---

(۱) هذا ملخص ما فى البخارى ج ۲ ص ۲۰۶- ۲۰۷ ط سنة ۱۳۰۹. و البداية و النهاية ج ۳ ص ۳۴، و حلية الأولياء ج ۱ ص ۱۵۹، و مستدرك الحاكم ج ۳ ص ۳۳۹، و الغدير ج ۸ ص ۳۰۹- ۳۱۰ عن بعض من تقدم و صحيح مسلم ج ۷ ص ۱۵۶ و الاستيعاب هامش الإصابة ج ۴ ص ۶۳ دلائل النبوة لأبى نعيم ج ۲ ص ۸۶، و طبقات ابن سعد ج ۴ قسم ۱ ص ۱۶۱- ۱۶۲ و ۱۶۴- ۱۶۵ و الإصابة ج ۴ ص ۶۳.

(۲) طبقات ابن سعد ج ۴ قسم ۱ ص ۱۶۴.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۲،ص:۳۴۸

قدميه كانه السبع ... إلى أن قال: «فكان يعترض لعيرات قريش، فيقطعها، فيقول: لا أرد اليكم منها شيئا، حتى تشهدوا: أن لا إله إلا اللّه، و أن محمدا رسول اللّه: فكان على ذلك حتى هاجر رسول اللّه، و مضى بدر، و أحد، ثم قدم فأقام بالمدينة «۱»».

و اسلم على يده نصف قبيلته غفار، و وعده الباقون بأن يسلموا إذا قدم النبى «صلى اللّه عليه و آله و سلم» المدينة «۲».

و كان أبوذر يتأله فى الجاهلية، و يقول: لا إله إلا اللّه، و لا يعبد الاصنام، و يقال: إنه صلى قبل مبعث النبى «صلى اللّه عليه و آله و سلم» عدة سنوات «۳».

ما يستفاد من حديث اسلام أبى ذر:

أولا- إن عدم عبادة أبى ذر للاصنام، ليس إلا- من أجل منافرتها لحكم العقل، و للفطرة السليمة، حين لا تطغى على الانسان أى من العوامل الخارجية التى تجعل على قلبه و بصره غشاوة.

و يلاحظ: أن القرآن ما زاد فى مقاومته لعبادة الاصنام، و التوجيه إلى اللّه تعالى على أن نبه العقل، و أثاره، و ارشد إلى ما تقتضيه الفطرة السليمة فى هذا المجال. و كل من يستعرض الآيات القرآنية يرى كيف أن القرآن يهتم فى الارجاع إلى الفطرة، و حكم العقل، و يعتبر أن، لهما وحدهما الحق فى الحكم فى هذا المجال.

و ثانيا: إن اسلوب على «عليه السلام» فى المحافظة على عنصر

---

(۱) و (۲) طبقات ابن سعد ج ۴ قسم ۱ ص ۱۶۳، و راجع تاريخ الإسلام للذهبى ج ۲ ص ۱۰۰.

(۳) طبقات ابن سعد ج ۴ ق ۱ ص ۱۶۳. و لا بأس بمراجعة ما كتبناه حول أبى ذر فى مقال لنا فى كتاب: دراسات و بحوث فى التاريخ و الإسلام. و حلية الأولياء ج ۱ ص ۱۵۷.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۲،ص:۳۴۹

السرية، حتى لا يلتفت المشركون إلى طبيعة تحركاته و أهدافه، و اسلوبه فى ايصاله أباذر إلى الرسول الاعظم «صلى اللّه عليه و آله و سلم»- و هو لم يبلغ الحلم بعد- إن دل على شىء؛ فانما يدل على دراية و روية، و تبصر و تدبر بالأمور، مما يؤكد امتيازه عليه السلام على غيره، ممن عاش و مارس الامور.

كما أن اتكال ابى ذر رجل الحكمة و التبصر على دعوة على «صلى اللّه عليه و آله و سلم» له، و استجابته لدعوته و نزوله ضيفا عليه، يدل على أنه كان يرى فى على من الحكمة و الروية ما لا يراه فى غيره. مهما كان فارق السن بينه و بين ذلك الغير كبيرا.

و لقد كان «عليه السلام» يهدف الى الحفاظ على أبى ذر من جهة، و على ان لا يلفت نظر المشركين الى أنه يقوم بنشاط من أجل إدخال الناس فى هذا الدين الجديد من جهة اخرى. و هذا الثانى هو الاهم بالنسبة اليه.

فانه لا يمكن أن يتخلى عن الدعوة فى سبيل الشخص، و لكن الشخص هو الذى يضحى بنفسه و بكل ما لديه فى سبيل الحفاظ على الدعوة و بقائها. و لكن هذه التضحية لابد أن تكون فى وقت الحاجة إليها، و حين يكون لابد منها و لا غنى عنها. و إلا فلربما يكون ضررها اكثر من نفعها، أو على الأقل يكون هدرا لطاقات، و اتلافا لقدرات ربما تكون الدعوة فى يوم مّا بامسّ الحاجة إليها.

ثالثا: ما فعلته قريش بأبى ذر لم يكن بسبب أن المواجهة كانت قد وقعت بينها و بين النبى «صلى اللّه عليه و آله و سلم»؛ فان هذه المواجهة لم تكن حصلت حينئذ، و إنما رأت فى تصرف أبى ذر هذا تحديا لها، و اعتداء على شرفها، و كبريائها، و لا يقصد منه إلا تحقيرها و إذلالها، من دون مبرر ظاهر تراه و تتعقله لتصرف كهذا سواه. و لعلها أرادت من بطشها بهذا الرجل الغريب و الوحيد ردع الآخرين، و ارهابهم، و منعهم من الإقبال على الدخول فى الإسلام، أو من التظاهر به.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۲،ص:۳۵۰

رابعا: انتقام أبى ذر من قريش على ذلك النحو قد أثر فيها نفسيا، و روحيا إلى حد بعيد، و عرفها: أنها لا يمكن أن تتعامل مع الآخرين، كما يحلو لها، و على حسب ما تشتهى، لأن الآخرين يملكون من الوسائل الفعالة للضغط عليها مالا تجد معه حيلة، و لا تستطيع سبيلا.

خامسا: إن نجاح أبى ذر فى دعوته قومه من قبيلتى غفار و أسلم، حتى إنه يستغل تشوقهم للحصول على غرائر الحنطة لطرح الخيار النهائى عليهم- إن نجاحه هذا- ليدل على أنه كان بعيد الهمة و النظر عاقلا لبيبا أريبا، يدرك أهداف الرسالة السماوية الحقة التى اعتنقها خير إدراك، و يدرك واجباته تجاهها، ثم هو ينفذ مهمته، و يقوم بواجباته على النحو الاكمل و الامثل.

سادسا: إن محاولات أبى ذر الجادة للتعرف على صدق النبى «صلى اللّه عليه و آله و سلم» فى دعواه، و ارساله أخاه أولا، ثم ذهابه هو بنفسه، و بقاؤه ثلاثة أيام يبحث عن النبى الاكرم «صلى اللّه عليه و آله و سلم»، إنما كانت بدافع ذاتى ينبع من داخله، يدفعه إلى البحث عن الحق، و العمل من أجله، و فى سبيله.

و هذا يؤيد القول بأن العقل هو الذى يحكم و يدفع إلى تعلم ما ينفع، و ما يضر، للالتزام بذاك، و الابتعاد عن هذا. بل هو امر فطرى مغروس فى فطرة الانسان و طبيعته و سجيته، حتى انك تجد الطفل الذى يحس بألم النار ليس فقط لا يحاول بعد ذلك الاقتراب منها، و انما هو يجهد بكل ما أوتى من قوة و حول فى الابتعاد عنها.

سابعا: ان موقف على «عليه السلام» من أبى ذر ليعكس لنا: أن هذا الشاب الذى ربما لم يكن قد بلغ الحلم آنذاك؛ لأنه إنما أسلم و عمره عشر أو اثنا عشرة سنة- إن هذا الشاب- الناشىء كان يعتز بنفسه، و يثق بها، فيدعو أباذر ليكون ضيفه ثلاثة أيام، ثم هو يساعده على الوصول إلى

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۲،ص:۳۵۱

النبى «صلى اللّه عليه و آله و سلم» بشكل ذكى و حذر. ثم هو يتركه ثلاثة أيام لا يسأله عن أمره حتى لا يشعر هذا الضيف بأن مضيفه ربما يكون قد ضاق به ذرعا، أو ملّ وجوده؛ و ليكون قد أتاح له الفرصة ليستأنس فى هذا البلد الذى يراه غريبا عليه، و يألفه، و يرتاح إليه نفسيا، كما ارتاح جسديا؛ و ليكون أنفذ بصيرة، و اكثر اطمينانا فى بيان حاجته التى جاء من أجلها.

و ثامنا: ان جهر أبى ذر باسلامه، و تعريضه نفسه للضرب و الاهانة من قبل المشركين، إنما يعكس لنا مدى اعتزاز أبى ذر باسلامه هذا، و مدى استعداده للتضحية فى سبيله. ثم هو يعكس مدى حنق قريش و رعونتها فى مواجهة الدعوة إلى اللّه تعالى، حتى إنها تنسى: أن من تبطش به ربما يكون فى المستقبل سببا فى عرقلة تجاراتها إلى الشام، و مضايقتها اقتصاديا. نعم، تنسى ذلك، و تهجم عليه لتضربه، ثم ترتد عنه لا بدافع انسانى، و لا عن قناعة فكرية، و إنما لدوافع اقتصادية دنيوية، تعكس أنانيتها، و مستوى تفكيرها أولا و أخيرا. و لا شىء أخطر على الانسان من الانانية التى ربما تضع على عينيه غشاوة؛ فلا يبصر الحق الابلج، و لا يهتدى سواء السبيل.

و تاسعا: لعل أباذر قد اراد كسر شوكة اعداء الاسلام، و فتح ثغرة فى هذا الجبروت. ثم كسر حاجز الخوف لدى المسلمين، ليتشجعوا على مواجهة الأخطار، و ضرب المثل الحى لهم فى مجال التضحية من اجل الدين و الحق، كما أن ذلك لسوف يؤثر على من يميلون الى هذا الدين و يتعاطفون مع المسلمين، و يثير إعجابهم بصورة كبيرة.

و أخيرا، فلسوف نرى: أن ثمة محاولات لنسبة موقف أبى ذر الشجاع و الجرىء، و الفذ هذا تجاه قريش إلى غيره من الصحابة، كابى بكر تارة، و عمر أخرى.

و لكن كل ذلك لا يمكن أن يصح، كما سنذكره حين الحديث عن إسلام عمر، و هجرة ابى بكر.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۲،ص:۳۵۳

الفهارس

اشارة

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۲،ص:۳۵۵

الدليل الاجمالى للكتاب:

القسم الأول: ما قبل البعثة ۱۱

الفصل الأول: ما قبل ميلاد النبى (ص) ۱۳- ۶۰

الفصل الثانى: عهد الفطولة ۶۱- ۱۰۲

الفصل الثالث: خديجة فى بيت النبى (ص) ۱۰۳- ۱۳۴

الفصل الرابع: حتى البعثة ۱۳۵- ۱۸۱

الفصل الخامس: بحوث تسبق السيرة ۱۸۳- ۲۳۶

القسم الثانى: من البعثة إلى الهجرة ۲۳۹

الباب الأول: من البعثة إلى الاعلان بالدعوة ۲۳۹

الفصل الأول: البعثة و المعجزة ۲۴۱- ۲۸۴

الفصل الثانى: روايات بدء الوحى ۲۸۵- ۳۱۴

الفصل الثالث: الدعوة فى مراحلها الأولى ۳۱۵- ۳۵۱

الفهارس ۳۵۳- ۳۶۶

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۲،ص:۳۵۷

الدليل التفصيلى للكتاب:

إيضاحات ضرورية ۵

القسم الأول: ما قبل البعثة ۱۱

الفصل الأول: ما قبل ميلاد النبى (ص) ۱۳- ۶۰

البداية الطبيعية ۱۵

الوضع الجغرافى لشبه جزيرة العرب ۱۵

الحضر فى شبه جزيرة العرب ۱۷

الحالة الاجتماعية عند العرب ۱۷

المرأة فى الجاهلية ۱۹

شواهد عن حالة العرب فى الجاهلية ۲۰

علوم العرب ۲۱

ميزات و خصائص ۲۴

من امتيازات العرب ۲۵

الاسلام و تلك الصفات ۲۸

متى كان بناء مكة ۳۱

أ- بناء الكعبة ۳۱

ب- دعاء ابراهيم ۳۳

ج- تقديس الكعبة ۳۳

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۲،ص:۳۵۸

الأصنام و الكعبة ۳۶

ولاية الكعبة ۳۸

مكانة قريش ۴۰

أنا ابن الذبيحين ۴۲

من هو الذبيح ۴۳

خلاصة و بيان ۴۶

أهل الكتاب هم الداء الدوى ۴۷

ملاحظات هامة ۴۸

النسخ فى قصة ابراهيم ۵۴

البداء عند الشيعة ۵۵

التوضيح و التطبيق ۵۷

إشكال و جوابه ۵۸

اليهود و البداء ۶۰

الفصل الثانى: عهد الطفولة ۶۱- ۱۰۲

نسب النبى (ص) ۶۳

مولد النبى (ص) ۶۴

تعقيب هام و ضرورى ۶۵

قصة كاذبة ۶۶

مصير الدار التى ولد فيها النبى (ص) ۶۸

رضاعه (ص) ۶۸

لماذا الرضاع فى البادية ۶۹

أخوا النبى (ص) من الرضاعة ۷۱

إرضاع ثويبة للرسول (ص) لا يصح ۷۱

مع أبى عمر فى ترجيحه للقول الثانى ۷۴

توجيه غير وجيه ۷۵

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۲،ص:۳۵۹

مناقشة غير موفقة ۷۶

عدد أولاد عبد المطلب ۷۸

أبو لهب و عتق ثويبة ۷۸

شرك أبى لهب ۸۱

تنازع الظئر فى رضاعه (ص) ۸۲

حديث شق الصدر ۸۳

توجيه غير وجيه ۸۴

رأينا فى الرواية ۸۵

المسيحيون و حديث شق الصدر ۸۸

أصل الرواية جاهلى ۸۹

فقد النبى (ص) لأبويه ۹۰

كفيل النبى (ص) ۹۱

الرحلة الأولى إلى الشام و بحيرا ۹۳

رواية مكذوبة ۹۳

سر الوضع و الاختلاق ۹۵

إشارات خاطفة فى قصة بحيرا ۹۶

رعيه (ص) الغنم ۹۷

ملاحظة

الفصل الثالث: خديجة فى بيت النبى (ص) ۱۰۳- ۱۳۴

السفر الثانى إلى الشام ۱۰۵

زواجه (ص) بخديجة ۱۰۷

خطبة أبى طالب ۱۱۰

نظرة فى كلمات أبى طالب ۱۱۰

و دين شائع ۱۱۱

مهر خديجة ۱۱۲

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۲،ص:۳۶۰

عمر خديجة حين الزواج ۱۱۴

يتيم قريش: أكذوبة مفضوحة ۱۱۷

هل تزوج (ص) خديجة طمعا فى مالها ۱۱۹

خديجة مثل أعلى ۱۲۰

خديجة بين نساء قريش ۱۲۱

هل تزوجت خديجة بأحد قبل النبى (ص) ۱۲۱

زوجتا عثمان هل هما بنات النبى (ص) ۱۲۶

هل زينب بنت الرسول أم ربيبته؟! ۱۲۹

منافسون لعلى ۱۳۱

خؤولة هند بن أبى هالة للحسن (ع) ۱۳۲

الفصل الرابع: حتى البعثة ۱۳۵- ۱۸۱

حضور النبى (ص) حرب الفجار ۱۳۷

سر التلاعب فى الروايات هنا ۱۳۹

حلف الفضول ۱۴۰

سبب هذا الحلف ۱۴۱

بنو أمية و حلف الفضول ۱۴۲

ملاحظة ۱۴۵

ملاحظات هامة على حلف الفضول ۱۴۶

تاريخ ولادة أمير المؤمنين (ع) ۱۵۶

أول هاشمى ولد من هاشميين ۱۵۸

ولادة أمير المؤمنين (ع) فى الكعبة ۱۵۹

لماذا حكيم بن حزام ۱۶۱

تجديد بناء الكعبة أعزها اللّه تعالى ۱۶۲

وضع الحجر الأسود ۱۶۴

ملاحظات هامة ۱۶۵

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۲،ص:۳۶۱

خرافة انحلال الازار ۱۶۷

طريق جمع فاشل ۱۶۹

ثوبى حجر ۱۷۲

حياء عثمان ۱۷۴

أهل الكتاب و تعرى الأنبياء ۱۷۶

ولادة فاطمة بنت الرسول (ص) ۱۷۷

القول الحق ۱۷۸

الفصل الخامس: بحوث تسبق السيرة ۱۸۳

البحث الأول: إيمان آباء النبى (ص) إلى آدم (ع) ۱۸۵

بعض الأدلة على إيمانهم ۱۸۷

استغفار ابراهيم لابيه ۱۸۹

إن أبى و أباك فى النار ۱۹۱

غريبة ۱۹۴

ملاحظة ۱۹۴

البحث الثانى: بماذا كان يدين النبى (ص) قبل البعثة ۱۹۵

ملة أبيكم ابراهيم ۱۹۸

و وجدك ضالا فهدى ۲۰۰

أولوا العزم ۲۰۰

من الأساطير ۲۰۱

استلام الأصنام ۲۰۴

البحث الثالث: شروط النهضة ۲۰۵

البحث الرابع: العوامل المساعدة على انتصار الاسلام و انتشاره ۲۱۰

۱- منطلق الدعوة مكة ۲۱۰

۲- خصائص شخصية الرسول (ص) ۲۱۱

۳- الحالة الاجتماعية ۲۱۶

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۲،ص:۳۶۲

۴- نوع معجزته (ص) ۲۱۷

۵- بشائر اليهود و النصارى به (ص) ۲۱۹

مناطق سكنى أهل الكتاب ۲۲۲

أهل الكتاب و هيمنتهم العلمية على العرب ۲۲۲

۶- الفراغ العقائدى و السياسى ۲۲۵

۷- الحیاة الصعبة و التضحیة بالنفس ۲۲۹

۸- بقایا الحنیفیة فی العرب ۲۳۰

۹- الخصائص و العادات العربیة ۲۳۱

۱۰- دور أبی طالب و علی و أموال خدیجة ۲۳۳

تنبیه هام و ضروری ۲۳۵

القسم الثانی: من البعثة إلی الهجرة ۲۳۷

الباب الأول: من البعثة إلی الإعلان بالدعوة ۲۳۹

الفصل الأول: البعثة و المعجزة ۲۴۱- ۲۸۴

عمر النبی (ص) حین البعثة ۲۴۳

تاریخ البعثة و کیفیة نزول القرآن ۲۴۴

بدء الوحی و أول ما أنزل ۲۵۱

اعجاز القرآن ۲۵۳

لماذا الأخیر فقط ۲۵۵

بلاغة القرآن ۲۵۷

البلاغة ۲۵۷

الاعجاز بالبلاغة کیف و لماذا ۲۵۸

التوضیح و التطبیق ۲۵۹

ترجمة القرآن و تفسیره ۲۶۶

للقرآن ظهر و بطن ۲۶۶

التقوی تعین علی فهم القرآن ۲۶۹

الصحیح من السیرة النبی الأعظم، مرتضی العاملی ،ج۲،ص:۳۶۳

المحکم و المتشابه ۲۷۰

لا بد من وجود المتشابه فی القرآن ۲۷۱

التأویل ۲۷۲

الحروف المقطعة فی القرآن ۲۷۵

آخر ما نقوله حول الحروف المقطعة ۲۸۴

الفصل الثانی: روایات بدء الوحی ۲۸۵- ۳۱۴

ما روی فی بدء الوحی ۲۸۷

مناقشة روایات بدء الوحی ۲۹۲

إشارة ۲۹۷

وثمة أسئلة أخری ۳۰۴

و من الطعن فی النبوة أیضا ۳۰۵

ما هو الصحیح فی قضیة بدء الوحی ۳۰۷

لماذا الكذب و الافتعال إذن ۳۰۹

الفصل الثالث: الدعوة فی مراحلها الأولی ۳۱۵- ۳۵۱

أول من أسلم ۳۱۷

بعض ما جاء فی سبق علی (ع) إلی الإسلام ۳۱۸

تصريحات أمير المؤمنين (ع) فی ذلک ۳۲۰

دليل آخر ۳۲۱

خاتمة المطاف ۳۲۳

القول بأن خديجة أول من أسلم ۳۲۳

أبو بكر و سبقه إلی الإسلام ۳۲۴

طريق جمع فاشل ۳۳۱

هدف الورعين من الجمع بين الروايات ۳۳۳

تنبيه ۳۳۳

مقارنة و هدف ۳۳۴

الصحيح من السيرة النبی الأعظم، مرتضی العاملی ،ج۲،ص:۳۶۴

من أسلم بدعاية أبی بكر ۳۳۵

سر التأكيد علی دور أبی بكر ۳۴۰

هل عمير بن أبی و قاص من السابقين ۳۴۱

إسلام أبی قحافة ۳۴۱

الدعوة فی مراحلها التی اجتازتها ۳۴۲

المرحلة السرية ۳۴۳

دخول النبی (ص) دار الأرقم ۳۴۴

قريش لا تهتم لمرحلة ما قبل الاعلان ۳۴۶

إسلام أبی ذر ۳۴۶

ما يستفاد من حديث إسلام أبی ذر ۳۴۸

الفهارس ۳۵۲- ۳۶۶

۱- الدليل الاجمالی للكتاب ۳۵۵

۲- الدليل التفصيلی للكتاب ۳۵۷

و الحمد للّه و الصلاة و السلام علی محمد و آله و سلم

الصحيح من السيرة النبی الأعظم، مرتضی العاملی ،ج۳،ص:۵

تعريف مركز القائمية باصفهان للتحريات الكمبيوترية

بسم الله الرحمن الرحيم

جاهِدُوا بِأَمْوالِكُمْ وَ أَنْفُسِكُمْ فی سَبيلِ اللَّهِ ذلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ (التوبة/۴۱).

قالَ الإمامُ علیّ بُنُ موسَی الرِّضا – علَیهِ السَّلامُ: رَحِمَ اللّهُ عَبْداً أحْیَا أمْرَنَا... َ یَتَعَلَّمُ عُلُومَنَا وَ یُعَلِّمُهَا النَّاسَ؛ فَإِنَّ النَّاسَ لَوْ عَلِمُوا مَحَاسِنَ کَلَامِنَا لَاتَّبَعُونَا... (بَنادِرُ البِحار – فی تلخیص بحار الأنوار، للعلّامة فیض الاسلام، ص ۱۵۹؛ عُیونُ أخبارِ الرِّضا(ع)، الشّیخ الصَّدوق، الباب۲۸، ج۱/ ص۳۰۷).

مؤسّس مُجتمَع "القائمیّة" الثّقافیّ بأصبَهانَ – إیرانَ: الشهید آیة الله "الشمس آباذی" – رَحِمَهُ اللهُ – کان أحداً من جَهابذة هذه المدینة، الذی قدِ اشتهَرَ بشَغَفِهِ بأهل بَیت النبیّ (صلواتُ اللهِ علَیهِم) و لاسیَّما بحضرة الإمام علیّ بن موسَی الرِّضا (علیه السّلام) و بساحة صاحِب الزّمان (عَجَّلَ اللهُ تعالی فرجَهُ الشَّریفَ)؛ و لهذا أسّس مع نظره و درایته، فی سَنَةِ ۱۳۴۰ الهجریّة الشمسیّة (=۱۳۸۰ الهجریّة القمریّة)، مؤسَّسةً و طریقةً لم یَنطَفِئ مِصباحُها، بل تُتَّبَع بأقوَی و أحسَنِ مَوقِفٍ کلَّ یوم.

مرکز "القائمیّة" للتحرِّی الحاسوبیّ – بأصبَهانَ، إیرانَ – قد ابتدَأَ أنشِطتَهُ من سَنَةِ ۱۳۸۵ الهجریّة الشمسیّة (=۱۴۲۷ الهجریّة القمریّة) تحتَ عنایة سماحة آیة الله الحاجّ السیّد حسن الإمامیّ – دامَ عِزّهُ – و مع مساعَدَةِ جمعٍ من خِرّیجی الحوزات العلمیّة و طلاب الجوامع، باللیل و النهار، فی مجالاتٍ شتّی: دینیّة، ثقافیّة و علمیّة...

الأهداف: الدّفاع عن ساحة الشیعة و تبسیط ثَقافة الثَّقَلَین (کتاب الله و اهل البیت علیهِمُ السَّلامُ) و معارفهما، تعزیز دوافع الشّباب و عموم الناس إلی التَّحَرِّی الأدَقّ للمسائل الدّینیّة، تخلیف المطالب النّافعة – مکانَ البَلاتیثِ المبتذلة أو الرّدیئة – فی المحامیل (=الهواتف المنقولة) و الحواسیب (=الأجهزة الکمبیوتریّة)، تمهید أرضیّةٍ واسعةٍ جامعةٍ ثَقافیّةٍ علی أساس معارف القرآن و أهل البیت –علیهم السّلام – بباعث نشر المعارف، خدمات للمحققین و الطّلّاب، توسعة ثقافة القراءة و إغناء أوقات فراغة هُواةِ برامِجِ العلوم الإسلامیّة، إنالة المنابع اللازمة لتسهیل رفع الإبهام و الشُّبُهات المنتشرة فی الجامعة، و...

– مِنها العَدالة الاجتماعیّة: التی یُمکِن نشرها و بثّها بالأجهزة الحدیثة متصاعدةً، علی أنّه یُمکِن تسریعُ إبراز المَرافِق و التسهیلاتِ – فی آکناف البلد – و نشرِ الثّقافةِ الاسلامیّة و الإیرانیّة – فی أنحاء العالَم – مِن جهةٍ اُخرَی.

– من الأنشطة الواسعة للمرکز:

الف) طبع و نشر عشراتِ عنوانِ کتبٍ، کتیبة، نشرة شهریّة، مع إقامة مسابقات القِراءة

ب) إنتاجُ مئات أجهزةٍ تحقیقیّة و مکتبیة، قابلة للتشغیل فی الحاسوب و المحمول

ج) إنتاج المَعارض ثُلاثیّةِ الأبعاد، المنظر الشامل (= بانوراما)، الرّسوم المتحرّکة و... الأماکن الدینیّة، السیاحیّة و...

د) إبداع الموقع الانترنتی "القائمیّة" www.Ghaemiyeh.com و عدّة مَواقِع اُخرَ

ه) إنتاج المُنتَجات العرضیّة، الخَطابات و... للعرض فی القنوات القمریّة

و) الإطلاق و الدَّعم العلمیّ لنظام إجابة الأسئلة الشرعیّة، الاخلاقیّة و الاعتقادیّة (الهاتف: ۰۰۹۸۳۱۱۲۳۵۰۵۲۴)

ز) ترسیم النظام التلقائیّ و الیدویّ للبلوتوث، ویب کشک، و الرّسائل القصیرة SMS

ح) التعاون الفخریّ مع عشراتِ مراکزَ طبیعیّة و اعتباریّة، منها بیوت الآیات العِظام، الحوزات العلمیّة، الجوامع، الأماکن الدینیّة کمسجد جَمکرانَ و...

ط) إقامة المؤتمَرات، و تنفیذ مشروع "ما قبلَ المدرسة" الخاصّ بالأطفال و الأحداث المُشارِکین فی الجلسة

ی) إقامة دورات تعلیمیّة عمومیّة و دورات تربیة المربّی (حضوراً و افتراضاً) طیلة السَّنَة

المکتب الرّئیسیّ: إیران/أصبهان/ شارع "مسجد سیّد/ "ما بینَ شارع "پنج رَمَضان "ومُفترَق "وفائی/"بنایة "القائمیّة"

تاریخ التأسیس: ۱۳۸۵ الهجریّة الشمسیّة (=۱۴۲۷ الهجریة القمریّة)

رقم التسجیل: ۲۳۷۳

الهویّة الوطنیّة: ۱۰۸۶۰۱۵۲۰۲۶

الموقع: www.ghaemiyeh.com

البريد الالكترونى: Info@ghaemiyeh.com

المَتجَر الانترنتى: www.eslamshop.com

الهاتف: ۲۵-۲۳۵۷۰۲۳- (۰۰۹۸۳۱۱)

الفاكس: ۲۳۵۷۰۲۲ (۰۳۱۱)

مكتب طهرانَ ۸۸۳۱۸۷۲۲ (۰۲۱)

التِّجاريّة و المَبيعات ۰۹۱۳۲۰۰۰۱۰۹

امور المستخدمين ۲۳۳۳۰۴۵(۰۳۱۱)

ملاحَظة هامّة:

الميزانيّة الحاليّة لهذا المركز، شَعبيّة، تبرّعيّة، غير حكوميّة، و غير ربحيّة، اقتُنِيَت باهتمام جمع من الخيّرين؛ لكنّها لا تُوافِي الحجمَ المتزايد و المتّسِعَ للامور الدّينيّة و العلميّة الحاليّة و مشاريع التوسعة الثّقافيّة؛ لهذا فقد ترجَّى هذا المركزُ صاحِبَ هذا البيتِ (المُسمَّى بالقائميّة) و مع ذلك، يرجو مِن جانب سماحة بقيّة الله الأعظم (عَجَّلَ اللهُ تعالى فرَجَهُ الشَّريفَ) أن يُوفِّقَ الكلَّ توفيقاً متزائداً لِإعانتهم - فى حدّ التّمكّن لكلّ احدٍ منهم – إيّانا فى هذا الأمر العظيم؛ إن شاءَ اللهُ تعالى؛ و اللهُ وليّ التوفيق.

مرکز القائمیة للبحوث والتخریبات الکمبیوتریة
اصبهان
WWW
للحصول على المكتبات الخاصه الاخرى
ارجعوا الى عنوان المـركز من فضلـكم
www.Ghaemiyeh.com
www.Ghaemiyeh.net
www.Ghaemiyeh.org
www.Ghaemiyeh.ir
و للايصاء من فضلكم
۰۹۱۳ ۲۰۰۰ ۱۰۹